وتأتي ذكرى الهجرة، والمسلمون بلا دولة!



مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن



أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ» اختطّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

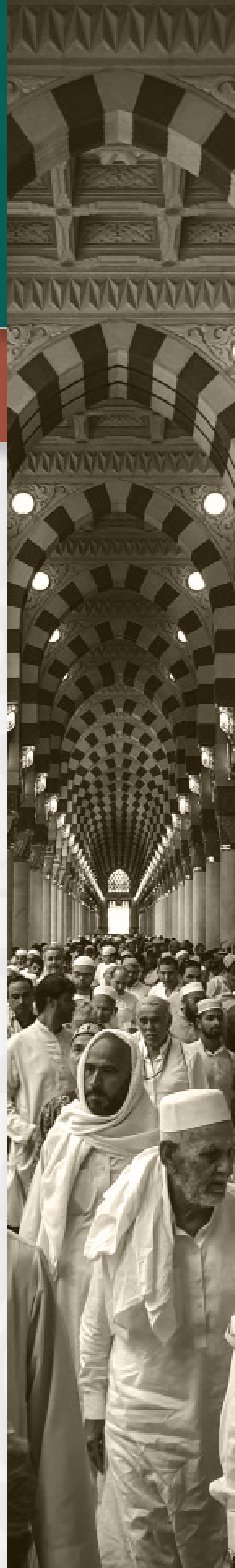
تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

محتويات العدد



أئمة الهدى

«من تراث العلماء والدعاة والشهداء الراحلين»

الصادعون بالحق

«من تراث العلماء والدعاة الأسرى»



رئيس الهيئة د. محمد الصغير

رئيس التحرير محمد إلهامي

@ ansarunaby@gmail.com

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

٣ أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

- تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : ansarunaby@gmail.com



أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY



أكاديميـة علميـة ودعويـة عالمية، منبثقـة عن الهيئـة العالمية لنصـرة نبـي الإسـلام، تعتمـد التقنيـات والأسـاليب الحديثة في التعليـم، تنظـم وتقدم برامـج ودورات علمية، ودبلومات شـرعية وفنيـة ومهارية في مختلف مجـالات النصرة النبويـة، وتقوم على تخريـج وتأهيـل متخصصين فـي فقه نصـرة النبي صلـى الله عليه وسـلم علميا وعمليـا، وتعمل على تمكين الشـباب المسـلم من المشاركة الواعية الفعالة في مجالات النصرة المتعددة.

الشـيخ د. محمد الصغير

رئيـس الهيئـة العالمية لأنصـار النبي ﷺ

الشـيخ د.عبدالحي يوسـف

عميد أكاديمية أنصار النبي ﷺ

+90 536 491 13 74

     @ansaracademy_









د. محمد الصغير
رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الافتتاحية

الصهاينة: أمام الطوفان

وفي الحرب على السودان

جغرافيا فلسطين وتاريخها وكون المسجد الأقصى فيها، والقداسة ثابتة في نواحيها، واتفقت الأديان السماوية على بركتها وطهارتها، مما جعلها مركز اهتمام العالم، وفي بؤرة تركيز الجميع، لذا رأينا على مدار التسعة أشهر الماضية كيف هب أحرار العالم انتفاضاً ضد حرب الإبادة في غزة، بل رأينا بعض الدول تغيرت مواقفها لمّا وصلتها الصورة الصحيحة، ومنها ما أعلن اعترافه بدولة فلسطين، أو تضامن مع القضية الدولية التي رفعتها جنوب أفريقيا ضد الاحتلال الصهيوني.

 أصبح صمود أهل غزة من البطولات الأسطورية التي يتغنّى بها المحبون، ولكن آلمني وآلم كل حر قول أحد رجال غزة: إننا صبرنا على القصف الصاروخي لأننا لا نخشى الموت ولا ترهبنا الشهادة في سبيل الله، ولكن سالت دموعنا وانفطرت قلوبنا لبكاء الأطفال من شدة الجوع.



وذلك بعد أن فشل القصف الجوي ومن بعده التوغل البري، والآن يستخدمون سياسة التركيع بالتجويع، وقتل البشر بالعطش، مع شدة الحر وندرة المياه الصالحة.

ومما يؤكد ما سبق أن أخباراً كانت في بداية النشرات ومحور التغطيات، تقهقرت ثم انزوت وأصبحت تذكر فقط في المناسبات، مثل الحرب الدائرة في أوكرانيا حتى الآن!

 وفي محيطنا العربي أصبحت الحرب في السودان من القضايا المنسية، وجرائم ميليشات (الدعم السريع) خارج التغطية الإعلامية، مما جعل هؤلاء الخوارج المحاربين يزيدون من وتيرة النهب والتقتيل، والتشريد والتنكيل، وبدا واضحاً أن الدول الكبرى والمؤسسات الدولية التابعة لها، انتهجت سياسة غض الطرف والسعي لإطالة أمد الحرب، حتى ينهك الجميع وتصبح الأرض مهيأة لتقسيم السودان من جديد.

ومن نافلة القول إن الدول العربية -لا سيما دول الجوار- في أحسن حالتها هي تبع للكفيل الغربي، ومنها من لا يستطيع أن يتحرك خطوة واحدة، لأن الكفيل الخليجي هو الذي يدير الحرب وينفق عليها ببذخ، مع إدراك شقيقة السودان وجارتها الكبرى أن كرة اللهب التي اشتعلت في الخرطوم، هدفها أن تسكن شباك القاهرة.

وبعيداً عن تاريخ السودان العريق في الثورات الحقيقية والانقلابات العسكرية، حتى وصل إلى مرحلة لم يُسبق إليها، وهي مرحلة الانقلابات المدنية والثورات العسكرية، وهو أمر بالغ التعقيد لا يمكن تفصيله في مقال، ولكن الذي أردت الوقوف عنده، هو أن السودان بكل مكوناته ظل وفياً للقدس وفلسطين، وحلّ في المرتبة المتقدمة في دعم غزة واحتياجاتها في الثلاثين سنة الأخيرة، وأدرك الغرب الداعم للاحتلال أن السودان هو بوابة الدعم الأولى لغزة وأهلها جميعاً.

ومن هنا بدأ عقاب السودان وحصاره دولياً، والسعي لتقسيمه وتفكيكه، وبدأ المخطط بفصل جنوب السودان، حتى حان وقت إنهاء الملف بالكلية وعقاب السودان شعباً وأرضاً، وإعادة مقص التقسيم بصورة أوضح وعنصرية أشد.



تسلمت الإمارات ملف (حميدتي) واستفادت من تجربتها مع حفتر في ليبيا، وجمعت مع مليشيات (آل دقلو) عصابات المرتزقة من فيافي أفريقيا، بل ومن مرتزقة الشركات الدولية.

وأصبحت صورة الحرب في السودان أشد ضراوة، وأسفل خسة من الحرب على غزة، حيث تلذذ المرتزقة بقتل المدنيين وبثوا ذلك على الهواء، واستخدموا سياسة إذلال الرموز والوجهاء، وتوجوا جرائمهم الكبرى باغتصاب النساء، وهو ما وثقته التقارير الدولية، ولكن لم يتمعر لذلك وجه أو تغضب له منظمة، لأن هذه الألسن تخصصت في (طالبان)، وتلك المؤسسات لا تهتم إلا بحقوق نساء الأفغان، أما أن تبقى غزة كلها دون تعليم لعام كامل، وأن يموت أطفالها جوعاً أمام العالم، وأن تُغتصب حرائر السودان وتُنشر المقاطع، فهذا لا يدخل في دائرة اهتمامهم.

معركة طوفان الأقصى فيها من معاني طوفان نوح عليه السلام، فكلاهما عمّ العالم، وأصبحت الدنيا قبل الطوفان غيرها بعده، وطبيعة الطوفان أنه إذا انطلق لابد أن يبلغ غايته، وعلينا أن نوطّن أنفسنا على طول معركة التحرير، وهذا من لوازمها على مدار التاريخ، وفي الوقت نفسه لا نغفل بقية جراح الأمة النازفة، لا سيما إذا كانت متصلة بالطوفان وشديدة الصلة به.

فنحن أمة القبلة الواحدة ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: **٩٢**]. ورسالتنا هي الخاتمة، والمسلمون تتكافأ دماؤهم كما أخبر نبي هذه الأمة ﷺ، وإن حرب السودان هي الجبهة الثانية والصورة الأخرى من الحرب على فلسطين، وانتصار السودان ستصب نتيجته الأولى في صالح الطوفان.

والمؤمن الحق هو من يضرب في كل غنيمة صالحة بسهم، فحدد سهمك وثبت هدفك لتصب غرضك، ووظف ما حباك الله به، وما بوأك إياه في نصرة الحق ودفع الظلم والأخذ على يد البغاة والجناة، ولنوقن جميعاً أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.


محمد إلهامي (رئيس التحرير)
عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

عام هجري جديد.. بلا خلافة للمسلمين!

يكتب هذا المقال بينما يتابع الناس المناظرة الرئاسية الأولى بين المرشحيْن للرئاسة الأمريكية: جو بايدن ودونالد ترمب، فقد توجهت الأنظار وتعلقت القلوب بالشاشات، ثم اندلعت واشتعلت بعد ذلك التحليلات، وصار كل قوم ينظرون ويبحثون أي الرئيسيْن أنفع لهم إذا فاز! وليس هذا بمستغرب، فإنها انتخابات: **الخلافة الأمريكية العالمية!**

إن هذا الخليفة الجديد، الذي سيسكن **دار الخلافة الصليبية** (البيت الأبيض)، يملك أن يفعل الكثير في سائر أنحاء العالم، ولولا ذلك ما رفع به أحدٌ رأساً، مثلما لا ينتبه أحدٌ لانتخابات أخرى تجري في شرق الأرض أو في غربها!

حتى نحن، نحن المسلمين المستضعفين المذبوحين في كل مكان، نتجادل ونتناقش حول أيهما أنفع لنا، أو بالأحرى: أيهما أقل ضرراً لنا، فكلاهما يتفقان على ذبحنا واستباحتنا ويتنافسان فيما بينهما على السبيل الأمثل لانتهاكنا واستنزافنا ونهب أموالنا ومواردنا وسلب ديننا ودنيانا!

لماذا وكيف يحدث هذا؟ ولماذا صرنا وصاروا إلى ما نحن فيه وما هم فيه؟!

قبل أن نأخذ في الإجابة عن هذا.. دعنا نتذكر أمورًا حصلت عندنا نحن، في أرضنا وديارنا، ولكن غفلت عنها القلوب وزاغت عنها الأبصار!

ثم نسأل: لماذا اتجهت أنظارنا وأنظار الناس إلى ما خلف المحيط البعيد؟ ثم غفلت عما هو في الجوار القريب؟!

فإذا عرفنا لماذا؟ وما هو السبيل؟ فسنستغرب أن الحل كان أقرب إلى أيدينا مما تصورنا!

١

من أخطر ما وقع في هذا الشهر الماضي وأقبحه وأبشعه، ما حصل في يوم (٥ يونيو ٢٠٢٤م) حيث اقتحمت طوائف من اليهود الصهاينة المسجدَ الأقصى يحتفلون بذكرى الاستيلاء عليه، ومن بين ما اقترفوه من الجرائم: هذا السباب وهذه الشتائم التي سالت بها أفواههم القبيحة تجاه نبينا الأعظم المكرم ﷺ.



وأقبحُ منه أن الأمر مرَّ مرور الكرام، فلم يثر هذا حمية أحدٍ ولا حفيظته، لا من الحكام والمسؤولين والأنظمة، ولا من المؤسسات الدينية الرسمية، ولا حتى من وسائل الإعلام الكبيرة في العالم الإسلامي، فصار الأمر خبراً عادياً، كأنما لم يُمَسّ إمام المسلمين وزعيمهم وقدوتهم ومصدر شرفهم ﷺ؟!

ويجري هذا كله في ظل حرب غزة التي يشنها نفس أولئك اليهود الصهاينة على المسلمين، تلك المذبحة الكبرى التي كشفت أن الأنظمة القائمة في العالم العربي والإسلامي أحسنها ضعيف عاجز، والعديد منها بين كافر وزنديق وخائن.. فلقد امتدت أيادي هذه الأنظمة لدعم الصهاينة وفتح طرق برية وبحرية في بلادهم -لم تكن مفتوحة من قبل- لإيصال البضائع والمنتجات إليهم!



وذلك في ذات الوقت الذي انقبضت فيه أيديهم عن المسلمين المقتولين المذبوحين في غزة، فقد اتفقوا على حصارهم، وشدد النظام المصري إغلاق المعبر الوحيد الذي يمكن أن ينقذهم من المذبحة، بل زاد في عاره وفضيحته بأن صار يأخذ من الهاربين والجرحى -بعد الإذن الإسرائيلي- أموالاً طائلة يستصفي بها بقية ما فقده الهاربون من المحرقة! ثم اتفق مع الإسرائيليين فسمح لهم باحتلال الجهة الأخرى من معبر رفح راضياً أن تخرق اتفاقية السلام طالما كان هذا لصالح الصهاينة، وقد كان قبل ذلك يقتل الفلسطيني إذا جاوز الحدود دفاعاً عن صنم «الأمن القومي المصري»! فأما إذا كان الإسرائيلي هو آكل الصنم فلا بأس!

فمن لم يكن له معبرٌ مع غزة، فقد بحث لنفسه عن دورٍ يخدم به الصهاينة، فقبل أيام من كتابة هذا المقال كشف أن النظام المغربي، وهو البعيد جداً عن غزة وإسرائيل، زوَّد السفن التي تحمل الأسلحة للصهاينة بالوقود اللازم لها، من بعد ما رفضت إسبانيا أن تفعل ذلك، وبعدها بيوم واحد كُشِف عن طائرات مغربية تسير في رحلات لتهبط في المطارات العسكرية الإسرائيلية! وذلك نوعٌ من الإخلاص والمبادرة لا تفسير له إلا الخيانة وعداوة الله والولاء لليهود والصليبيين!

وجميع أولئك مثلما اتفقوا على دعم الصهاينة وحرب المسلمين، فقد اتفقوا أيضاً على كبت الناس في بلادهم، فكلٌّ منهم حاصر شعبه ألا يتكلم أو ينطق أو يتظاهر نصرة لإخوانه في غزة!

وقد بلغت الغرائب والعجائب والمدهشات حدَّها الأقصى حين ترى الصهاينة، ينشرون بأنفسهم صوراً لهم وهم يدوسون راية الإسلام «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، ولا يهتز لذلك نظام يزعم لنفسه الإسلام، ولا يهتز لذلك منافقوه ومحاموه، فكأنما هؤلاء يخدمون الصهاينة إيماناً واحتساباً، فإن أدنى المصلحة ألا يتعمد الصهاينة إحراج حلفائهم وعملائهم!! بل قد رأيت من منافقي هذه الأنظمة من يقول: إنهم لا يدوسون علم السعودية بل هذا علم حماس!!!!



فتأمل في هذا الوضيع الوغ الزنديق، كيف فرغ قلبه من الحمية لله ورسوله ودينه، وامتلأ بالحمية لحاكمه، فهو ينتفض لينفي أن هذه الإهانة تعلقت بـ «الدولة السعودية»! ولا يهمه بعد ذلك أن الإهانة لحقت باسم الله ورسوله وراية الإسلام!!

ترى.. هل بقيت غرائب وعجائب ومدهشات وإهانات وخزي وذل وعار أكثر من هذا الذي نحن فيه؟!!



٢

لئن كان المشهد في غزة مروعاً وهائلاً، ففي السودان مشهد لا يقل عنه بل لعله يزيد في الروع والأهوال، ولئن كان أهل غزة قد ابْتُلوا في جيرانهم من الأنظمة العربية التي تعاديهم كالصهاينة بل أشد عداوة فإن أهل السودان قد ابتلوا بنفس هؤلاء الجيران ثم ابتلوا فوق ذلك بقيادات ضعيفة عاجزة، بل وبعضها خائن، لا تستطيع أن تصد العدو ولا أن تترك غيرها ليصده!!

ولئن كانت غزة قد انتزعت حريتها من يد الصهاينة، ثم من يد خونة فتح والسلطة الفلسطينية، فامتلكت قرارها وحفرت في الصخر حتى صارت تواجه أعتى قوة عسكرية في المنطقة، فإن الناس في السودان امتلكوا البلد لثلاثين عاماً ثم هم الآن يبذلونها ويفرطون فيها تفريطاً هو واحدٌ من أغرب مشاهد

التاريخ!! فما يُعرف في التاريخ قومٌ حكموا بلداً لثلاثة عقود ثم أزيحوا منها بهذه البساطة والسهولة! ثم رضوا أن يدخلوا السجون وأن تنهب أموالهم وتنهار البلد منهم وهم ينتظرون انتخابات نزيهة!! يعتقدون أنها ستأتي يوماً ما، ويعتقدون أنهم سيُتركون ليفوزوا بها مرة أخرى!!

وبينما هم ينتظرون إذ دبر حميدتي انقلاباً كاد ينجح تماماً لتبدأ عملية تصفية وإبادة كاسحة للإسلاميين في السودان، ولما شاء الله وقدَّر وتفضل وأنعم أن هذا الانقلاب لم ينجح ولم يتم كما كان مقدراً له، انحاز أولئك خلف واحد لا يخرج عن حالين: الضعف والعجز أو الخيانة والعمالة، وهو عبد الفتاح البرهان، وهذا رجل إن كان حسن النية لم يكن البقاء خلفه إلا مسيراً نحو النهاية، فكيف إن كان يضمر الشر والسوء؟!



حميدتي

وهذه هي النتيجة التي نحياها الآن: انفراط عقد السودان وتمزقه على الحقيقة، وما نزل بأهله الطيبين من المذابح والجوع والتشريد والاعتداء على الأعراض وإهانة وجوه القبائل وأشياخها. ولا يزال قومنا يحسنون الظن أن يكون البرهان هو الحل، وهو ضلع ضليع وأصل أصيل في هذه الأزمة!

إن هذا البلد العظيم الثري بالموارد يتعرض لواحدة من أشد الأزمات وأصعبها في تاريخه كله، وأكثر المسلمين لا يشعر بما يحصل، وأكثر من يعرفون لم يفهموا ماذا يحصل فيه ولا كيف ينبغي أن يكون السبيل!

٣

فإذا مددنا أبصارنا إلى المسلمين على أطراف عالمنا الإسلامي فسنتفاجأ بمصيبتيْن قريبتين في بلديْن حبيبيْن آخريْن: طاجيكستان وأراكان..



إن الشيوعية التي انتهت من العالم كله لم تزل باقية في جمهوريات آسيا الوسطى، أو ما يسمى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، وهي البلاد التي يعرفها المسلمون عبر تاريخهم باسم: بلاد ما وراء النهر!

وهذا الطغيان الذي يعم عالمنا العربي له نظير وقرين في هذه البلاد المسلمة، إذ ما يزال حكامها من بقية زمن الشيوعية، فعداوة الدين عندهم دين! ومطاردة الإسلام لديهم عقيدة! وإن قراءة تاريخ الإسلام في هذه المناطق، وكيف أنهم بقوا حتى الآن مسلمين لهو واحدة من معجزات هذا الدين ومن عجائب تاريخ المؤمنين!

وطاجيكستان على وجه التحديد هي أكثر تلك البلاد في نزعة التدين وفي كثرة العلماء وطلبة العلم فيها، وإذا أردنا تقريب الصورة لقلنا: هي بالنسبة إلى غيرها من هذه البلاد كمصر والسعودية في العالم العربي. غير أن الطاغية الذي يحكمها -وهو لا يختلف كثيراً عن طغاة مصر والسعودية- يعمل على إنهاء الدين من بلاده، يزعم أنه: ثقافة أجنبية جاءت إلى الطاجيك من العرب ومن الأتراك، وقد وضع لنفسه مهمة أن يطارد كل ثقافة أجنبية!!

لو كان هذا الطاغية صادقاً في «الوطنية» وفي الانتماء إلى «الثقافة المحلية» لكان حاله غير هذا الحال، غير أنك تراه يلبس الثياب الغربية، وحكمه مترع بالنظم الغربية، وهو يضع ولاءه السياسي إلى جوار بوتين، ولا يرى في ذلك كله أنها ثقافة أجنبية جاءته من الروس أو من الروم!!

ولا يمكن إيجاز ما يحدث هناك في سطور، فالأمر عنيف رعيب، وأشد منه أن الذين هربوا بدينهم منه لا يستطيعون الكلام ولا يجدون لأنفسهم ملجأ يتمكنون معه أن يشرحوا ويفصحوا عن عملية ذبح الإسلام التي تجري على قدم وساق في طاجيكستان، والتي كانت آخر فصولها: منع الحجاب ومطاردة المحجبات، ومنع الأطفال من الاحتفال بأعياد المسلمين! وقد تفضل علينا الشيخ أحمد محيي الدين الطاجيكي بكتابة مقال في هذا العدد من المجلة يشرح فيه هذا الفصل الأخير من الحرب على الإسلام.



فإذا ذهبنا إلى الشرق والجنوب، فإن ثمة قضية تحدث الآن من مذابح المسلمين لا تكاد تُعرف ولا يُسمع بها أصلاً.. وهي قضية المسلمين الروهينجا في إقليم أراكان، وهم المسلمون في بورما أو ميانمار. فهؤلاء المسلمين المساكين ربما كانوا يعيشون الآن آخر فصول حياتهم وتاريخهم في بلادهم، من بعد ما اشتعلت حربٌ تجري على أرضهم بين أقلية بوذية لها جيشٌ متمرد وبين الجيش البورمي النظامي! وقد نتج عن هذه الحرب في بعض التقديرات مائة ألف مسلم مُهَجَّر وبلغت التقديرات في

بعضها مائتي ألف مسلم، وهذا فضلاً عن الأمواج السابقة من الهجرة في الأعوام الماضية والتي ترتب عليها غرق الكثيرين وموت الكثيرين بفعل الأمراض والظروف الصعبة في ملجئهم: بنجلاديش!

وقد زاد الحالَ سوءًا أن الثلة المتعلمة والنشطة من شباب الروهينجا، والذين كانوا يحركون القضية قد اعتقلهم ابن سلمان في السعودية، بلا ذنب ولا تهمة ولا تحقيق، وحُكِم عليهم بالسجن بين عشر سنوات وعشرين سنة! مع التضييق عليهم في منح الإقامة مع أن بعضهم يقيم في هذه البلاد منذ زمن بعيد، ولعل الأكثرين لا يعرفون أن الشيخ القارئ محمد أيوب إنما هو من الروهينجا المسلمين.

وأيضاً سيجد القارئ في هذا العدد من المجلة مقالاً تفضل به علينا الشيخ عبد الله الأركاني، يحاول أن يوجز فيها هذه القضية المأساوية.



٤

قد بلغ الأمر غايته ومداه وأقصاه.. وإن أي مسلم ينطوي قلبه على حب الله ورسوله مطالب بالتفكير وبالعمل للتخلص من هذا الذل وهذا العار؛ كلٌّ على قدر ما يطيق وعلى قدر ما يستطيع..

ونحن الآن نعيش في ظلال ذكرى الهجرة.. ذكرى إقامة الدولة الإسلامية.. أخطر لحظة في تاريخ الإسلام.. لحظة مولد الأمة الإسلامية وتأسيس الدولة الإسلامية!

إن كل مصائبنا ونكباتنا ومذابحنا إنما هي فرع عن النكبة العظمى: نكبة سقوط الخلافة الإسلامية، وانهيار الدولة الإسلامية.. لقد صرنا بعد ذلك أيتاماً على موائد اللئام، كل قومٍ في هذه الأرض انفردوا بقسم من المسلمين يسومونهم سوء العذاب، يذبحون أبنائهم، ويغتصبون نساءهم، وينهبون أموالهم، ويستعبدونهم في بلادهم!!



إن معضلات المسلمين كثيرة ومتنوعة ومتشابكة ومتعددة، ولكن حلها الجذري واضح للغاية: **إقامة الدولة الإسلامية الجامعة، واستعادة الخلافة الإسلامية..** هذا هو ما فعله النبي ﷺ عندما هاجر من مكة إلى المدينة، وعلى بقاء هذه الدولة قاتل أبو بكر، وعلى توسيعها قاتل عمر وعثمان، وعلى وحدتها قاتل علي. وما زال خلفاء المسلمين الصالحين يعملون منذ معاوية وحتى عبد الحميد الثاني على تمكينها ورسوخها والمحافظة عليها، كل بما قدر وما استطاع!

لقد اتجهت أنظار الناس إلى المناظرة الرئاسية لا لشيء إلا لأن الأمريكان أصحاب دولة قوية، وعلى حسب قوة الدولة ونفوذها يتعلق الناس بما يحصل فيها من تغيرات!

بينما غفلت أنظار الناس عن الروهينجا وعن الطاجيك وعن السودان لأنهم أشلاء أمة ممزقة ومبعثرة! ولولا ذلك لم تزغ عنهم الأبصار!

ونحن في هذه الأيام لم نغادر ذكرى الحج، ولا انفلتنا من آثار هذه العبادة العظيمة، ثم ها نحن نقبل على ذكرى الهجرة الشريفة لنعب من دروسها العميقة.. إن انهارت دولة المسلمين فالحج يذكرهم بأنهم أمة واحدة، رب واحد ورسول واحد ودين واحد وعبادة واحدة. والناس حين يزورون مكة والمدينة يطالعون بأعينهم آثار نبيهم وجهاده في سبيل الدعوة والدولة، فيستحضرون في مكة أيام جهاده للدعوة والبحث عن أرض للدولة، ويستحضرون في المدينة جهاده للدعوة ذات الدولة، فلقد كانت المدينة المنورة عاصمة الإسلام ومقر الحكم والجماعة والنظام!

ما من أيام نحن أسوأ حالاً فيها من هذه الأيام، وإن ذكرى الهجرة لا يشعر بمعناها كما ينبغي أن يشعر بها المسلم في هذه الأزمان، أزمان سقوط الدولة وانفراط عقد المسلمين!



إنها مهمة ضخمة أمام العلماء والدعاة وكل المسلمين، أن يحرصوا في كل مناسبة وفي كل محفل وفي كل ذكرى أن يبحثوا وأن يستخلصوا، ثم أن يعملوا ويحثوا ويحفزوا:

١ كيف تستفيد الأمة من عبادة الحج في تقوية أواصرها وتمتين علاقاتها وكسر الحدود التي صنعت بينها ومحاولات النصرة لأطرافها المذبوحة والمضطهدة.. لا سيما إن كان الاضطهاد في الدين.

٢ كيف تستفيد الأمة من عبادة الحج، حيث المشاهد الشريفة وآثار النبي الأعظم ﷺ في الارتباط بالنبي وسنته وسيرته، ومزيد من التعلق به، وما يثمره هذا من الانفعال والغضب تجاه من يسبه ويؤذيه، وهو الغضب الذي لا بد أن يترجم إلى عمل في نصرته والتنكيل من يتناول جنابه الشريف.

٣ كيف تستفيد الأمة من حدث الهجرة الذي يؤسس لقيام الدولة الإسلامية.. ومدى ضرورة قيام الدولة الإسلامية وأثره الفارق في حياة المسلمين، وكيف أن المسلمين اليوم هم في أمس الحاجة إلى وجود دولة إسلامية حقيقية قوية.. بل هم لا يحتاجون أي شيء على الإطلاق قدر حاجتهم إلى وجود هذه الدولة وقيامها.. كيف نستفيد من حدث الهجرة في التركيز على هذا الأمر.

٤ كيف قامت الدولة الإسلامية بعد بيعتين مع الأنصار، سبقتهما رحلات بحث وعرض ومفاوضة مع قبائل العرب.. ثم قامت هذه الدولة بعد ذلك على سيوف المسلمين وسواعدهم مثلما قامت أيضاً على معاهدات واتفاقيات.. وهذا كله يلفت الأنظار إلى أن جهاد النفس والسلاح هو صنو جهاد السياسة والتفاوض والاتفاق.. ترى ماذا ينبغي أن يقول أهل العلم وأهل الفكر والقلم لإخوانهم المجاهدين في غزة وفي غيرها في هذا الباب؟!

٥ التذكير الدائم المستمر بشدة عداوة اليهود للنبي ﷺ.. ثم الحث والتحريض الدائم المستمر للمسلمين على العمل الفعال المستمر الدائب الدائم الصبور في تعقب الذين يسيئون للنبي ﷺ والتنكيل بهم ومعاقبتهم على قدر الوسع والطاقة وبأقصى ما يمكن عمله.

عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده!



د. عبد الحي يوسف
عميد أكاديمية أنصار النبي ﷺ

مأساة في بلاد السودان

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي كل يوم تطلع فيه شمسُه تقع مأساة في بلاد السودان، تضيع معها مقاصد الشريعة وضرورات الدين؛ وذلك مذ قامت تلك الحرب المشؤومة في الخامس والعشرين من رمضان ١٤٤٤ الموافق ١٥ إبريل ٢٠٢٣، حيث يتعرض الناس للفتنة في دينهم؛ وذلك بتعطيل مساجدهم من أن يذكر فيها اسم الله عز وجل؛ فكم من مسجد كان بذكر الله عامراً صار خاوياً على عروشه يشكو لربه ظلم العباد! وكم من إمام مطاع كان الناس يفيئون إليه ويحتكمون إلى قوله صار قتيلاً أو أسيراً أو شريداً!

 وأعظم من ذلك أن يرى الناسُ أولئك اللصوص النهابين سفكة الدماء -ممن ينتسبون إلى (الدعم السريع)- وهم يمارسون ما حرَّم الله عز وجل من سفك للدماء وانتهاك للحرمات وهم يرددون «الله أكبر»! وثمة أرقام مفزعة عن أعداد القتلى الذين صعدت أرواحهم إلى بارئها، بل إن بعض الناس -كما حصل في مدينة الجنينة- دُفِنوا أحياء، وذلك تحقيقاً لشهوات مريضة ودعوات عصبية منتنة.

أما انتهاك الفروج والاعتداء على الأعراض فحدِّث ولا حرج! وقل مثل ذلك في نهب البنوك واحتلال بيوت المواطنين وأخذ ممتلكاتهم من سيارات ونقود وأثاثات، والمسلم المهموم بأمر الدين يقضُّ مضجعه أن يُطلق على مثل هذا الإجرام وتلك السرقات الاسم الشرعي الشريف (الغنائم) بل عاد المجرمون يأتون إلى السودان من دول شتى ليجدوا مرتعاً خصباً يمارسون فيه إجرامهم بغير وازع ولا رادع، في ظل تعتيم إعلامي مقصود، وتواطؤ إقليمي مريب، حتى بدا للمراقب أن كل شيء تقريباً متفَّق عليه وعلى مآلاته، مع توزيع ممنهج للمخدرات والمسكرات على أولئك النهابين.

وبالجملة فإن مقاصد الشريعة في حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال كل ذلك قد صار نسياً منسيّا، فما عاد امرؤ يأمن على دينه ولا نفسه ولا عرضه ولا ماله ولا عقله.



لماذا السودان؟

 والسؤال الذي يطرح نفسه ما الذي يحمل هؤلاء على مثل هذا بدعم لا حدود له من دولة

(الإمارات العربية المتحدة) -وكيلة الصهاينة في المنطقة- تسليحاً وعتاداً وإمداداً بالمال والرجال، مما نطقت به تقارير أمنية وتحقيقات صحفية؟ مع شراء ذمم قادة أفارقة تُستخدَم مطارات بلادهم وحدودها لتمرير ذلك الدعم، وما سرُّ هذا الحقد الدفين على شعب لم يُعرف عنه شرٌّ معلَن -وهو شعب السودان- ولا كان يوماً من الأيام إلا ردء للأمة مناصراً لقضاياها العادلة ساعياً في نفع إخوانه من العرب والمسلمين؟

والجواب يتمثل في أمور:



- **أولها:** أن أعداء السودان قد سَعَوا منذ سنوات في تغيير هوية الشعب وتغييبه عن قضايا أمته، وذلك حين سارع بعض الخونة -على مستوى القيادات- إلى التطبيع السياسي والتبادل الدبلوماسي مع الكيان الصهيوني؛ فلما بدا لهم أن ذلك مستحيل وأن منظمات ومؤسسات قد قامت لمناهضة ذلك المسعى اللئيم، كان لا بد من إلحاق العقاب الجماعي بشعب كان -وما يزال- نصيراً لفلسطين والقدس وقضايا التحرر في كل مكان.

- **ثانيها:** أن السودان قد قامت فيه إجراءات أثارت فزع طواغيت ما يسمى بالمجتمع الدولي، ومن ذلك:

أ. إعلان الجهاد -قبل سنوات- حين كانت رحى الحرب الصليبية المدعومة كنسياً ودولياً تدور رحاها في الجنوب؛ حيث أقيمت المعسكرات وردد الناس شعارات إسلامية خالصة، وصار لقب (الشهيد) مألوفاً

متداولاً، بل إن مناهج الثقافة الإسلامية قد غزت الكليات والمعاهد العسكرية والشُّرَطية، وأقيمت المساجد وحلقات القرآن والمحاضرات الدينية في سائر وحدات الجيش والشرطة.

ب. حققت البلاد نوعاً من الاستقلال الذاتي في الإنتاج العسكري الذي يحقق لها أماناً واستغناء عن الحصار الدولي المحكم الذي فرض من أواسط تسعينيات القرن الماضي؛ حتى بلغ غايته بإنتاج الطائرات المسيَّرة والمدفعية الثقيلة والدبابات المتطورة؛ حيث استفاد السودان من تفكك دول المنظومة الشرقية -حلفاء الاتحاد السوفييتي- فاستجلب عدداً من الخبراء الذين أعانوه على بلوغ تلك الغاية.



ت. صار للسودان -قبل الانقلاب المشؤوم الذي استجلب عملاء الغرب لسُدَّة الحكم- قراره المستقل الخارج عن المنظومة الدولية، وتَعامَل مع أولئك الطواغيت بندية أحدثت لهم ولعملائهم قلقاً وأرقاً، ولم يقبل تدخلاً في شئونه الداخلية؛ حتى إنه طرد السفير البريطاني عام ١٩٩٤ في سابقة لم تحدث قريباً من دولة من دول العالم الثالث، وذلك بسبب تيسير السفير دخول أسقف كانتبري إلى مناطق محتلة من المتمردين في الجنوب دون علم الحكومة، وكذلك طرد ممثل الأمين العام للأمم المتحدة حين كتب تغريدة ينتقد فيها تعامل الحكومة مع بعض الأنشطة السياسية.

- **ثالثها:** كان السودان يمثل حضناً دافئاً للمسلمين المستضعفين من سائر الأقطار؛ وذلك من عهد قديم؛ فإن إخواننا حين نُكبوا في أثيوبيا وإريتريا -بالأنظمة الشمولية والتسلط الشيوعي- لم يجدوا بلداً يأوون إليه

سوى السودان، وفي السنوات المتأخرة حين نُكب المسلمون في الصومال ثم في سوريا واليمن كان السودان ملاذهم؛ حيث عومل طلبة العلم من تلك البلاد معاملة أهل البلاد؛ حتى حصلت أعداد غفيرة منهم على الشهادات الجامعية وفوق الجامعية.

- **رابعها:** مثَّل السودان سنداً وعضداً للمقاومة في فلسطين؛ حين استعصى على محاولات التطبيع، وكان محطة إمداد بالسلاح مما عرَّضه للقصف الجوي مراراً من قبل الصهاينة، وفي الوقت نفسه كان الطلبة الفلسطينيون يجدون موضعاً لهم في سائر الكليات -حتى كلية الشرطة وعلوم القانون- وكان قادة المقاومة حين غُلِّقت في وجوههم أبواب الدول العربية يجدون أبواب السودان وصدور أهلها مفتوحة لهم؛ وذلك في أحلك الظروف التي كان يمر بها السودان وفلسطين معاً.

واجبنا نحو السودان



أما بعد، فما الواجب علينا جميعاً تجاه إخواننا في السودان أمام هذه الموجة العاتية من التآمر اللئيم؟ وهل يسعنا السكوت عما يجري هنالك بدعوى أن الأمة مشغولة بغزة؟

الجواب أن علينا جملة أمور:

- أولها: التعريف بقضيته، فليس صواباً ما يشاع أنها حرب أهلية داخلية، أو صراع على

الحكم بين جنرالين؛ ففي هذا تتفيه للأمر وتمويه على الناس؛ بل الحق أنه غزو أجنبي مسلَّح يستند على طائفة من العملاء الداخليين، تدعمه قوى الشر إقليمية ودولية.

- ثانيها: بيان أن غاية هذا التآمر إسقاط الدولة السودانية وتشريد الناس وتدمير مقدَّرات هذا البلد الذي كان -وما يزال- عضداً للإسلام وأهله، مع نهب ثرواته، وتقسيم أقاليمه وزرع العداوة والبغضاء بين أهله.

- ثالثها: بسط اليد لمساعدة اللاجئين وذوي الحاجات ممن جار عليهم الزمان وألجأتهم تلك الحرب المدمِّرة إلى دول الجوار والمنافي، حفظاً ليد سابقة كانت لهم، وإنفاذاً للأمر النبوي: «من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة».

وخلاصاً من الوعيد: «ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً في موضع تُنتهك فيه حُرمته ويُنتقص فيه من عِرضه، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع يُنتقص فيه من عِرضه ويُنتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب نصرته».

- رابعها: فضْح أطراف المؤامرة من عملاء الداخل، والممولين من الخارج، والمتواطئين بالصمت المريب من دول الإقليم وما يسمى بالمجتمع الدولي.

- خامسها: حثُّ الناس في السودان على القيام بما أوجبه الله من دفع هذا العدو الصائل وقتال الطائفة الباغية المعتدية المحاربة لله ورسوله الساعية بالفساد في الأرض، وذلك بالجهاد في سبيل الله دون انتظار إذن من أحد؛ فما حكَّ جلدك مثل ظفرك! والتعويل على المنظمات إقليمية ودولية إنما هو محض سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.



د. سميح عبد الرحمن

مدير أكاديمية أنصار النبي ﷺ

كيف السبيل إلى أبطال غزة

قضى الله عز وجل أن دينه إنما يقوم على أكتاف الرجال، وإن الرجال الحقيقيين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من القيام بأمر الدين إنما هم صفوة الخلق في أزمانهم، من جيل إلى جيل.. وكما جاء في الأثر: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله».. فكذلك أمر الدين، إنما يحمله ويقوم عليه من كل جيل رجاله وأبطاله الصادقون المخلصون.

وكما أثنى الله عز وجل على الجيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ الذين أقام الله عز وجل على أكتافهم الدين، فقد أثنى كذلك على الذين اتبعوهم بإحسان من جيل إلى جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ١٠٠].

 وكما أثنى النبي ﷺ على أصحابه في مواطن كثيرة، فكذلك أثنى على أولئك الرجال الذين يأتون من بعده يؤمنون به ويقومون على أمر دينه وهديه ولم يروه، لذلك اشتاق لهم رسول الله ﷺ، بل وجعل أجر العامل فيهم في أزمنة البلاء والفتن كأجر خمسين من صحابته.. فقد روى الترمذي وأبو داود وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «... فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم». وفي رواية: قيل يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم».

وإن السؤال الذي ينبغي أن يشغل بال كل واحد منا اليوم: أين نحن من هؤلاء، هل نحن منهم، وأين موقعنا من ذلك؟

إن ما نراه اليوم من أبطال غزة وشبابها، يتنافسون على التقدم والبذل، ويتسابقون إلى الموت والشهادة، ويتقاسمون بينهم بالله أيهم يضرب هذا الهدف ومن منهم يخرج لهذا الكمين.. إن هذه المشاهد العظيمة من رجال اليوم، هي هدي أسلافهم من رجال الأمس من صحابة النبي ﷺ. ولنقف قليلاً مع بعض هذه المشاهد نتلمس فيها النور.. ونتشرب منها روح البذل والعمل لدين الله عز وجل.

في يوم بدر

قال عبد الرحمن بن عوف كما عند البخاري في الصحيح: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتُّ، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم، أرني أبا جهل. فقلت: يا ابن أخي، فما تصنع به؟ قال: أُخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ. قال: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. فتعجبت لذلك. قال: وغمزني الآخر، فقال

لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه. قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «أيكما قتله»؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. قال ﷺ: «هل مسحتما سيفيكما»؟ فقالا: لا. فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين، فقال: «كلاكما قتله». وقضى رسول الله ﷺ بسلَبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء، وكانا كلاهما دون العشرين من العمر.

وكما هو التنافس والتسابق بين ألوية الشمال والجنوب، بين رفح وجباليا، بين بيت حانون وخان يونس، بين الكتائب وإخوانهم في السرايا.. كذلك كان التنافس بين أنصار رسولنا ﷺ من الأوس والخزرج، وإليكم هذا النموذج الرائع!

قتل كعب بن الأشرف

كان كعب بن الأشرف من قبيلة طيء -من بني نبهان- وأمه من بني النضير، وكان غنياً مترفاً معروفاً بجماله في العرب، شاعراً من شعرائها، وكان حصنه في شرق جنوب المدينة في خلفيات ديار بني النضير، وكان من أشد اليهود حنقاً على الإسلام والمسلمين، وإيذاءً لرسول الله ﷺ، وتظاهراً بالدعوة إلى حربه. ولما بلغه أول خبر عن انتصار المسلمين، وقتل صناديد قريش في بدر قال: أحق هذا؟ هؤلاء أشراف العرب، وملوك الناس، والله إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها.



ولما تأكد لديه الخبر، انبعث عدو الله يهجو رسول الله ﷺ والمسلمين، ويمدح عدوهم، ويحرضهم عليهم، ولم يرضَ بهذا القدر حتى ركب إلى قريش فنزل على المطلب ابن أبي وداعة السهمي، وجعل ينشد الأشعار يبكي فيها على أصحاب القليب من قتلى المشركين، يثير بذلك حفائظهم، ويذكي حقدهم على النبي ﷺ، ويدعوهم إلى حربه، وعندما كان بمكة سأله أبو سفيان والمشركون: أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه؟ وأي الفريقين أهدى سبيلاً؟ فقال: أنتم أهدى منهم سبيلاً، وأفضل، وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

ثم رجع كعب إلى المدينة على تلك الحال، وأخذ يشبب في أشعاره بنساء الصحابة ويؤذيهم بسلاطة لسانه أشد الإيذاء. وحينئذ قال رسول الله ﷺ: «مَن لكعب بن الأشرف؟ فإنه آذى الله ورسوله». فقام محمد بن مَسلمة فقال: أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم». قال: فأْذن لي أن أقول شيئاً. قال: «قل». فانتدب محمد بن مسلمة معه عباد بن بشر، وأبا نائلة -وهو أخو كعب من الرضاعة- والحارث بن أوس، وأبو عبس بن حبر، وجميعهم من الأوس.


حصن كعب بن الأشرف

ووضع محمد بن مسلمة خطة عبقرية محكمة استطاع بها أن ينال من عدو الله كعب بن الأشرف، ويرجع بمفرزته سالماً غانماً، ودعا رسول الله ﷺ لهم بخير، وكان في قتل بن الأشرف تأديب لغيره من زعماء اليهود، لا يجترأون على رسول الله ﷺ، ولا يستعلنون بالتحريض على المسلمين.

قتل سلام بن أبي الحقيق


حصن خيبر

وإزاء هذا العمل البطولي الذي قام به أبطال الأوس، رغب إخوانهم من الخزرج أن تكون لهم فضيلة مماثلة في نصرة النبي ﷺ، وجاءتهم هذه الفرصة بعد غزوة الأحزاب.. كان سلام بن أبي الحقيق من أكابر مجرمي اليهود، الذي حزبوا الأحزاب ضد المسلمين وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة، وكان يؤذي رسول الله ﷺ، فلما فرغ المسلمون من أمر قريظة استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتله، رغبة في إحراز فضيلة ومنقبة لهم في نصرة الدين مثل فضيلة إخوانهم من الأوس. وأذن لهم رسول الله ﷺ في قتله، ونهى عن قتل النساء والصبيان، فخرجت مفرزة قوامها خمسة رجال، كلهم من بني سلمة من الخزرج، قائدهم عبد الله بن عتيك.

خرجت هذه المفرزة، واتجهت نحو خيبر، إذ كان هناك حصن أبي رافع، فلما دنوا منه -وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحهم- قال عبد الله بن عتيك لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب، لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب.

قال عبد الله بن عتيك: فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلقَ الباب، ثم علق الأغاليق على وَد، قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمر عنده، وكان في علالي له،

فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحتُ باباً أغلقتُ عليّ من داخل. قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت. قلت: أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش، فما أغنيت شيئاً، وصاح، فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه، فقلت: وما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف، قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله. ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً، حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي، وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب. فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك صاح الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع. فانتهيت إلى النبي ﷺ، فحدثته فقال: ابسط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكِها قط. والقصة بكاملها رواها البخاري.

هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ، يتسابقون إلى المعالي وإلى مواطن الشرف والبطولة، ويقوم الرجل منهم مقام كتيبة، حتى كنا نعجب من بطولاتهم وشجاعتهم، حتى رأينا -اليوم- الذين اتبعوهم بإحسان من أبطال غزة، يسيرون على نهجهم، ويعيدون أمجادهم، فما يدري أحدنا والله من أي الفريقين يعجب! فلله دَرهم وعلى الله أجرهم.



والسؤال الآن، كيف السبيل إلى تلك المواطن، وكيف اللحاق بدرب أولئك الرجال؟

وفي الإجابة على هذا السؤال أسوق مشهداً من مشاهد غزوة أحد، أقدم به بين يدي الإجابة.

في طريق النبي ﷺ إلى غزوة أحد، عندما وصل إلى مقام يقال له (الشيخان)، استعرض جيشه فردّ من استصغره ولم يرَه مطيقاً للقتال من صغار الصحابة، إلا أنه أجاز رافع بن خَدِيج، وسَمُرَة بن جُنْدَب على صغر سنهما، وذلك أن رافع بن خديج كان ماهراً في رماية النبل فأجازه، فقال سمرة: أنا أقوي من رافع، أنا أصرعه، فلما أخبر رسول الله ﷺ بذلك أمرهما أن يتصارعا أمامه فتصارعا، فصرع سمرة رافعاً، فأجازه أيضاً.

الإعداد سبيل الاستعمال

لما أعد رافعٌ نفسه في وقت الرخاء، وامتلك مهارة يخدم بها دين الله عز وجل في وقت الشدة، استعمله الله وأقامه على ثغر الرماية، وكذا لما حمل محمد الزواري هَم الأمة وقضيتها المركزية، صنع الله على يده طائرات المقاومة، وما كان يحسب يوماً وهو يسهر الليالي ويصل الأيام دراسة وتحصيلاً وسعياً أنه سيُستعمَل على هذا النحو، ولكنه قام بما عليه من الإعداد والأخذ بالأسباب، فيسّر الله له السبل ومهد الله الطرق، حتى أقامه على ثغر من ثغور الإسلام.



محمد الزواري

وقِس على هذا حال كل من غيّر الله بهم في تاريخ هذا الأمة، ستجد أن سُنة الله فيهم جارية، تلك السنّة التي سطرها ربنا في كتابه قائلاً: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت ٦٩]. فهذه دعوة لكل صادق في رغبة العمل للدين، ونصرة قضايا المسلمين، دعوة لكل راغب أن يلحق بإخوانه في غزة، هذا هو سبيلهم، وهاك دربهم، هذا الدرب الذي ساروا هم فيه على هدي من سبقهم من صحابة النبي ﷺ، فمن أراد اللحاق بهم، فعليه بسلوك مسلكهم، واتباع منهجهم.

دع عنك سفاسف الأمور، وتضييع الأوقات والأعمار فيما لا يفيد، وقم الآن، انظر ماذا تُحسن، أو ما الذي يمكن أن تحسنه، وتخدم به دين الله عز وجل، واجتهد في تعلمه وتحصيله وإجادته، مستعيناً بالله عز وجل، قاصداً وجهه سبحانه، آخذاً بحظك من عبادات السر ومواطن التربية الإيمانية، واصبر على ذلك، واصطبر عليه..

حينئذ فاليقين معقود أن الله سيهديك سبيلك إلى الثغر الذي يرضاه لك ومنك، رجاء أن نكون ممن يصدق فيهم قول الله جل وعلا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التَّوۡبَةِ: ١٠٠].



د. رجب زكي عثمان

عضو مجلس الأمناء بالهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ



وجوب السعي لاستعادة الخلافة

الحمد لله الأحد الواحد، والصلاة والسلام على النبي القائد، وعلى آله وأصحابه الأماجد، أما بعد:

فإن نصوص الكتاب والسنة طافحة، وأحداث السيرة النبوية مشحونة بما يدل دلالة قطعية لا ريب فيها على أن الإسلام دين ودولة؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]. وقد زعم علي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) أن الإسلام رسالة روحية فقط، لكنها محاولة فاشلة أشبعها العلماء رداً وجردوه من درجته العلمية لطعنه في ثوابت الإسلام.

فرسالة محمد ﷺ لم تقتصر على الجانب الروحي كما كانت رسالة عيسى عليه السلام، الذي قال: «دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر». ومن ثم تصالحت النصرانية مع العلمانية التي تفصل الدين عن الدولة، واصطدمت العلمانية بالإسلام لأنه يُخضع الدولة لأحكام الشريعة.

وقد كانت الهجرة النبوية حدثاً فارقاً في تاريخ الإسلام، ومرحلة فاصلة ونقلة هائلة من الاستضعاف إلى التمكين وتأسيس الدولة، التي بدأت نواتها في المدينة المنورة ثم نشرت شعاعها على العالم شرقاً وغرباً.

وإذا كانت بعض شعائر الإسلام يمكن أن يقوم بها المسلم بنفسه ويؤديها بمفرده، فإن كثيراً من شرائعة لا تُطبق ولا تحقق إلا بدولة مرجعيتها الشريعة، فالدولة هي التي تملك من النفوذ والسلطان والسطوة، ما تفرض به الأمن، وتبسط العدل، وتقيم الحدود والقصاص، وتمنع المنكرات بالقوة، وتُحيي الجهاد، وتقسم الفيء، وتوزع الصدقات... إلخ.

وقد عاش المسلمون في ظل الدولة الإسلامية منذ تأسيسها إلى سقوط الدولة العثمانية على يد أتاتورك، وقد تعانق مفهوم الأمة مع مفهوم الدولة، فكان المسلمون أمة ودولة وتعاقبت الشعوب التي دخلت في الإسلام وحملت لواء قيادة وحماية الدولة، فبعد دولة النبي ﷺ التي بسطت سيطرتها على شبه الجزيرة العربية جاءت دول أخرى تنبأ بها الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن حُذَيْفَةَ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:



«تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»[1].

فكانت الدولة النبوية هي الدولة الإسلامية الأولى، ثم أعقبتها دولة الخلافة الراشدة والتي استمرت ثلاثين عاماً، وفي الحديث: «خلافةُ النُّبوَّةِ ثلاثون سنةً، ثم يُؤتي اللهُ الملكَ مَن يشاءُ»[2].



وقد حسب العلماء فوجدوا أن الخلافة الراشدة كانت في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وتمت الثلاثون عاماً بالستة أشهر التي تولاها الحسن، ثم صالح معاوية فانتقلت الخلافة الراشدة إلى المُلك.

والخلافة الراشدة على منهاج النبوة هي نظام الحكم المثالي النموذجي المرضي في الإسلام، وهي وإن انقطعت بعد ثلاثين عاماً لكنها تعود في آخر الزمان على يد المهدي؛ كما أخبرت بذلك الأحاديث.

١ رواه أحمد في (المسند)، (٣٠/ ٣٥٥)، قال محققو المسند: إسناده حسن.

٢ عن سفينة مولى رسول الله ﷺ، وصححه الألباني: صحيح الجامع، ٣٢٥٧.

مميزات نظام الخلافة

وتميز نظام الخلافة الراشدة بأمور هي:



١ أن المسلمين كانوا أمة واحدة تجمعهم دولة واحدة.

٢ أن الخليفة يُختار بشورى وبيعة من المسلمين من غير قهر ولا إجبار.

٣ أن الحكم في دولة الخلافة الراشدة يكون بالشرع الشريف.

ثم أعقب الخلافة الراشدة مرحلة الملك العاض، ومنه قولهم: عضتهم الحرب والسلاح والدهر. فتغيرت طريقة اختيار الحاكم من الشورى في نظام الخلافة الراشدة إلى التغلب والتوارث في النظام الملكي؛ وفي الحديث: «لَتُنْقَضَن عُرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهنّ نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة»[٣].

فانتقاض عروة الحكم كان بالتحول من الشورى إلى الـمُلك؛ لكن ولاية معاوية كان فيها رحمة؛ ففي الحديث: «أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون مُلكاً ورحمة، ثم يتكادمون عليها تكادم الحمير، فعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان»[٤].

---

٣ رواه أحمد وغيره وصححه الحاكم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.
٤ رواه الطبراني، قال الهيثمي: ورجاله ثقات. وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة.

وقد استمرت مرحلة الملك العاض -أو العضوض- في عهد الدول الأموية ثم العباسية ثم العثمانية. ويظهر -والله أعلم- أن مرحلة الجبرية أي الاستبداد التي يتفشى فيها القهر وينتشر الظلم هي مرحلة الدول المعاصرة التي نعيشها، وننتظر زوالها بعودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، إن شاء الله تعالى.

وجوب استعادة الخلافة على كل مسلم



وواجب على كل مسلم أن يبذل طاقته وجهده ويوظّف مواهبه وملكاته لقيام هذه الدولة؛ فالمسلمون في أمس الحاجة إليها، وقد طحنتهم الحروب وتخطفتهم الأمم، ودماؤهم تنزف غزيرة في غزة والسودان، وهم مضطهدون في بقاع عديدة؛ كالصين والهند، وأبيد منهم جَم غفير في البوسنة والهرسك والشيشان وغيرها. ولا خلاص لهم إلا بدولة تجمع شتاتهم، وتذود عن حياضهم وتحمى بيضتهم.

بل إن البشرية جميعاً والإنسانية كلها تتشوف إلى قيام هذه الدولة، التي تغيث الملهوف وتنصر الضعيف وتنشر رسالة الإسلام، التي فيها سعادة الناس -كل الناس- عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم.



الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الهجرة ونصرة غزة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على من اصطفى محمد وآله وصحبه وبعد:

لا تقوم حضارة ولا تسقط أخرى إلا وفق السنن الكونية التي جعلها الله من نواميس الكون، وإن أسباب قيام الحضارات يمرّ بمراحل كمراحل نمو الإنسان، بين فترة الطفولة إلى الشباب مروراً بالكهولة ثم إلى الشيخوخة وبعدها السقوط، وأن السقوط يحتاج إلى معالجة جادة من نطَّاسيين عالِمين أمناء، وأن هذه الحياة مسرح للصراع بين الحق والباطل.

سنن التمكين

ولا يزال التدافع باقياً ما بقي إنسان على وجه الأرض فكيف إذا كان الصراع قائماً بين حزب الله الذي مهمته إقامة دين الله في الأرض، وحزب الشّيطان الذي مهمته تحقيق

يمين إبليس بإغواء أكثر الناس عن سبيل الله، فإنّ هذا الصراع لا يمكن أن يتوقف حتى تقوم الساعة، وإن الأمة الخاتمة جزء من هذا الصراع الطويل المرير، فكلما تمسكت بالوحي واستنارت بهداه تيسر لها التمكين على وجه المعمورة، وكلما طُمست بين يديها تلك المعالم تخبطت ذات اليمين والشمال حتّى تجد من يأخذ بيدها إلى الطريق السوي، والصراط المستقيم.

وإنّ من سنن الله في الكون بعث المجددين لها على رأس كل مائة عام إما على هيئة أفراد، أو جماعات، أو قبائل، أو شعوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1].



ومن رحمة الله بالأمة الإسلامية أنه يتعاهدها بوجود العلماء أو الحكام، الذين ينشرون الدين كما كان على عهد النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم. ومعنى «إن الله يبعث»، أي: يرسل، ويوجد ويقيّض، «لهذه الأمة»، أي: أمة المسلمين، وقيل: للعالم كله، «على رأس كل مائة سنة»، أي: انتهائها أو أولّها، عندما يقلّ الدين وتهجر السنن ويكثر الجهل والبدع، «من يجدد لها دينها»، أي: يظهر ما نسي وهُجر العمل به من الدّين، وينشر السّنن، ويحارب البدع.

---

١ رواه أبو داود (٤٢٩١) وصححه الألباني.

ولفظة «مَن» عامة وتقع على الواحد والجمع، وليس فيها تخصيص المجددين بأنّهم الفقهاء أو العلماء فقط، فإنّ انتفاع الأمة بهم وإن كان كثيراً فانتفاعهم بأولي الأمر والحكام الصّالحين أمر واضح أيضاً، فبهم يحفظ الدين ويبث العدل، كما أن العلماء يضبطون أصول الشرع وأدلته، وفي الحديث: بيان لحفظ الله سبحانه وتعالى لدينه، ومعالم التجديد اليوم بارزة في المفاهيم التي لقنتها حرب غزة المستعرة في العالم كله، بله المسلمين.

معالم الهجرة وبصيص الأمل

تتجدد السنة الهجرية فيتجدد معها الأمل في عام جديد يحمل في طياته انبعاثاً جديداً للأمة، وصناعة حلم لطالما راود المُتشوّقِين لصناعة مجدٍ جديد يتضوّع عبق التاريخ، وصناعة التّحدي الحاضر، ولكن الذكريات وحدها لا تصنع مجداً، وإن كانت هنالك فوانيس من نور يحاول شقّ الظلام باستماتة وجهد عظيم، فذاك يحتاج إلى مساندة من الأمة لو عقلت معناه، فالعبرة بالهجرة أن تعبر الأمة جمعاء من أمواج الإهمال إلى شاطئ النجاة والكمال، والهجرة تحي في النفوس وهج أشعة تحرق الباطل وأهله، وتنير للحق وأتباعه، لا أن تكون منارة للاجتماع للرقص والأكل والدوران كما يدور الثور في رحاه، ولا مساراً للتغني بضياع مجد أضعناه، ولم نعمل لعودته وإحياء مساره.



إن الهجرة تعني الانتقال من الذلة والاستضعاف إلى العزة والرفعة والقيادة، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

الهجرة تعني الكفر بالباطل بكل تقاسيمه وأنواعه، واستشعار نعمة الدين والأمن والإيمان وتوحيد الملك الديان ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

إنّ الهجرة تعني هجرة ميراث النبوة من ضيق العمل والملاحقة إلى فضاء التطبيق والمحاققة، إن الهجرة أيها السادة هي العنوان الجديد لنبوة خاتمة ورسالة شاملة، قال البشير الإبراهيمي رحمه الله: «هجرة محمد ﷺ وأصحابه كانت هجرة قوة كاثرها الباطل المتهافت، والشرك المتخافت، وعاقها عن امتداد العروق، وبُسوق الأفنان في أرضها التي فيها نبتت، وجوّها الذي فيه تنفست، وقد طاش ذلك الباطل الطيشة الكبرى، وبحث عن حتفه بظلفه، فأخرج تلك القوة إلى حيث تزداد قوةً ورسوخاً، وهذا من عجيب صنع الله لهذا الدين القوي الراسخ».

فسبحان من جعل المحنة منحة، وما أمرُ غزة عنا ببعيد، فلو لم تحاصَر لما صنعت سلاحها، وحققت مرادها، لا تقُل إن الثمن كبير ولكن قل إن المشتري عظيم، ولهذا لابد لكل فئات الدعوة والصحوة الالتفات إلى تجميع قوتها لتصير رقماً، وهي بحمد الله لها من



القواسم المشتركة ما يؤهلها لصناعة نتائج مباركة لهجرتها. وأرى أن أفغانستان يمكن أن تكون نواة القدوة في صناعة التمكين المرتقب، وغزة بعد لململة جراحها بإذن الله قد أزاحت كثيراً من الظلام الكثيف، فقد أثبتا للعالم أن المسلم يمكنه بناء مجده من قوته المعنوية، ومن هجرته للباطل والتمسك بهويته الإسلامية لا غير.

تمكين معاني الهجرة

إن على الدعاة أن يطرقوا جميع أبواب الهجرة الموصدة اليوم وتمكين معانيها السامية في النفوس؛ لأن بعد الهجرة تحققت:



❁ **الأخوّة الإسلامية الصادقة**، والتي تُعد أهم قوة تُدافع عن الحق؛ فلاينبغي أن يكون بينها شقاق حتى لا تتشقق، وهذا الذي نعانيه اليوم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

فأي جماعة تسعى لهدف واحد يتعين عليها تمتين العلاقات بين أفرادها، علاقة تقوم على أساس العقيدة الصافية، فكان لهم بذلك التمكين في الأرض في أقصر مدة عرفتها البشرية؛ فأسقَطوا بها أعظم إمبراطوريتين قامتا قبل الإسلام، فعلى الجماعات العاملة في الساحة أن تراجع هذه الركيزة وتبنيها على أساس الولاء لله وحده.

بناء المراكز التربوية والقيادية على تقوى من الله ورضوان، إذ هي مصانع الرجال ومراكز تربية العفيفات الطاهرات صانعة الأبطال، كما قال الله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].


مسجد قباء

وكان ذلك الأس الذي بدأ به النبي ﷺ، وهو بناء المسجد الذي سيكون اللبنة الأولى في بناء المجتمع المسلم، والذي تنطلق منه الجيوش الفاتحة، بل شارك بنفسه وهو يغرس بكلماته في نفوس أصحابه أن أفضل حِمال هو ما يحمله العبد للآخرة

هذا الحِمَالُ لا حمالُ خَيْبَرْ •• هَذَا أَبَرُّ ربَّنا وأطْهَر

صار المسجد مدرسة للتعليم ومكاناً للعبادة ومنبراً للوعظ وإلقاء الشعر، ذبًّا عن الدعوة والدولة، ومأوى للضعفاء والفقراء، ومحلاً للأسرى، ومركزاً صحياً للعلاج كما في قصة خيمة رفيدة، يتوسط المدينة كما يتوسط القلب أعضاء البدن.

إنها معاني جديدة للمسجد ليكون محور الرحى، ومحط الأفئدة والأنظار، وإنّ احتلال بيوت الله في عصرنا من أقوام لا يحملون همّ الرسالة، ولا هاجس الدعوة، ولا عبور الهجرة من الباطل إلى الحق، ومن الكفر إلى الإسلام، ولا يستشعرون المسؤولية الملقاة على عاتقهم.. لهم حرّاس مساجد ضرار، ولا سيما مَن وقف منهم مناوئاً للخير وأهله، يسارع في الإفك والزور، وينشر في المجتمع الويل والثبور، ويقف إلى جانب

أعداء الملة والدين؛ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].



❁ **المراكز الاقتصادية القوية الحرة التي لا تحكم فيها الإمبراطوريات الرأسمالية ولا الاشتراكية ولا تسيرها العولمة المارقة،** حيث جعل للمسلمين سوقاً تجمع تجارهم، وتغني ضعفاءهم، وتزيل عن كواهلهم جشع اليهود القابعين في سراديب المكر والخديعة، الجاثمين دوماً أمام خوار العجل الذي أُشربته قلوبهم.

❁ **استقلال الموارد وعلى رأسها المياه التي تشكل أعظم رافد في الحياة؛** حيث ندب النبي ﷺ إلى شراء تلك البئر العذبة لتكون خالصة للدولة الفتية وأهلها، وذلك أنه لما قدِم المهاجرون المدينة المنورة لم يستسيغوا ماءها، وكان بئر رومة من أعذب مياه الآبار في المدينة، فكانوا يستقون منه بالثمن، فأرهقهم ذلك، فعندئذٍ حثّ رسول الله ﷺ أصحابه إلى شراء بئر رومة والتبرع به للمسلمين، ووعد على ذلك بعين في الجنة، فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه وجعلها وقْفاً للمسلمين.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: «بئر رومة: بضم الراء: بئر بالمدينة اشتراها عثمان رضي الله عنه وسبلها: أي جعلها وقفاً».

وفي معجم الصحابة للبغوي، والمعجم الكبير للطبراني، وفي سنن الترمذي عن بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء (لم يستسيغوا طعمه)، وكانت لرجل من بني غفار عين

(ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري) يقال لها: رومة، وكان يبيع منها القِربة بمُدّ (مقدار ما يملأ الرجل كفيه طعاماً)، فقال له النبي ﷺ: «تبيعنيها بعين في الجنة؟» فقال: يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها. فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: «نعم». قال عثمان: قد جعلتُها للمسلمين».

وفي رواية: «فاشتريتها من صلب مالي». وقد استدل الإمام السندي بقول عثمان رضي الله عنه في قوله في وقفه لبئر رومة للمسلمين: «(من صلب مالي) على أنه يُستحبّ للواقف أن يختار الغالي والنّفيس، ويبتعد عن الحقير الخسيس في الوقف والصدقة، لأنّ عثمان رضي الله عنه أخبر أنّ هذا الوقف من صلب ماله، وصلب المال كما فسره العلماء: أصل المال وخياره».

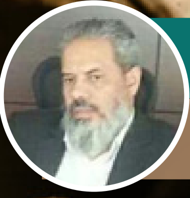
أغيثوا غزة

فأين أهل الأموال لينافسوا عثمان رضي الله عنه اليوم في حفر آبار وتوفير الطعام والماء والدواء لأهلنا في غزة، والذين هُجروا من ديارهم وأموالهم؟

ألا إن الهجرة بمعانيها العظيمة من النصرة والتجرد والعطاء ما زالت أبوابها مفتوحة؛ فهلموا يا أغنياء المسلمين ويا ضعفاءهم لجبر كسرنا في غزة، ولكسر العدو الغاشم في أرض العزة، يا من لا تستطيعون أن تهجروا (البيبسي) و(الكوكاكولا) والدماء تراق أخشى عليكم النكوص والنفاق! أيروقكم كسر إخوانكم وإراقة دمائهم بما تدفعونه لشركات الصهيونية العالمية المتمالئة مع أعداء أمتكم؟!

ألا هل من مبلغ أمتنا أن نصرها اليوم سيكون فيه عزها وسؤددها؛ لأن جهاد اليوم بأيد متوضئة طاهرة تتلو القرءان؛ فتجعل من رسائله منارات للعالم كله.

والسلام.



د. حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

غزة والسودان

جرحان غائران في جسد أمة منهكة

قبل أيام قلائل مرّ بنا عيد الأضحى المبارك، وكنا في طفولتنا ننتظر هذا العيد بالذات بشغف شديد، وفرحة غامرة، فالأهل يذبحون أضحياتهم هنا وهناك، ونحن نجري ونلعب، ونتلقى الهدايا من الأعمام والعمات والأخوال والخالات، بل حتى من إخواننا الكبار، ثم نوزع اللحم على الجيران والأصدقاء، أو نرى هدايا اللحم تأتينا من جيراننا، ونجتمع ونتزاور ونأكل عدة مرات باليوم في كل مكان نذهب إليه، فاللحم موجود عند كل بيت، لذلك كنا ننتظر العيد.

وما أن كبرنا وأصبح لنا أولاد صرنا ننتظر العيد لنرى الفرحة في عيونهم، وهم يتساءلون كم يومًا سيكون العيد؟!

لكنّا في الأعوام الأخيرة، وخاصة عامنا هذا، أصبحنا وكأننا لا نشتاق لمجيء العيد، ولما جاء العيد لم نشعر بطعمه، لا في عيوننا ولا في عيون أطفالنا، وذلك لكثرة المآسي من حولنا.. فلو نظرنا شرقًا أو غربًا أو شمالًا أو جنوبًا وجدنا الآلاف من المشردين واللاجئين والباكين واليتامى والمساكين والضائعين، من أهلنا وأبناء إخوتنا وأبناء عمومتنا، فكيف تأتينا الفرحة مع هذه المآسي؟!

وكيف يفرح أبناؤنا وصور أطفال غزة وهم محروقون بالقنابل، وهم رؤوس بلا أجساد أو أشلاء بلا رؤوس، هذه الصور عالقة بأذهانهم لا تفارق مخيلتهم، كيف يفرحون وهم يسألوننا هل هذا المجرم الذي يقتل الأطفال في غزة من الممكن أن يأتي غدًا لدُورِنا ويقتلنا مثلهم؟!

إن كثرة المآسي من حولنا صارت كابوسًا على رؤوسنا، وخاصة في غزة التي تواجه طغيانًا صارخًا، وكذا السودان البريء الطيب المسالم وهو يواجه مرتزقة لا هَم لهم سوى القتل والتشريد ونهب الأموال والممتلكات.

غزة والسودان



سافرت للسودان منذ أكثر من عشر سنوات، وكان الرجل الطيب (عمر البشير) يحكم السودان، وكانت هناك علاقة حميمة بين السودان وغزة، بل بين السودان وأهل فلسطين عامة، فحركة (حماس) لا بأس عليهم وهم في السودان، يتحركون بين أهلهم، وأهل السودان يجمعون التبرعات للمسجد

الأقصى في كل مساجدهم، ويتحدثون عن تحرير المسجد الأقصى في كل مساجدهم وفي جُل خطبهم، وحكومة السودان هي الظهير الأول للقضية الفلسطينية، وعلماء وقادة السودان يستقبلون الفلسطينيين استقبال الأحباب الفاتحين، سواء كانوا من حركة حماس أو من غيرها من فصائل المقاومة، وكانت ما تُسمى بإسرائيل تتهم السودان بأنه يمد (حماس) بالأسلحة، وأنه ينقل لها السلاح الإيراني، وأنه يقيم مراكز لتدريب المجاهدين على أرضه، وكان البشير وحكومته دائمي الدفاع عن القضية الفلسطينية، وكانوا أيضًا يدافعون عن علاقتهم السياسية بحماس دون خجل أو مواربة.

غزة ما زالت تنزف



غزة التي رفعت لواء الجهاد في سبيل الله تعالى، والتي انتفضت لتحرير أرض فلسطين وتحرير مسرى النبي الكريم ﷺ، وتحرير أهل فلسطين من الذلة والمهانة والتبعية، وكانت على أمل بأن تقوم الأمة بواجبها نحو غزة، لا من قبيل أن تجاهد معهم (لا سمح الله) كما قال الملثم -حفظه الله- لكن من قبيل أن يقفوا في صف الأطفال والنساء والشيوخ، فيمنعون العدو من قصفهم، أو حتى يحاولون إدخال المساعدات لهم، لكن يا للأسف فحكام الأمة الجاثمون على صدرها وقفوا في صف العدو، وتركوا أهل غزة مشردين بلا مأوى، جراحهم تنزف بلا توقف، شهداؤهم كل يوم بالمئات، لا مخيمات تأويهم، ولا طعام يكفيهم، ولا علاجات تداويهم، الحمم عليهم كل يوم تُصَبُّ صبًا، وآخرها في رفح حتى المخيمات أحرقوها ودمروا ما فيها، ثمانية أشهر وغزة ما زالت تنزف.

آه على السودان الجميل



عشت في السودان أكثر من تسع سنوات ولولا ما أصابها لما برحتها، فهم يحبون الضيف ويكرمونه، خاصة لو كان من مصر ويطلقون عليه ابن النيل، أو كان من أهل فلسطين، تسع سنوات بين أهلي وعشيرتي من أهل السودان الموصوفين بالكرم وحسن الخلق وطيب العشرة ونقاء الصحبة، تسع سنوات لا أتذكر مشكلة ذات بال مع سوداني واحد، تسع سنوات لم تسمع أذني شتمًا ولا سُباب دين، المساجد عامرة بالمصلين، بل والأسواق تقام بها الصلوات على قارعة الطريق، كان لي بها مسجد عامر بأهل الإيمان، جامعاتها وكلياتها يقصدها الناس من كل مكان، ويكفي أن جامعة إفريقيا العالمية وحدها كان بها تسع وسبعون جالية من كل أنحاء الدنيا.

وإذا سرت بالسودان في رمضان خاصة شعرت بكل معاني الكرم والبساطة، فغير مسموح لك بالمرور وقت الإفطار دون الجلوس وتناول الإفطار مع القوم، وما أكثر الموائد التي تملأ الشوارع والطرقات! نعم هي دولة أغلب أهلها فقراء لكن مواردها مطمع لكل أهل الأرض وفرص العمل بها متوفرة بكثافة لمن يريد في أي مجال أراد، فمناجم الذهب في أغلب أنحاء البلاد، والصمغ العربي لا يوجد له شبيه في الدنيا، والثروة الزراعية مترامية الأطراف، والغابات الكثيفة التي تنتج أجود أنواع الفحم،

فأرض السودان المستوية والمياه المتوفرة في النيل ومن الأمطار، والمناخ الجميل الملائم، يجعل الزراعة سهلة المنال إذا توفرت الإمكانيات لها، هذا فضلًا عن اتساعها وتنوع مناخها مما يزيد من تنوع محاصيلها، ووجود السودان في قلب الوطن العربي وقلب القارة الإفريقية يجعل له أهمية خاصة، هذا كله مع وجود أهلها المتمسكين بالإسلام جعل العالم يفرض عليها حصارًا طويلًا، بل وجعل المؤامرات الخارجية لا تنقطع عن السودان ليلًا ولا نهارًا.

المؤامرات الخبيثة على السودان



ولكل هذه الميزات -سالفة الذكر- تآمر عليها المتآمرون، ومع أخطاء ليست باليسيرة من الحكومة السابقة، وخاصة المشكلة الاقتصادية، جعل المؤامرة الأخيرة تؤتي ثمارها في إزاحة الحكومة وتغيير الوضع في البلاد، فازداد التدخل الأجنبي في البلاد، وعمل المتآمرون -أول ما عملوا- على هدم الثوابت وتنحية الدين وتغيير مناهج التعليم مما أثار حفيظة الشعب عليهم، فلفظهم من أول وهلة، ثم ازداد الأمر سوءًا بأن تمردت قوة مسلحة على الجيش وعلى الشعب، واستعانت بالمرتزقة من الجهلة وكارهي الدين والإنسانية، مدعومة بالأموال المشبوهة والأسلحة المهربة من الدول المتآمرة، فأحدثت حربًا شديدة دخلت شهرها السادس عشر.

وقد خلف دمارًا هائلًا في السودان، فخربت العاصمة الخرطوم، واشتعلت نيران الحرب في دارفور، وطالت الحرب بعض المناطق الأخرى كالجزيرة وكردفان، ومن جراء الحرب قُتِل الآلاف من المدنيين العزل البسطاء، وشُرِد أكثر من ثمانية ملايين من أهل السودان، فضلًا عن الإصابات، وعمَّن ماتوا جوعًا وعطشًا في الصحراء، وعمَّن التهمتهم الوحوش في البرية، أو لدغتهم الحيات والعقارب، فضلًا عمَّا حدث من النهب والسلب والتدمير، بل ومن اغتصاب النساء الحرائر، وغيرها من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، وما زالت مخيمات اللاجئين شاهدة على إجرام المتمردين وداعميهم عربيًا وإقليميًا ودوليًا.

دور الأمة الغائب

ولا نتحدث هنا عن دور مجلس الأمن ولا الأمم المتحدة ولا حتى عن منظمات حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الطفل، ولا عن المحاكم الدولية والجنائية، وذلك لعلمنا أن هذه المؤسسات كلها أنشئت لأجل خدمة الإنسان الأبيض، بل الإنسان اليهودي أو النصراني الأبيض، وأنها أنشئت خصيصًا للتغطية على كل جريمة ضد المسلمين وبلادهم، لكن حديثنا عن مأساتنا نحن في غياب دور الأمة الإسلامية، ورغم علمنا بضعف دور الأمة منذ زمن بعيد، لكننا آلمنا كثيرًا غيابها التام عن مناصرة قضية المسلمين في غزة التي تئن منذ تسعة أشهر، وكذا عن قضية السودان ذات الأهمية القصوى.

والذي يضاعف ألمنا أن غياب الأمة غيابًا ممنهجًا لا عفوائيًا، وغيابًا مقصودًا وليس عن ضعف منها، بل عن تآمر حكامها وعمالتهم للأجنبي المحتل الغاصب، غيابًا ينم عن إرادة خبيثة من هؤلاء الحكام في تسليم الأرض كل الأرض والموارد كل الموارد لأعداء الأمة، بل والمساعدة الكاملة في إنهاء أي قوة أو عزيمة تريد للأمة أن تنهض من جديد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بارقة أمل



ورغم هذا كله إلا أن هناك بارقة أمل، وشعاع نور يلوح في الأفق، يؤذن بميلاد فجر جديد لهذه الأمة بإذن الله تعالى، فشباب غزة الغاضب الثائر، وشعب غزة الأبي المجاهد الصابر المرابط من خلف المقاومة الباسلة، وشباب السودان الحر البطل الذي قام وانتفض، واللجان الشعبية التي وهبت نفسها لقتال المتمردين، وهي تعشق الشهادة في سبيل الله تعالى دفاعًا عن أهلها ووطنها، بل والغضب العارم بين صفوف الأحرار من أبناء الأمة لما يحدث ويحاك للأمة، وعلو نبرة المطالبة بوحدة الأمة، وبفتح باب الجهاد في سبيل الله تعالى، والسخط الشديد على الحكام الخانعين لعدوهم، ومسارعة الشعوب للبذل والإنفاق بقدر استطاعتهم، مع قلة حيلتهم، وبروز ثلة من علماء الدين الربانيين يصدعون بالحق ولا يخشون في الله لومة لائم، مما حدى بالشباب أن يلتف حولهم وأن يبتعد عن علماء السلاطين المنافقين للحكام المستبدين، وسريان حب الشهادة في سبيل الله تعالى بين كثير من أبناء الأمة، بل ما رأيناه من نصر عظيم للمجاهدين في غزة بفضل الله تعالى، وما رأيناه من تقدم للمدافعين عن وطنهم في الآونة الأخيرة في السودان.. كل هذا يعطي بارقة أمل جديدة لعودة هذه الأمة إلى مكانتها الطبيعية بين الأمم، وإلى تمسكها بحبل ربها سبحانه وتعالى.

وماذا بعد؟

ماذا بعد كل هذه المآسي، وكل هذه الخيانات والدسائس، وكل هذه المؤامرات الواضحة على بلادنا وشعوبنا؟ ماذا بعد ما رأينا وشاهدنا عزة المجاهدين في غزة، وانتصارات ولو ما زالت جزئية للمجاهدين في السودان؟



فيا شباب الأمة ورجالها، اعلموا أنه ليس من شيء بعد ولا من حل إلا بالجهاد في سبيل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

ولذا فالجهاد في سبيل الله تعالى هو السبيل الوحيد لإعزاز هذه الأمة، وترك الجهاد في سبيل الله تعالى سبيل إلى الذلة والمهانة، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[١].

١ أبو داود رقم ٣٤٦٢، وصححه الألباني.

قال الشيخ أبو الحسن السندي: فيه إشارة إلى أن من فعل العِينة وترك الجهاد فقد خرج من الدين[٢].

ومن هنا أيضًا كان الجهاد في سبيل الله تعالى لا يعدله عمل في الحياة الدنيا، عن أبي هريرة قال: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عز وجل؟ قال: «لا تستطيعوه». قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ». وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صيام وصلاة، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»[٣].

قال الإمام النووي: «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ عَظِيمُ فَضْلِ الْجِهَادِ لِأَنَّ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْقِيَامَ بِآيَاتِ اللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، وَقَدْ جعل المجاهد مثل من لا يفتر عَنْ ذَلِكَ فِي لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحَظَاتِ، وَمَعْلُومٌ أن هذا لا يتأتى لِأَحَدٍ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «لا تستطيعونه» وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[٤].

ولذا بيَّن النبي ﷺ ألا شيء يعدل الجهاد في سبيل الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ قَالَ: «لَا أَجِدُهُ». قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟» قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ! قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ»[٥].

اللهم ارزقنا الجهاد في سبيلك مقبلين غير مدبرين، وأعز بنا الإسلام والمسلمين.

---

٢ فتح الودود في شرح سنن أبي داود ٣/ ٥٧٠.

٣ مسلم رقم ١٨٧٨.

٤ مسلم بشرح النووي ١٣/ ٢٥.

٥ البخاري رقم ٢٧٨٥.



د. حسن سلمان

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

شعيرة الحج.. المقاصد والعبر (٢/٢)



البراءة من المشركين

إن الحج فريضة توحيدية منذ أن شُرِع، وكلما انحرف الناس بها من التوحيد إلى الشرك جاءت الشرائع لإعادتها إلى روحها الحقيقية، بل وجاءت لمخالفة ما كان عليه أهل الشرك من مناسك تخالف التوحيد، ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «استقرت الشريعة على قصد مخالفة المشركين لا سيما في المناسك»[١]، ونلمس هذه المخالفة فيما يلي:

- الخلاف في التلبية، فكانت تلبية المشركين: «إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»، بينما وردت تلبية التوحيد: «لبيك لا شريك لك». رواه مسلم.

١ تهذيب السنن (٣/٣٠٩).

- تحريم الطواف بالبيت من غير سترة، فقد كان الناس في الجاهلية يطوفون عراة إذا لم يجدوا ملابس بمواصفات محددة من قريش، وكان شعارهم:

اليوم يبدو كله أو بعضه •• وما بدا منه فلا أحله

- الإفاضة من عرفات على خلاف قريش التي كانت تفيض من أطراف الحرم مخالفة بذلك بقية الحجاج، ومكرسة لمفهوم الفوقية القرشية على سائر الناس.

- الإفاضة من عرفات بعد الغروب، خلافاً للمشركين الذين كانوا يفيضون قبل الغروب.

- الدفع من مزدلفة بعد طلوع الشمس، خلافاً للمشركين الذين كانوا يندفعون قبل طلوع الشمس.

- إبطال النبي ﷺ لعوائد الجاهلية ورسومها؛ كما في خطبة حجة الوداع: «كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع»[٢]،ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في ذلك: «وهذا يدخل فيه ما كانوا عليه من العادات والعبادات»[٣].

الحج تربية وتزكية وتحقيق للمراقبة

إن المتأمل للأحكام الشرعية الإيمانية والتعبدية يلاحظ أنها ترتكز على ثلاثة أنواع من المراقبة:

- رقابة ذاتية مكانها القلب والدواخل؛ فالإنسان رقيب نفسه.
- رقابة مجتمعية؛ يفرضها المجتمع من حولنا.
- رقابة إلهية فوقية؛ يستشعرها العبد المؤمن.

---

٢ أخرجه مسلم، كتاب الحج.

٣ اقتضاء الصراط المستقيم (٣٠١/١).

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

والحج يحقق الرقابة في أعلى صورها؛ فالإنسان رقيب نفسه قبل كل شيء، وينظر إلى الرقابة الإلهية التي يسعى جاهداً إلى أن لا يراه الله تعالى حيث نهاه ولا يفتقده حيث أمره، كما أن رقابة المؤمنين بعضهم لبعض من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعمال النصح لكل مسلم متوفرة في الحج، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧]. والحج تربية للضمائر والدواخل (الجوانية) فقد جاءت الشريعة بتجريم وتأثيم الإرادة القلبية السيئة في الحرم قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وأعظم ما يلاحَظ في هذا الأمر اختلاط الرجال والنساء في المناسك دون أن يكون هناك مواقع خاصة بالرجال وأخرى بالنساء، وخاصة في الطواف بالبيت، ومع ذلك تبقى الرقابة ذاتية يراعي فيها الإنسان المراقبة الفوقية (الله جل جلاله) قبل كل شيء.



التربية الأخلاقية

من أعظم الدروس المستفادة من شعيرة الحج ترسيخ التربية الأخلاقية في أبهى صورها على النحو التالي:

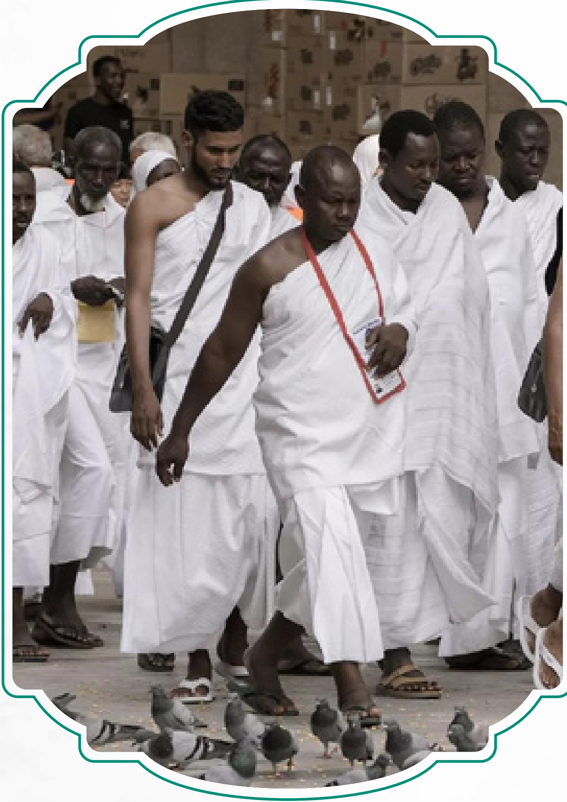
- العفة وترك الفسوق والعصيان: وذلك بالابتعاد عن الجماع والمباشرة وكافة المقدمات المؤدية إليه أو كل ما يؤدي للفواحش والفسوق والعصيان، قال تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

- كظم الغيظ وترك الجدال والمخاصمة، قال تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

- إنكار الذات والاندماج في المجموع، وهي حالة حاضرة في كافة مناسك الحج.

- الرفق واللين والسكينة، قال ﷺ: «أيها الناس عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع (يعني الإسراع)»[٤].

- البذل والسخاء، وذلك بدنياً ومالياً.



- التربية على تحمل تبعة الخطأ ويظهر ذلك في الفدية.

- التربية على التواضع، وخاصة أصحاب الوجاهات وأهل الدثور.

- التربية على الصبر، لأن الحج هو نوع من الجهاد الذي لا قتال فيه، كما أخبر النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها، وكما جاء عن الحسين بن علي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني جبان، إني ضعيف، فقال ﷺ: «هلم إلى جهاد لا شوكة فيه: الحج»[٥].

---

٤ رواه البخاري، حديث رقم (١٦٧١).

تحقيق الرباط بين الدين والدنيا

فإن الحج هو مكان للتعبد والتنسك والذكر تهليلاً وتسبيحاً وتحميداً وتكبيراً، كما هو موسم للتجارة وتبادل المنافع الدنيوية، في ربط محكم لا تعارض بينه، قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٩].

التربية على النظام والانضباط

ويظهر ذلك من خلال الضبط الزماني والمكاني والانضباط في الشعائر بمواقيت محددة، دون أي خروج عن المطلوبات الشرعية، وأن الخروج والمخالفة تترتب عليه أحكام لتلك المخالفات؛ مما يعزز روح الانضباط عامة في حياة الإنسان كلها.



التواصل مع الأسلاف

وتحقيق الارتباط الوجداني معهم، وتشكيل الذاكرة التاريخية عن مسيرة أهل الحق والإيمان؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

٥ رواه الطبراني في المعجم الكبير ح/٢٩١٠، رواته ثقات.

وأن الانتساب إلى إبراهيم من قِبل اليهود والنصارى إنما هو ادعاء وأن المسلمين أولى الناس بالانتساب إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

التيسير ورفع الحرج



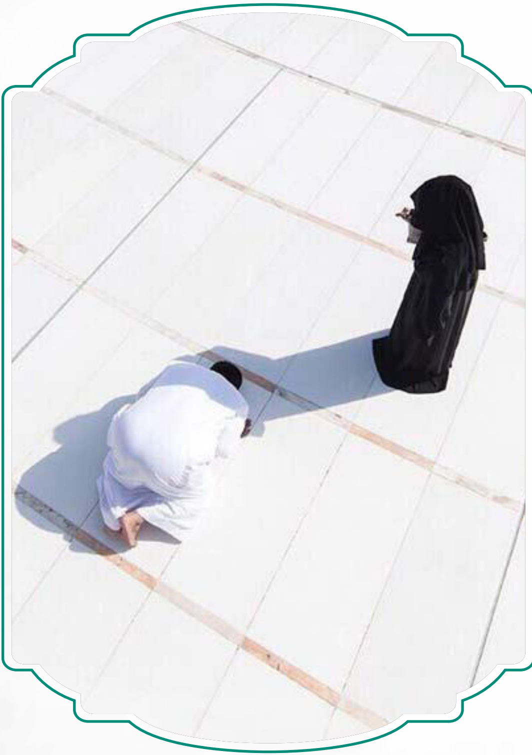
بناء الفريضة على الاستطاعة؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وضع الخيارات في النسك وعدم التضييق (إفراد - تمتع - قران) حسب أحوال الناس وظروفهم.

بناء الأحكام كلها على التيسير ورفع الحرج؛ لما جاء عن النبي ﷺ أنه ما سُئل عن أمر قدم ولا أخر إلا قال: «افعل ولا حرج». كما نلاحظ أن التيسير يتخلل الشعائر كلها؛ فركعتا الطواف تتوسط الطواف والسعي، والتروية تتوسط الطواف و السعي وعرفة، ومزدلفه تتوسط عرفة وما بعدها، والتحلل الأصغر يتوسط التحلل الأكبر والإحرام التام، فإن خلاصة الأمر هي: (ساعة وساعة).

جعل عرفة كلها موقف ومزدلفة كلها مكاناً للمبيت ومِنى كلها مكاناً للنحر، قال ﷺ: «وقفت ههنا وعرفه كلها موقف... وقفت ههنا والمزدلفة كلها موقف... قد نحرت هاهنا ومنى كلها منحر»[٦] (وكل فجاج مكة طريق ومنحر).

دور الشقائق



المرأة مكلَّفة كما الرجل بشعائر هذا الدين، وهي شريكة الرجل في مسيرته القاصدة إلى الله، فهي رفيقة الدعوة والجهاد وهي الشهيدة والمربية، وفي الحج دروس وعبر عظيمة في دور المرأة وصمودها ومكابدتها وصبرها في شعيرة الحج، من خلال ركن السعي الذي جاءت النصوص معلمة ومخبرة عن دور أم اسماعيل وحالها وهي تسعى بين الجبلين، فقال ابن عباس «فذلك سعي الناس بينهما» [رواه البخاري]، والمرأة حاضرة في كافة الشعائر الدينية والحياة العملية للمسلمين، ونشير لبعض هذه المعالم فيما يلي:

- الأم سبب عظيم لدخول الجنة لمن أطاعها «الزمها فإن الجنة تحت أقدامها»[٧].
- حسن الصحبة ووجوب الإحسان للوالدين والأم خصوصاً ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].
- أن النساء شقائق الرجال، فالمرأة نصف المجتمع وصانعة للنصف الآخر، قال رسول الله ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال»[٨].

---

٦ رواه مسلم.

٧ صحيح الجامع.

٨ صحيح الجامع.



- وحدة المسئولية بين النساء والرجال.
- المساواة في النفس الإنسانية.
- مشاركة المرأة في مسيرة الدعوة (فهي أول من أسلم وأول شهيدة في الإسلام).
- مشاركة المرأة في الحج وجوباً وفي الجهاد استحباباً أو جوازا وإباحة بحسب الأحوال.
- عدم الزواج إلا برضاها.
- المرأة لها ذمتها المالية المنفردة.
- وظيفة الأمومة والتربية.
- المشاركة في الشأن العام بيعة وشورى وأمراً بمعروف ونهياً عن منكر وإقامة للدين.

الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة

 والبر في الشرع يعود إلى معنيين:

١ الإحسان إلى الناس وبذل الخير لهم كما ورد في الحديث: «البر حسن الخلق»[٩].

٢ التوسع في الطاعات وخصال التقوى، وضده الإثم، قال تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

---

٩ رواه مسلم، ح/٢٥٥٣

والحج المبرور هو الجامع لخصال التقوى والإحسان وفيهما تجتمع حقوق الله وحقوق العباد دون تفريط أو إفراط.



زمزم

وهي المعجزة الخالدة ومن الآيات البينات القائمة عند الحرم ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ وهي مستمرة حتى قيام الساعة، دليلاً على قدرة الله الباهرة ومعجزته الخالدة.

الاستغفار سنة ماضية عند تمام الأعمال الجليلة

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة ١٩٩].

ويكون الاستغفار نهاية كل عمل جليل كالصلاة والزكاة والحج وغيرها؛ لأن العبد لابد له فيها من تقصير لازم عبادته وصاحبها، فهو يستغفر الله لسد الفجوة الحاصلة بين المطلوب والمقدور والله المستعان.

مقامات العبودية

وسورة الحج من السور القرآنية التي تناولت بالتفصيل مقامات العبودية المختلفة في شعيرة الحج، كما ورد ذلك في قوله تعالى:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ

يُنفِقُونَ * وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٧].

وهذه الآيات تضمنت الخلاصة لما تقدَّم، وما ينبغي أن يبلغه المكلف من مقامات السير إلى الله تعالى من خلال الأحكام التفصيلية والشعائر المتعددة، وهي كلها مندرجة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.



ونجمل هذه المقامات فيما يلي:



١ مقام التوحيد، وهو من أعظم المقامات التي يبلغها الإنسان ويتحلى بها، وقد تقدم الحديث عنه، قال تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد﴾.

٢ مقام الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿فله أسلموا﴾.

٣ مقام الإحسان؛ لقوله تعالى: ﴿وبشر المحسنين﴾.

٤ مقام الإخبات، وحقيقته الخشوع والإذعان والخضوع للحق والخالق جل جلاله، والصبر والتواضع للخلق؛ قال تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ وقد وصفهم الله بقوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ رقةً وخشيةً وولهاً ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ ثقة بالله وتوكلاً، ﴿والمقيمي الصلاة﴾ أداءً لحق الله تعالى ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أداءً لحق عباده بمواساتهم وسد حاجته.

٥ مقام الشكر على نعم الله التي لا تُحصَى، وهو من أعظم المقامات في مدراج العبودية لله جل وعلا؛ قال تعالى: ﴿كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الشيخ محمد علي محمد المسعود
عضو هيئة التعليم في مؤسسة إددف



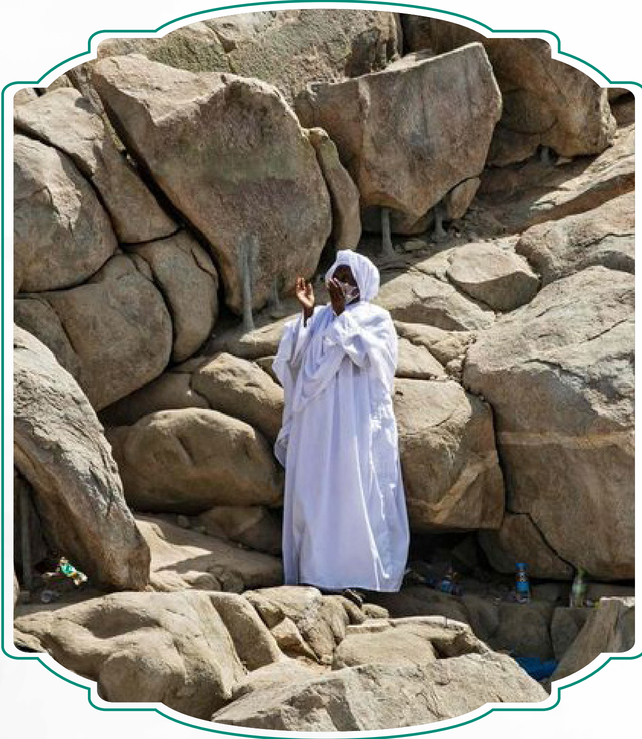
الحج
أسرارٌ وأنوارٌ تُذلِّل المصاعب

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصّلاة وأتمُّ التّسليم على سيّدِنا محمّد الصّادقِ الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه، ومَن سار على دربه ونهج نهجَه إلى يوم الدّين، أمّا بعد: فلكلّ عبادة من العبادات الّتي شرعها الله حِكَمٌ بالغةٌ، وأسرارٌ عظيمةٌ، قد تظهر لنا بالنّص عليها أو بالتّدبّر فيها، أو يُجلّيها لنا أهل الاستنباط والذّوق.

ولا شكّ أنّ حَجَّ بيت الله الحرام من أعظم تلك العبادات الّتي يندرج في طيّاتها أركانٌ وواجباتٌ، وسننٌ ومستحبّاتٌ، قد يكون بعضُها شاقًّا على فِئامٍ من النّاس، ولكنّها تنضوي على

لذّة روحيّة تفوق كثيرًا من ملذّات النّفس وشهواتِها، فينقدح في قلب الحاجّ لبيت الله الحرام معانٍ راقيةٌ ونفحاتٌ ساميةٌ، تعلو به إلى مصافّ علويّةٍ، فتنقلب تلك المشقّات إلى حلاوةٍ تحسّ بها روحُه، وتجري في عروقه، فيكاد لا يشعر بتلك الصّعاب الّتي أثقلت جسده رَغم كِبَر سِنّه، وانحناءِ ظهره، وألم رُكبتَيه، وفِراقِ أهله ووطنه، وطريقٍ طويلٍ يزيد من وَطأة المشقّة عليه.

فقد ذابت كلّ تلك الأثقال في بوتقة المحبّة الإلهيّة، والفرحة الّتي غمرت قلبَه وروحَه، أن أَوصلَه الله إلى بيته الحرام، وإلى مَشْعَر عرفاتٍ، والوقوفِ أمام سيّد السّادات ﷺ، مصلّيًا ومُسلّمًا عليه وعلى صاحبَيه، رضوان الله عليهم.

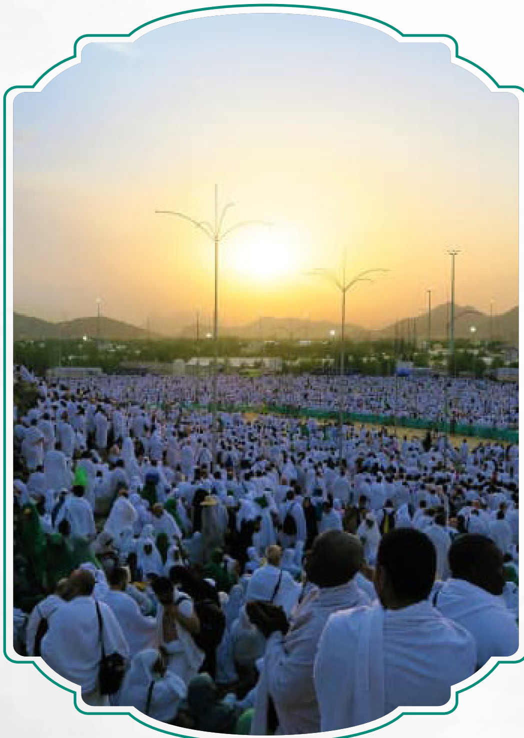


وأيُّ صِعابٍ وآلامٍ تُذكَر أمام الفرحة العارمة؟ فقد أذابتها أسرارُ وأنوارُ تلك البقاع الطّاهرة، كما يذيب الماءُ الملحَ.

فعندما يفارق الحاجّ بيتَه وأهلَه ووطنَه، تتجلّى له أسرارُ قولِه تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ [الحج: ٢٧]. فيتبدّل الحزن على فراق الأهل والوطن، إلى شوقٍ ولهفةٍ للوصول إلى بيت الله المعظّم استجابةً لذلك الأذان الرّبّانيّ، الّذي أمر به سيّدَنا إبراهيم عليه السّلام.

ورد في تفسير ابن كثير لهذه الآية: «قوله ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾ أي: نادِ في النّاس داعيًا لهم إلى الحجّ إلى هذا البيت، الّذي أمرناك ببنائِه، فذكر أنّه قال: يا ربّ، وكيف أبلغ النّاسَ، وصوتي لا ينفذهم؟ قيل: نادِ وعلينا البلاغُ. فقام على مقامه -وقيل: على الصّفا، وقيل: على أبي قبيس- وقال: يا أيّها النّاس إنّ ربكّم قد اتّخذ بيتًا فحُجُّوه. فيقال: إنّ الجبالَ تواضعت حتّى بلغ الصّوت أرجاء الأرض، وأسمعَ من في الأرحام والأصلاب، وأجابَه كلُّ شيءٍ سمِعَه من حَجَرٍ وشجرٍ، ومن كتب الله له أن يحُجَّ إلى يوم القيامة (لبَّيْكَ اللّهمّ لبَّيْكَ)، هذا مضمون ما روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغير واحد من السلف، والله أعلم».

وإذا ما تعرَّضَ الحاجُّ في طريقه لبيت الله الحرام لمصاعبَ ووَعْثَاءِ السّفَر، تجلَّى له أسرارُ قولِه تبارك وتعالى على لِسان نبيّ الله إبراهيم عليه السَّلام: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]؛ فليس أحدٌ من أهل الإسلام إلّا وهو يحِنُّ إلى رُؤية الكعبة والطّواف بها، رغم مَشاقّ الطّريق ووَعْثاءِ السّفر.



وإذا ما طاف الحاجّ الأشواط السّبعة الّتي أمره الله بها، تجلّى له أسرار وأنوار قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧] فتنسكب حلاوةُ هذه الآياتِ في قلبه وروحه، حتّى يشعرَ أنّه في رِياض الجنّة، رغم الزّحام وتدافع النّاس وشِدّة الحرّ، وقد يكون طوافه تحت الشّمس مكشوف الرّأس، فتنقلب تلك الصّعاب حلاوةً يتلذّذ بها القلب، وتَتَشَرَّبُها الرُّوح، فيَخِفُّ البدنُ وتدبّ القوّة في الجوارح.

وكم رأينا من آبائنا وأجدادنا الّذين كانوا لا يَقْوَوْن على المشيِ، فإذا بهم يحثّون الخُطا، ونجد منهم نشاطًا يحيّر العقل، وكأنّك أمام أناسٍ لم تعرفْهم من قبل، وما ذلك إلّا لما تضفيه هذه النّفحات الرّوحانيّة من قوّة تسري في البدن فتخِفُّ لها الأعضاء.

وإذا ما سعى السّاعي بين الصّفا والمروة بعد سفرٍ أتعبه، وطوافٍ استنفد ما بَقِيَ له من قُوّة، تجلّى له حديث النّبيّ ﷺ وهو يقصّ علينا قصّة أُمّنا هاجرَ عليها السّلام في سعيها بين الصّفا والمروة ونبع ماء زمزم لها، فيتمُّ سعيَه وكأنّه نشط من عُقال، وينسى كلَّ تعبٍ أو وجعٍ أَلَمَّ به[1].

وإذا ما وقف الحاجُّ في عرفات -المشعر الحرام- أَشْعَثَ أَغْبَرَ، في يومٍ شديد الحرِّ والتّعب، واستحضر هَيْبَةَ ومكانةَ ذلك اليومِ العظيمِ، الّذي قال عنه النّبيّ ﷺ: «ما رُئِيَ الشّيطان يومًا هو فيه أحقرُ ولا أدحرُ ولا أغيَظُ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلّا لما رأى من تَنَزُّلِ الرّحمة وتجاوزِ الله عن الذّنوب العظام، إلّا ما رأى يوم بدر»[2]. فيُقْبِل بكلّ هِمّةٍ على الدّعاء والتّذلّل والتّضرّع دون كللٍ أو فتورٍ.

وهكذا أنَّى الْتَفَتَ الحاجُّ في تلك الأماكن الطّاهرة عَايَنَ أسرارًا وأنوارًا تغمر قلبَه وتملأ روحَه، فتُنْسِيه المصاعبَ والمشاقَّ والتّكاليف المادّيّة الّتي قد تكون حِمْلًا ثقيلًا على كثيرٍ من النّاس، وتنقلب إلى لذّةٍ يَجِدُ حلاوتَها في قلبه، بفضل الله ومَنّه على عباده.

أَرْضٌ مَشَى جبريلُ فِي عَرَصَاتِهَا •• وَاللهُ شَرَّفَ أَرْضَهَا وَسَمَاهَا

وآخِر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

١ البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلاً"، رقم: ٣٣٦٤.
٢ رواه مالك في الموطأ مرسلًا، ٤٢٢/١، ووصله الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء.



على خطى لينين وستالين

حظر الحجاب في طاجكستان

الشيخ أحمد محيي الدين

من علماء طاجيكستان

بسم الله الرحمن الرحيم..

إنها قصة طاغية لم يرَ تاريخ البلد مثله.. طاغية اجتمع فيه مكر لينين، وغرور ستالين، وكبر القذافي مع خيانة السيسي.. إنه (إمام علي رحمانوف) رئيس جمهورية طاجيكستان، الذي يُلقب بـ(الزعيم ومؤسس الوحدة الوطنية). إني لا أزيد في حكاية حال الرجل بخبر، ولا أزينها بخيال، بل ما أقول هو خبر صدق يعلمه كل من عرف الرجل، أو استمع إلى كلماته، أو طالع سيرته، وتعرف على وضع البلد الذي يحكم.

قصته قصة خبث لبس ثوب الطهارة، وقصة خيانة تزين بالوفاء، وحكاية غليظ تستر بالرحمة، وأعوذ بالله من حاكم حين يتصف بتلك الصفات! إن هذا الرجل الذي اختلطت أفكار الشيوعية بدمه وعظمه ونشأ وشاخ عليها، كأنه رأى أن لينين وستالين لم يكملا رسالتهما في محو الهوية الإسلامية لدى الشعب الطاجيكي فجاء لإتمام تلك الرسالة، أو رأى أن الحبيب بورقيبة وأتاتورك وأمثالهما عُجلت لهم المنية قبل إنجاز أمنياتهم في محاربة الإسلام فجاء يحقق ما تمنوا.



إن شعاره الدائم هو القضاء على الثقافة الأجنبية والحفاظ على الهوية الوطنية، مع إشارات بل تصريحات إلى إحياء الزرادشتية وأعيادها، بدعوى أنها دين أجداده. ومصطلح «الثقافة الأجنبية» هو مصطلح اصطنعه لمحاربة الإسلام؛ فكل ما ينتمي إلى الشريعة فهو عند الرجل من الثقافة الأجنبية! فكل لباس أو عادة غربية، أو روسية، أو أوربية.. فهو تقدُّم ودليل تنوير، أما الحجاب الساتر فهو يرى فيه غولاً وحشاً يجب خلعه كما يجب تشويه مَن تلبسه؛ فهو رجل يعشق الخمر والرقص، فكيف تطيب نفسه بالحجاب وصوت الأذان، وازدياد عدد الشباب الملتزمين؟! كأن لسان حاله يقول: أخرجوا المتدينين من بلدي فإنهم أناس يتطهرون. فالرجل يرى في تدين الشعب وازدياد المحجبات خطراً على قوميته المزعومة، فيبحث عن الهوية في الوثنية المجوسية تارة، وفي الشيوعية الماركسية أخرى.

فعلى خطى فلاديمير لينين وجوزيف ستالين زعيما الشيوعية، أصدر قبل أيام حزمة من القوانين تحت شعار «حماية الثقافة الوطنية من التأثر بالثقافة الأجنبية»، منها حظر ارتداء الحجاب الإسلامي على جميع النساء في جميع الأمكنة، ومنع احتفال الأطفال بعيدي الفطر والأضحى، وحظر عقيقة المولود، وإلى غير ذلك من القواعد المناقضة للشريعة ولحقوق المواطنين.



فسجلت في الأيام الأخيرة في شوارع العاصمة الطاجيكية (دوشنبه) مقاطع فيديو يطارد فيها رجال الشرطة المحجبات ويجبرونهن على ركوب الحافلات للذهاب بهن إلى مراكز الشرطة، من أجل تغريمهن وتسجيل أسمائهن.

فالرئيس الذي يحكم البلد منذ ثلاثة عقود حكماً فاشلاً، ولم يستطع أن يوفر للعاصمة -فضلاً عن المحافظات النائية- الكهرباء في الشتاء القارس (لأن الكهرباء توزع كل شتاء في جميع المحافظات بساعات محددة، وهذا الشتاء طبق هذا البرامج على العاصمة كذلك) في بلد يتوفر فيه الماء بكثرة وتوجد الجبال مع كل المقومات لتوليد الكهرباء، كما لم يستطع أن يقلل البطالة والفقر، فزادت مع طول حكمه المشؤوم الديون، وزاد الانحلال الأخلاقي، والهجرة.. فهذه المرّة أراد أن يزيد لشعبه هماً فوق همومهم المتعددة.

إن نسبة المسلمين في طاجكستان ٩٨ بالمائة، وشعب الطاجيك من أشد شعوب المنطقة تديناً والتزاماً. إن هذا البلد يتميز عن جيرانه من جمهوريات آسيا بالتمسك للدين، وكثرة العلماء وطلبة العلم، مع انتشار دور

تحفيظ القرآن وحلقات التدريس لعلوم الشريعة منذ عهد السوفييت. ثم بمجيء الرئيس رحمانوف حظرت حكومته نشاط حزب النهضة (وكان يرأسه الشيخ عبد الله نوري أحد علماء الطاجيك) وكان الحزب الإسلامي الوحيد الذي له نشاط على مستوى آسيا الوسطى منذ عهد السوفييت، فأعلن رحمانوف أنه حزب إرهابي واعتقل أكثر قياداته وهاجر بقيتهم، ثم بدأ الرجل مع عصابته بمحاربة شعائر الدين بكل وسيلة.

وكل سنة تمر من حكمه الجائر علينا أهل طاجكستان، يأتي الطاغية بقوانين جديدة يضيّق على المسلمين أمر دينهم ويحارب شعائرهم، كما يسخر ويحطّ من الرموز والشخصيات الإسلامية عبر إعلامه الفاسد.

ونتيجة لهذه الإجراءات التعسفية زادت في هذه العقود الثلاثة من حكمه الفاشل الهجرة للنجاة بالدين أو للعمل، وذلك إلى روسيا وتركيا وأوروبا.. فلم يبقَ في البلد من الصالحين والصالحات إلا من عنده عيال يضيعون إذا هاجر، أو والدان شيخان كبيران يتعبان إذا غاب، أو مَن ليس له حيلة إلا البقاء والصبر مع انتظار الفرج.

ولأن الدين يُحدث اليقظة في النفس الإنسانية؛ فهذا الحاكم الجائر لا يريد لشعبه يقظة، ولأن الحجاب عفة وطهارة فمصيره المنع لأن رحمانوف عدو لهذين الفضيلتين.



قال في كلمته منذ شهور (وكلمته مسجلة ومنشورة على الشبكة): «إن النساء اللاتي يلبسن الحجاب أهل ضلال وتيه، ضللن الطريق ولا يدرين كيف ينبغي أن يعيش الإنسان فلبسن هذا الشيء الأسود». وقال قبل أسبوع -وقد نُشر كلامه-: «إن الحجاب والستر أسماء مبتدعة ودخيلة علينا، لا ينبغي لنا تقليد العرب ولا الترك في لباسهم، ولنا ثقافتنا العريقة ولباسنا الخاص».

إنه يريد أن يلبس الشعب وفق ما يريد، وأن يعتقد نفس أفكاره، كيف لا وهو وارث جده الذي قال: «ما أريكم إلا ما أرى».



وإن كان التضييق والاعتقال والتشريد مستمر منذ ملك رحمانوف زمام الأمور في البلاد بتأييد من روسيا، إلا أن الأذى قد اشتد على المسلمين في طاجكستان منذ سنة ٢٠١٠م، وذلك بمجيء وزير للأمن شديد الكراهية للإسلام. فوافقت خصال الوزير طبع الرئيس فصارا للإسلام عدوين بعدما كان رحمانوف وحده.

قامت الحكومة في سنة ٢٠١٠م بإرجاع جميع طلبة العلم من الدول العربية، والذين كانوا يدرسون التخصصات الشرعية، وحظر السفر لأجل الدراسة إلى تلك الدول والانتساب إلى كليات الشريعة فيها. كما منع القانون منعاً باتاً تحفيظ القرآن للصغار والكبار، وتدريس أي مواد إسلامية سواء في المسجد أو في البيوت؛ فلا يمر شهر إلا يُقبَض على مقرئ للقرآن، أو أستاذ للشريعة كان يُقرئ أو يُدرس خفيةً خوفاً من بطش فرعون الطاجيك. وقد اعتقل بسبب تحفيظ القرآن وتدريس الشريعة عشرات، بل مئات من المشايخ وطلبة العلم.

ثم من يعتقل من المشايخ والدعاة يعامل في السجن معاملة أسوأ من معاملة القتلة والسراق، ويمنعون منعاً باتاً من أن يؤمّوا المصلين في السجون.

ومَن لم يرجع من الطلبة من الدول العربية منذ تلك السنة، يفتح الأمن القومي له ملفات جنائية ويعدّونه مخالفاً للقانون وتهديداً للبلد، ويشتد الأذى على أهاليهم باستدعائهم إلى مراكز الأمن والشرطة كي يقنعوا مَن يدرس منهم في الخارج بالعودة.

لأنه يرى ويصرح بذلك دائماً: أن الدراسة الشرعية هي السبب في انضمام الشباب إلى الجماعات الجهادية، ينادي بأعلى صوته: «ينبغي أن يذهب الأولاد إلى المدارس وليس إلى المساجد، وعلينا أن نسعى لمحو الخرافات». وأكبر خرافة في زعمه التدين وتعلُّم الشريعة!

كما أن من جرائمه المعلومة لدى الشعب تخريب آلاف المساجد التي بناها الشعب بسعيهم ومن جيوبهم، وذلك بدعوى عدم الترخيص الحكومي لها، فخربوا عشرات منها وسووها بالأرض، كما حولوا المئات منها إلى مراكز شرطة، أو إدارة مختار المحلة، أو جعلوها مركزاً لتعليم الخياطة، أو ما يشبه ذلك.



ولم تتوقف اعتقالاته الجائرة عند الدعاة والعلماء فقط، بل شملت الصحفيين والحقوقيين الذين كان لهم انتماء للدين والتوجه الإسلامي، ومَن يدافع عن حقوق الإسلاميين المضطهدين، يصبح مصيره الاعتقال والعقوبة بالسجن من ٧ إلى ١٢ سنة.









ومن هذه القوانين المجحفة المفروضة ومظاهر الحرب على الإسلام:

- منع الأبناء من الذهاب إلى المساجد إلى سن ١٨ عاماً.
- منع ذهاب النساء إلى المساجد.
- منع تحفيظ القرآن الكريم منعاً باتاً.
- منع تدريس العلوم الشرعية بكافة فروعها.
- منع تعلُّم العلوم الشرعية عبر شبكة الإنترنت عن بُعد.
- منع الصلاة في المؤسسات الحكومية.
- منع الذهاب إلى الصلوات وخاصة صلاة الجمعة للموظفين الحكوميين.
- منع الأذان عن طريق مكبرات الصوت.
- منع بيع المسبحة في الأسواق.
- منع بيع المصليات.
- منع استيراد أي كتاب شرعي إلى داخل البلد.
- منع بناء المساجد وحتى ترميمها إلا بإذن حكومي، غالباً ما يكون الحصول عليه يشبه المستحيل.
- إلغاء مادة الأخلاق الإسلامية في المدارس.
- منع تدريس اللغة العربية في مراكز تعليم اللغات.
- إغلاق المعاهد الدينية التابعة للإدارة الدينية وتحويلها إلى مدارس حكومية.

- اعتقال الكثير من العلماء، والمفكرين، وطلبة العلم والمصلحين، بدعوى التطرف، وتوجيه الاتهامات إليهم بالانضمام لجمعيات محظورة والحكم عليهم بالسجن من ٥ و٧ سنوات إلى ٢٥ سنة.

- اعتقال كثير من الشباب بسبب مشاهدتهم المواد الإسلامية على اليوتيوب، أو بسبب تعلمهم علوم الشريعة عن بعد.

- مطاردة كل من خرج من البلد وهاجر بدينه، خاصة من عنده نشاط دعوي.

أما المصيبة الأخرى والطامة الجديدة التي جاء بها، فإن مجلس الشعب وافق بالإجماع في ١٩ يونيو/ حزيران على حزمة من القوانين، ثم بعدها بيوم وقّع طاغية طاجكستان إمام علي رحمانوف على هذه القوانين.

وهي عبارة عن ٣٣ بنداً من القوانين تهدف بزعمه إلى «حماية الثقافة الوطنية ومحاربة الثقافة الدخيلة»، وفيها حظر ارتداء الحجاب في جميع الأماكن بعد ما كان محظوراً في المؤسسات الحكومية فقط، ووقف بيع العباءات النسائية واستيرادها إلى البلد.

فكانت ردود أفعال وإدانات من الشعب الطاجيكي من خارج البلاد، ونُشر الخبر مع الاستنكار والإدانات في قنوات تركيا التلفزيونية وفي الصحف والمجلات، كما ندّدت بالقرار جهات عديدة وشخصيات بارزة في مواقع التواصل الاجتماعي، منها الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وهيئة علماء المسلمين في العراق.

فنسأل الله المولى أن يعجل بهلاك الطغاة وأن يدبر للمسلين أمر رشد.



هل يعيش الروهينجا أيامهم الأخيرة في وطنهم؟

عبد الله الأركاني

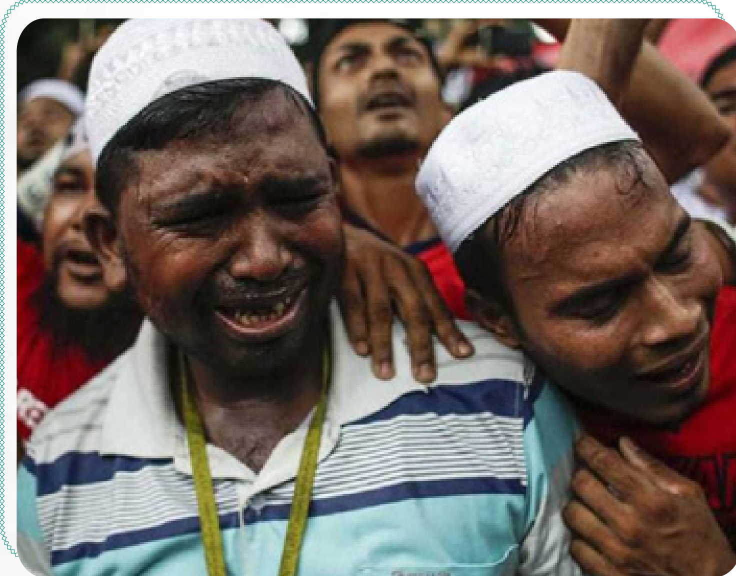
ناشط روهينجي

تُعد أزمة الروهينجا اليوم واحدة من أعقد الأزمات الإنسانية في العالم وأكثرها طولاً وتشعباً، كما تعد أكثر القضايا الإسلامية والعالمية تهميشاً من قبل الدول العظمى في المنطقة. وسبب هذا كله هو أن هذه القضية تقع في أقصى الشرق بعيدة عن قلب العالم الإسلامي، الذي يشغل الأمة الإسلامية بقضاياه الحرجة، فيما تتداخل مصالح الدول العظمى لتجاهل هذه الأزمة الإنسانية.

اليوم ونحن نقرأ هذه الحروف يشهد الروهينجا في أراكان فصلاً جديداً من فصول المأساة، فصل سيكون له منعطف حاد على حياتهم ومستقبلهم ومستقبل قضيتهم، إذ هُجِّر ما يزيد عن مائة ألف مسلم من أراضيهم وقراهم دون ذنب، ووقع المئات منهم من المدنيين ضحية معارك لا ناقة لهم فيها ولا جمل. فمنذ تسعة أشهر تقريباً تشهد أراكان معارك دامية بين الجيش النظامي وجيش أراكان الانفصالي، واتخذ الطرفان أراضي المسلمين الروهينجا مسرحاً لاشتباكاتهم، ما تسبب في تهجير المسلمين المدنيين من قراهم ووقوع الضحايا بينهم. كل هذا يجري ولم تتدخل الأمم المتحدة ولا الدول العظمى في المنطقة لتحول دون هذه الكارثة الإنسانية، معتبرين الأمر شأناً داخلياً، أو لا سلطة لهم على هذه الأحداث.

السياق التاريخي

وقبل أن نبدأ في سرد حكاية هذه القضية لفهمها وفهم تداعياتها، دعوني أعطيكم لمحة سريعة عن هذه الأقلية المسلمة التي تعيش الأزمات والنكبات منذ سنوات طويلة، إذ لا يمكن فهم هذه الأحداث دون فهم السياقات التاريخية التي آلت بالوضع إلى هذا المستوى.



عرقية الروهينجا المسلمة هي عرقية من أصل ١٤٠ عرقية في ميانمار، وموطن هذه العرقية هي ولاية أراكان (راخين) الواقعة في الجزء الغربي في ميانمار. تمثل نسبة الروهينجا في أراكان ٥٠% تقريباً، إذ يُعدون

من سكانها الأصليين مثل العرقيات الأخرى التي تتقاسم معهم هذه الولاية، لكن السياسات التي اتخذها المستعمر البريطاني وتأليب السلطة عليهم ومع البوذيين من عرقية الموغ تسببت في زرع الكراهية في نفوسهم، مما جعلهم يطالبون بإخراجهم من البلاد بحجة أنهم يريدون أسلمة المجتمع، وهو ما كانت تريده السلطة وعملت عليه خلال العقود الماضية.

الآن تسمى ولاية أراكان باسم ولاية راخين حيث تعمدت السلطات حذف اسمها القديم، في محاولة منها لحذف التاريخ القديم لها ومحوه من الأذهان، كما غيرت أسماء المدن مثل عاصمة الولاية إذ غيرت اسمها من أكياب إلى سيتوي وعملت ذلك أيضاً مع المدن الأخرى.

كل المصادر التاريخية سواء الإسلامية أو الغربية تثبت بأن أراكان كانت جزءاً منفصلاً عن بقية ميانمار انفصالاً جغرافياً وعقائدياً وثقافياً، إذ تشكل جبال أراكان حاجزاً وفاصلاً طبيعياً بين الولاية وباقي مناطق ميانمار، وأغلبية السكان فيها من المسلمين وثقافتهم أقرب للغرب، مثل الهند وغيرها، بينما من هم في شرق ميانمار يميلون لثقافة الشرق مثل الصين وغيرها.



إن هذا يبين لكم بأن ميانمار أو العرقيات الأخرى من جهة الشرق ليست لها أي أحقية في هذه الولاية، لكن المسلمين راضون بحكم العرقيات الأخرى لميانمار أو حكم ولاية أراكان، على الرغم من أن

المسلمين هم من حكموا الولاية وكانت لهم مملكة دامت ٣٥٠ عاماً في الفترة (١٤٣٠-١٧٨٠م)، وكانت أول دولة إسلامية بقيادة الملك سليمان شاه، وجاء بعده ٤٨ ملكاً مسلماً.

بسبب هذه التجاذبات كانت ولاية أراكان دوماً مسرحاً للاضطرابات الشديدة منذ أكثر من ١٠٠ عام، ثم اشتدت تلك الاضطرابات منذ الحرب العالمية الثانية بعد خروج المستعمر البريطاني من المنطقة مخلّفاً الجيش والحلفاء الذين كانوا يوالون الاستعمار.



ويمكننا أن نقول إن أول أزمة فعلية انطلقت منها شرارة مأساة الروهينجا هي في عام ١٧٨٤م، حين قام الملك البورمي البوذي (بوداباي) باحتلال أراكان، وضمه إلى بورما، خوفاً من انتشار الإسلام، وارتكب في سبيل ذلك مجازر في صفوف دعاة وفقهاء مسلمين، وعرف المسلمون في هذه الفترة أبشع أنواع التعذيب والتهجير والاستضعاف من قبل البوذيين، ثم حصلت المأساة الأخرى عام ١٩٣٧م حين قامت بريطانيا باحتلال بورما، لتبدأ حلقات مسلسل جديد من معاناة أقلية الروهينجا، وهذه المرة بغطاء ودعم من قوات الاحتلال البريطاني، أسهم ذلك في إعطاء البوذيين الغلبة، والسيطرة على الولاية ومجريات الأحداث فيما بعد، حيث أقيم مؤتمر (بينغ لونغ) قبيل الاستقلال سنة ١٩٤٧م، دُعيت إليه مختلف مكونات المجتمع البورمي، باستثناء الروهينجا بغية عزلهم عن أي موقف اتخاذ قرار أو تحديد مصير.

جيش أراكان



في ١٠ أبريل ٢٠٠٩، تأسس جيش أراكان، وهو جيش تابع لعرقية الراخين البوذية التي تشارك عرقية الروهينجا في ولاية أراكان، وقد تأسس هذا الجيش بقيادة المناضلين الشبان من هذه العرقية في أراكان، ويهدفون إلى تقرير حق المصير والمطالبة بالحكم الذاتي لأراكان والمساواة الوطنية والعدالة والحرية. وبحسب ما نشره الجيش في موقعه الرسمي فإن إنشاء الجيش جاء تضامناً مع جميع الأشخاص العرقيين الذين يناضلون في ميانمار ومع الأراكانيين (هكذا سماهم رغم محاولة السلطة تغيير الاسم) من أجل الحرية. وشدد الجيش في التعريف عن نفسه بأنه سيواصل مهمته بكل اقتدار لحماية وطنهم الأم مسترشدين بإيمانهم وقيمهم وتراثهم.

إن إنشاء هذا الجيش لم يأتِ عبثاً، فهناك في ميانمار عرقيات كثيرة ترغب في الانفصال عن السلطة الحالية والانفراد بالحكم الذاتي وإن ظلت تحت مسمى دولة ميانمار، وذلك لشعورهم بأن هذه القيادة لا تمثلهم وأن الساسة استولوا على حقهم في أرضهم وأرض أجدادهم. وهنا أنا أورد لكم هذا الحديث عن جيش أراكان لأنه صلب الموضوع الذي بدأنا به الحديث وهو جزء من المأساة التي يعيشها الروهينجا حالياً.

 منذ انقلاب ٢٠٢١ الذي استحوذ فيه جيش ميانمار على السلطة مرة أخرى من السلطة المدنية، دخلت البلاد في دوامة مميتة، حيث تصاعد الصراع إلى حرب أهلية شاملة مع مختلف الأطراف المحلية ومن بينها جيش أراكان، وهو ما أدى إلى مقتل أكثر من ٥٠ ألف، ونزوح ما يقرب من ٢,٣ مليون شخص من بينهم الروهينجا، وقد اتُهم الجيش بمسؤوليته عن ٨٥% من الضحايا.

لقد ظل الجيش منذ إنشائه يطالب بحقوق عرقيته ويناضل من أجلها ويشتبك بين الفينة والأخرى مع القوات النظامية، لكنها كانت اشتباكات بسيطة حتى هذا العام حين أعلن الجيش تمرده الكامل على الجيش الحكومي وباغتهم بهجمات مختلفة في معركة كر وفر، لكنها في أراضي المسلمين الروهينجا وأماكن إقامتهم في ولاية أراكان. هذه المعارك تسببت في حملة تهجير واسعة للمسلمين الروهينجا وسقوط القتلى بينهم وهم في ذلك لا يدرون أن يذهبون فلا سلطة تهتم لأمرهم ولا نظام دولي يتدخل لإنقاذهم.

بلغ عدد المهجّرين حالياً بحسب الإحصاءات التقديرية أكثر من ٢٠٠ ألف مسلم من الروهينجا، في الوقت الذي لم يتبق فيه منهم سوى نصف مليون شخص على أكثر تقدير من أصل ٤ ملايين تم تهجيرهم وطردهم من أراكان، بعد حملات وبطش الحكومة خلال العشر سنوات الماضية، وهو ما يعني أن استمرار تهجير هذه الأعداد الكبيرة في هذا الوقت يعني خلو أراكان من المسلمين الروهينجا تماماً.



وهناك ثمت مشكلة أخرى تهدد حياة المسلمين، وهو أن طرفا الحرب يحاولان استمالة شباب ورجال الروهينجا بالترغيب مرة وبالترهيب مرة، في محاولة للزج بهم في المعارك ورفع أعداد المحاربين في الطرفين.

يقول جيش أراكان إنه في حال كسب المعركة مع النظام فإنه سيجعل الروهينجا جزءاً من المنطقة، بعد أن سحبت منهم الحكومة المواطنة، وإنه سيجعلهم جزءاً من نظام الحكم، وفي المقابل يتودد الجيش النظامي إلى الروهينجا بوعود كثيرة منها أنه سيعيد اعترافه بهم مرة أخرى، ويجعلهم مواطنين من الدرجة الأولى كما كانوا. كما يستخدم الطرفان أسلوب التهديد في محاولة استمالة الروهينجا عبر التهديد بالقتل والضرب والتعذيب في حال عدم الانضمام.

وفي ظل هذه الأوضاع تشكلت أزمة إنسانية مأساوية بين المسلمين الروهينجا نتيجة لهذه التوترات السياسية المستمرة، ما أدى إلى تدهور شديد في الأوضاع الإنسانية والصحية والغذائية والأمنية في أراكان.

المساعدات الدولية

تتخذ ميانمار سياسة منع دخول أي مساعدات لولاية أراكان، في محاولة لعزلها عن وسائل الإعلام ومنظمات الإغاثة، وتفرض قيودًا صارمة على تحركات المنظمات الإنسانية في حال دخولها، مما يجعل من الصعب جدًا



توفير المساعدات الضرورية للمهجرين الروهينجا داخل الولاية. يتمثل التأثير المباشر لهذا المنع في نقص شديد في المواد الغذائية والأدوية والرعاية الصحية، مما يزيد من معاناة الروهينجا والمدنيين الآخرين.



إن الوضع الإنساني لا يزال حرجًا، حيث يعيش المهجرون في ظروف صعبة في العراء دون مسكن أو غذاء أو حتى رعاية صحية أولية، ما يجعلهم يتعرضون للوفاة في نهاية المطاف دون أن يعلم عنهم أحد.

إن أزمة الروهينجا تمثل اختبارًا حقيقيًا للمجتمع الدولي وللقيم الإنسانية العالمية.. تحتاج هذه الأزمة إلى جهود مشتركة ومستدامة لإيجاد حلول تضمن حقوق الروهينجا وتحقيق السلام والاستقرار في ولاية أراكان. يبقى الأمل في أن يتمكن المجتمع الدولي من الوفاء بمسؤولياته والضغط على حكومة ميانمار لتحقيق العدالة والسلام لأقلية الروهينجا المحاصرة.



الشيخ الصغير منير
عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائرية

طاجيكستان..

أوجاع وآمال

(بلاد ما وراء النهر) تسمية أو وصف يحلّق بخيال المؤرخ وقارئ التاريخ ومطالع كتب السّير والتراجم بعيداً، ليحطّ على قمّة جبل شامخة في جزء من دار الإسلام العريقة في إسلامها، المبكّرة في عطائها العلمي والسياسي والجهادي والاقتصادي.. جغرافيا واسعة فسيحة الأرجاء ثريّة الموارد متنوّعة الأعراق واللغات، كانت منذ أشرقت عليها أنوار الإسلام مدداً للإسلام والمسلمين، ومعيناً لا ينضب من البذل والإبداع، وصدقاً وإخلاصاً في الانتماء للإسلام قلّ نظيره بين الشعوب.

وطاجيكستان -موضوع حديثنا في هذا العدد- هي واحدة من المكوّنات الجغرافية لبلاد ما وراء النّهر. وقد كان فتحُها في عهد الوليد بن عبد الملك الأمويّ على يد القائد الفاتح قتيبة بن مسلم الباهلي ضمن ما فتحه من بلاد خراسان وفرغانة وغرب الصين. والطاجيك شعب فارسيّ الأصول واللغة والثقافة والعادات، مع خصوصيات محلّية صاغتها البيئة الجغرافية ومحاولات التفرّد التي يحرص كل قوم أن يتميّزوا بها حتى عن بني جلدتهم، ثم توجّهات السلالات الحاكمة وتأثيراتها العميقة خاصّة في أزمنة كانت العامّة فيها سريعة التأثّر بخيارات السلطة الثقافية والمذهبية بل حتى الطائفيّة.



ومثل كلّ شعوب ما وراء النهر فإن الشعب الطاجيكي بقي مستمسكاً بالإسلام، وبالمذهب الحنفيّ الذي استأثر بالجناح الشرقيّ للعالم الإسلامي -كما استأثر المذهب المالكي بجناحه الغربي- فما يقارب ٩٨٪ منه مسلمون سنّة أحناف.

لن نسترسل في تاريخ طاجيكستان وتفاصيل أحداثه وتسلسلها فهذا يستطيع الآن أي أحد أن يعثر عليه بضغطة زرّ تمكّنه أن يشكّل صورة أوّلية عنه.

إنّ نشأة الاتحاد السوفييتي بعد الثورة البلشفية وانتهاء الحرب العالمية الأولى وانضمامه إلى الطرف المنتصر فيها، قدّ دفع قياداته إلى مستويات متقدّمة من التعامل مع هذه المنطقة، فاستفاد من دعمها في بدايات تأسيسه، ثم تبنّى سياسة الإخضاع والإلحاق القسريّ وما ترتّب عليها من تهجير ونفي وقتل لعشرات الملايين من مسلمي آسيا الوسطى والقوقاز والقرم، والاستيلاء على ثرواتهم وأملاكهم وتغيير التركيبة

الديموغرافية والشروع في إعادة تشكيل ذهني وعقائدي واجتماعي وأخلاقي يلغي دين الشعوب المسلمة هناك ويستبدل بها الإلحاد الشيوعي، ويلاحق ويقمع كل ما له علاقة بالإسلام فيها.



وقد نال طاجيكستان من ذلك ما نال أخواتها بعد إلحاقها القسري بالاتحاد عام ١٩٢٩م، بعد مقاومة للغزو السوفييتي ومن أجل المحافظة على الاستقلال دامت أربع سنوات، عانى إثرها الطاجيك المسلمون ويلات القمع والوحشية الروسية الهمجية، وهدمت مساجدهم وأغلقت مدارسهم الدينية، ونُفي أو قتل أو سُجن علماؤهم وأئمتهم ومن كانوا يمثلون الثقافة الإسلامية الأصيلة، وفُرضت على الأجيال الناشئة علمانية ملحدة تتخذ من الماركسية مرجعيتها العليا. ونشأت أجيال لاحقة لا تعرف من الإسلام إلا اسمه ولا من الشريعة إلا بعض رسومها، وتحوّل الإسلام في أحسن الأحوال إلى انتماء تاريخي بعيد، وإلى جزء غامض مبهم من هوية الطاجيك الذين عاشوا مسلمين مدة تزيد على ٣١ قرناً، بل أصبح الإسلام عند النّخب السياسية والعسكرية والأمنيّة والثقافية شكلاً من أشكال الرجعية وحليفاً للإمبريالية الأمريكية وعدوّاً للطبقات العاملة الكادحة التي كان الشيوعيون يستغلون كدحها ويزيدونها فقراً وتهميشاً ويسحقونها في المصانع والمزارع والحقول.

وحين قام الشيوعيون الروس بتأسيس الحزب الشيوعي في طاجيكستان لم يطمئنّوا بعد سنوات معدودات لصدق انتماء الطاجيك للحزب، فقاموا بحملة تطهير حزبي سياسي فُصل على إثرها من الحزب أكثر

من ١٠.٠٠٠ طاجيكي، واستبدل بهم شيوعيون من أصل روسي تمّ تمكينهم من الأجهزة القيادية في الحزب وفي المؤسسات الثقافية والاقتصادية والأمنيّة.



وخلال ٥٣ سنة بين عامي ١٩٢٦ و١٩٥٩ ارتفع عدد السكّان الروس في جمهورية الطاجيك من ١٪ إلى ١٤٪ تقريباً، وحين اشتعلت الحرب العالمية الثانية جنّد الجيش السوفييتي قسراً ٢٦٠.٠٠٠ طاجيكياً للحرب ضد ألمانيا وحلفائها، قُتل منهم ما يقارب ١٦٠.٠٠٠.

لقد كان العهد السوفييتي في تاريخ طاجيكستان المعاصر عهد شؤم وبؤس وتخلّف وقهر واستبداد دموي ومحاولات مستمرّة حثيثة لتغيير هوية الشعب واستئصال دينه.

وحين أزفت لحظة سقوط الاتّحاد السوفييتي التي كان جهاد الشعب الأفغانيّ المسلم أحد أسبابها ومسرّعاتها -وهو شعب جار وثيق الصلة التاريخية بالشعب الطاجيكي ويشكّل الطاجيك قريباً من خُمُس سكّانه- انتفض الطاجيك في بلدهم وسعوا لأن تكون لهم دولة مستقلّة ونَحَوا نحوَ جيرانهم من الأوزبك والتركمان والكازاخ وغيرهم. واكتشف المخلصون في السعي إلى الاستقلال أنّ الأمر معقّد ومتشابك، فقد كان الشيوعيون الملاحدة ما زالوا يسيطرون على مفاصل الدولة ومؤسساتها السيادية الكبرى، وكانوا مدعومين من روسيا الاتّحادية ومن بعض أنظمة الدول المجاورة، وكان للعلمانيين ممن لديهم توجهات ليبرالية رأسمالية حضور في الثقافة والإعلام والسياسة بدعم أمريكي غربيّ واضح، إضافة لرواسب الحقبة السوفييتية البائسة من

التخلّف والفساد والاستقالة الجماعية لجموع الشعب من أي اهتمام بالشأن العامّ، والضعف الشديد للمؤسسات الدينية الرسمية والغياب شبه الكلّي لأي نشاط تعليمي وتربوي وتثقيفي إسلاميّ شعبيّ مستقلّ يمكنه أن يكون مدداً وسنداً لحراك شعبيّ أصيل، مع حضور لتأثيرات الانتماءات القديمة الجهوية والمناطقيّة بين شمال البلاد وجنوبها، كلّ ذلك أفرز حالة من عدم الاستقرار وتضارباً للمصالح المحلية والإقليمية والدولية.


جورباتشوف

والجهة التي كان مأمولاً أن تكون رأس الحربة في أوبة الطاجيك لدينهم وانتمائهم الإسلاميّ،وهي الحركة الإسلامية، كانت ضعيفة حديثة العهد، فقد تأسست وبدأت إرهاصاتها في أواسط السبعينيات، لكن نشاطها الشعبي لم ينتعش إلا في عهد (جورباتشوف) وكانت تفتقد للرؤية والقيادة الناضجة، كما كانت تفتقد إلى رصيد الخبرة ومراكمة التجارب وأدوات القوّة، والأهمّ من ذلك أنها كانت -في عصر ثنائية قطبية دولية- تفتقد لأي قوة كبرى أو إقليمية تدعمها أو تحميها أو حتى تتعاطف معها، وهو ما جعلها تضيّع مكاسبها وإنجازاتها وتخسر مواقعها التي حققتْها أثناء الحرب الأهلية، وتنقلب الأمور لصالح أعدائها من الشيوعيين السابقين ومن العلمانيين الجدد الذين قفزوا من سفينة الشيوعية الغارقة، أو من أولئك الذين كانوا يحظون بدعم ومساندة الغرب الأورو-أمريكيّ.

وخلاصة هذه التعقيدات كلّها كانت حرباً أهلية داخلية، استمرّت ما يقارب خمس سنوات، من عام ١٩٩٢ إلى ١٩٩٧، كان قوّات النخبة الروسية فيها تراقب وتحمي المنشآت الاستراتيجية في طاجيكستان باعتبارها

من منجزات الاتحاد السوفييتي التي ترى روسيا الاتحادية نفسها وريثاً له، وباعتبارها ذات حساسية وأهمّية لدولة روسيا الجديدة الناشئة من ركام الاتحاد القديم. وكان طبيعيا جدّاً أن تدعم روسيا وجيشها مَن هم أقرب إليها من بقايا الشيوعيين والذين اختاروا لسبب أو آخر أن يُبقوا على رابط الصلة والتبعية لروسيا.

وخلال سنوات الحرب الأهلية الخمسة مرّت طاجيكستان بأطوار وتقلّبات وتحالفات ومفاوضات توّجت باتفاقية الكرملين عام يوم ٢٧ يونيو ١٩٩٧، والتي نتج عنها تثبيت وتجليس علي إمام رحمانوف ممثلاً للسلطة العلمانية الجديدة في منصب رئيس الجمهورية، بينما اقتسم قادة المعارضة عدداً من المناصب العليا في البرلمان والمؤسسات الاقتصادية وغيرها، وانخرط عدد معتبر من مسلّحي المعارضة في جيش الدولة وأجهزتها الأمنية.



ولأن منتسبي الحركة الإسلامية في طاجيكستان ما بعد السوفييت كانوا خرّيجي مدارس ومعاهد ومؤسسات الحقبة السوفييتية الشيوعية؛ فقد كان فهمهم للإسلام وعمق حضوره وتأثيره وإدراكهم لشمولية شرائعه ليس بتلك القوة وذلك الوضوح، برغم اعتمادهم أدبيات الإخوان الشائعة وتضمين مقرراتهم لكتب سيّد قطب ومحمد قطب والمودودي، وكان أقصى ما يمكنهم فعله والمطالبة به هو سقف من الحريات الدينية والممارسات الإسلامية الشعائريّة، وترميم وبناء المساجد والمدارس القرآنية وإحياء عدد من التقاليد والأعراف يرونها جزءاً من هويتهم الإسلامية، برغم أنّهم نظرياً كانوا يطمحون إلى ما هو أعلى وأعمق من



ذلك، وقد بدت بعض تأثيرات هذه الالتباسات جلية أثناء الحرب الأهلية حين كان رموز وقادة الإسلام (الشعبي) يسارعون لينفوا عن أنفسهم تهمة التشدد والانتماء للجماعات الأصولية التي تريد إقامة حكم إسلامي، بل إنّ هؤلاء عارضوا بأكثر من طريقة نفوذ وسلطة الجماعات الإسلامية السياسيّة والمسلّحة التي رجحت كفّتها في أكثر من مرحلة من مراحل الحرب على أعدائها وخصومها.

ولأنّ هؤلاء أكثرهم صوفية (نقشبندية) فقد كانوا يعتبرون ظهور وقوّة وتمكّن أي طرف صحوي شبابيّ من خارج دائرتهم يمثّل نوعاً من التهديد والخطر على وجودهم ونفوذهم وحضورهم التاريخي في طاجيكستان، وكانت تهمة الوهّابية والتمويل الخليجي الشعبي (والرسميّ أحياناً) آنذاك ذات قابلية كبرى للتصديق ومقدّمة لإقصاء أي جهة سياسية أو عسكريّة وتحريض القوى الكبرى عليها وانفضاض الحلفاء وحتى عموم الشعب عنها.

ومنذ بدايات الألفية الميلادية الثانية، كان الخطاب العلماني المتطرّف المعادي لكل ما له صلة بالإسلام ينمو وينتشر في الدوائر الرسمية والإعلامية، بحسب السياقات السياسية والاجتماعية والتوازنات الداخلية، ولا يفتُر إلا ريثما يشتعل من جديد، خاصة ودستور طاجيكستان ينص بصراحة ووضوح على علمانية الدولة. وكانت معركة الحجاب من أظهر تجلّيات هذه الصراع، فما إن بدا لقادة طاجيكستان الجدد أن الأمر قد استقرّ للتحالف الغربي في أفغانستان والعراق عام ٢٠٠٥حتى صدرت قرارات التضييق على الحجاب ومنع المحجبات من المدارس والمعاهد.

وبحجّة الحرص على مستوى تعليمي راقٍ -وهو وهم على أيّ حال- بدأ التضييق على المساجد وعلى العدد القليل من النوادي، بمبرّر أن التلاميذ والطلبة يقضون فيها وقتاً كبيراً مما يحول بينهم وبين التحصيل الدراسيّ الجيّد.

ولو رحنا نعدّد بعض مظاهر الحرب على الإسلام لكان من بينها:

- حظر حجاب النساء.
- منع النساء من دخول المساجد.
- حظر إطلاق اللحى.
- غلق ما يفوق ٢٠٠٠ مسجد في أنحاء البلد.
- حظر رفع الأذان عبر مكبرات الصوت في المساجد.
- تقييد خطبة الجمعة بـ ١٥ دقيقة.
- عدم استصدار الوثائق الرسمية بالحجاب واللحية.
- ضرورة الإبلاغ الرسمي عن أيّ نشاط ديني مهما كان صغيراً وبسيطاً.
- تحديد عدد المساجد في المدن.
- منع تقديم أي برامج دينية للأطفال.
- إغلاق مئات المتاجر الإسلامية التي تبيع الأزياء المحتشمة؛ من حجابات وجلابيب وطاقيات وسجاد صلاة وغيرها.
- الحظر التامّ والصارم لكل نشاط تُشتَمّ منه رائحة التوجّه السلفيّ.









ولأن الطاجيك من أصل فارسيّ فقد ظهر توجّه قوميّ شعوبيّ يحارب التراث والمنجزات العربية التاريخية وهي في غالبها عربية اللسان، أما من أنتجها فهم علماء مسلمون فيهم عرب وأعاجم كما هو الشأن في جميع منجزات الحضارة الإسلامية. بل بلغ الأمر بالحكومة أن منعت التسمّي بالأسماء العربية، والتشجيع على التسميات الفارسية، واعتبار شاهنامة الفردوسي مصدراً للأسماء وللذاكرة التاريخية للطاجيك، رغم أنها ليست سوى حشد من الأساطير والخرافات الجاهلية!

ومن البدهيّ أن قطاعاً عريضاً من الشعب الطاجيكي المسلم ليس راضياً ولا خاضعاً لهذه الإجراءات التعسفية، وأن مظاهر السخط والتذمّر كانت وما زالت تختمر وتعتمل بين جنبات النفوس وفي أروقة التنظيمات والجماعات الصغيرة هنا وهناك، والنظام الطاجيكي وحلفاؤه من الروس يدركون ذلك، ويحاولون إخماده وتفكيك كل معارضة أو مقاومة ولو معنوية لهذا الاستبداد الغاشم.

إن بذور الانتفاضة والتمرّد والثورة قد بُذِرت منذ زمن بعيد، وإن الاستبداد والقهر والظلم يسقي هذه البذور يوماً بعد يوم، وإن الشعب الطاجيكي رأى ويرى ويجب أن تعلم قياداته الدينية والسياسية الأصيلة المتصالحة مع هويتها وانتمائها أنّ المقاومة والرفض خير ألف مرّة وعلى جميع المستويات من الخضوع والاستسلام، وأن المحافظة على الدين والشعائر والشرائع والهوية الإسلامية يستحق ما يُبذل في سبيله من تضحيات جسام.

وإن انتصار المجاهدين في أفغانستان المجاورة ينبغي أن يكون ملهِماً لكل مقاوم في طاجيكستان، وإنّ طوفان الأقصى يعلّم المسلمين جميعاً أنهم يستطيعون فعل المستحيل، وقادرون على النكاية في أعدائهم والنيل منهم وقلب الموازين لصالح قضاياهم، وان البدائل والسبل كثيرة من أجل تحقيق سقف أعلى من الحريات وإسقاط الطغاة والمستبدّين.



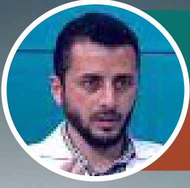
ولا شكّ أن العبء الأكبر في تحقيق هذه الغايات يقع على عاتق الجماعات الإسلامية بتياريْها الحركي والتربوي والسياسي -على ما أصابه من ضعف منذ ما يقارب العقدين من الزمن- والتقليدي الصوفي الفقهي، وهو تيار متجذّر وأصيل وله امتداداته وتأثيراته وشبكة علاقاته المجتمعية القوية والراسخة، وإن كانت تجربة (حزب النهضة الإسلامية الطاجيكي) لا تبعث على كبير أمل برغم أن جذور وتاريخ تأسيسه يعود إلى عقد السبعينيات، لكنه بسبب خلفياته ومرجعياته يفتقد الحزم والعنفوان والجرأة اللازمة لتقحّم مساحات جديدة في المقاومة والرفض، ويحسب حسابات كثيرة تثقل أفعاله وردود أفعاله، وهو بلا ريب قد أصابه كثير مما أصاب الحركات الإسلامية السياسية في عمومها. لكن حركية الأمة عوّدتنا أن ننتظر من شبابها ورجالاتها أن يتجاوزوا هذه العقبات الكأداء، ويبدعوا في ابتكار المسارات الجديدة، ويغيّروا موازين القوّة بتوفيق ربّانيّ وبأضعف الأسباب أحياناً.

وإنّ مما يخشاه النظام الطاجيكي وحلفاؤه هو امتداد تأثيرات الحالة الأفغانية خاصة وأن خمس السكان تقريباً هم من الطاجيك، وعدد من قيادات الإمارة الإسلامية ومقاتلي طالبان طاجيك، وقد جرت السنن أن تحدث تأثيرات هادئة وممتدة وغير ملحوظة أحياناً في مثل هذه الظروف. وقد تكرّر الإعلان عن انتماء أعداد ليست بالقليلة من الشباب الطاجيكي للتنظيمات الجهادية على اختلاف توجّهاتها، وهو وإن كان أمراً تحاول السلطات العلمانية المتطرّفة استغلاله والاستثمار فيه لجلب الدعم والتأييد ولمزيد من الضغط والتقييد والإجراءات التعسفية، إلّا أنّه -في تقديري- يبقي جذوة الرفض والمقاومة متّقدة.



على رجاء في الله تعالى وأمل في أولي الأحلام والنّهى أن يستدركوا ما فات ويصححوا المسارات ويطوّروا من الأداء ويستثمروا في رصيد الفطرة والانتماء الأصيلين لدى الشعب الطاجيكي ويركّزوا على تنشئة الأجيال الناشئة على عقائد الإسلام وشعائره وشرائعه وقيمه وكلّياته وأن يبذلوا في ذلك ويستفيدوا من تجارب شعوب مسلمة ليست بعيدة عنهم جغرافياً.

وأن يعلموا أن الاستسلام والخضوع لا يُنتج إلا مزيداً من الاستسلام وتسلّط الأعداء عليهم، وأن المقاومة والرفض والمصابرة والرباط تُثمِر بإذن الله عزّة وكرامة وحرّية وتشقّ مسارات جديدة عواقبها كلها خير وبركة.


د. أحمد شتيوي
أخصائي طب الأسنان



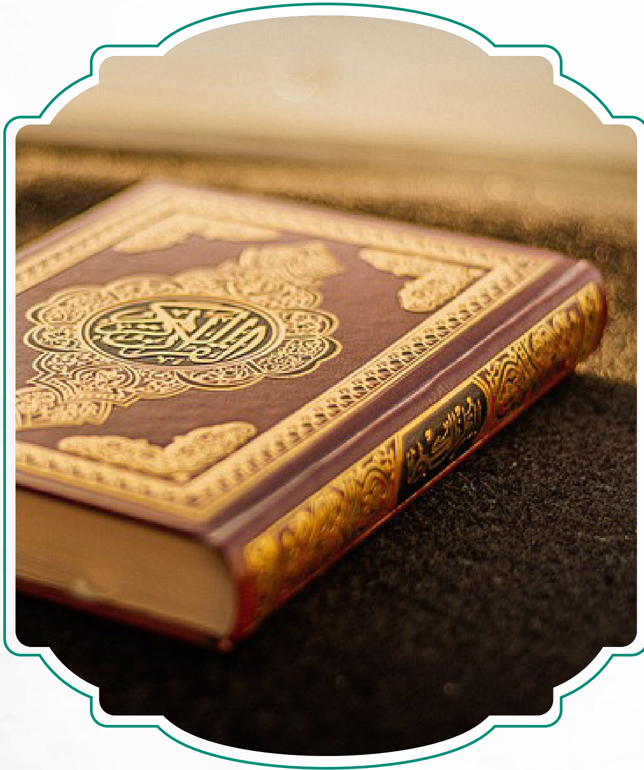
أساطير الأولين (٢-٢)

ولنفصّل أكثر في تلك المفروضات الطغيانية، ولنأخذ مثلاً تصدير الغرب لنفسه بأنه مركز الكون، فكما كان البعض يرسم أوروبا في الخرائط أكبر من حجمها بكثير ويجعلها في أوسط خريطة العالم، ليوحي بالكبر والمركزية، فإن العالم فعلاً يرى بنيها هكذا وإن تصححت الخرائط، ولم لا؟

أليست هي أم السيادة؟ أليس العرق الغربي هو مصدر التوجهات في القرن الماضي سواء كانت شيوعية أم ليبرالية أم علمانية وما بين هذه المصطلحات وما تحتها؟ سواء كان الأوربيون في

أقصى الشرق أم في أقصى الغرب، أليس الأوربيون هم من خاضوا الحربين العالميتين، أين كان بقية البشر، لم يكونوا إلا بعض الساحات الخلفية للمعارك أو مشاركين ضعافاً، أليست السياسة الدولية التي ينتظم فيها العالم هي نتاج الفكر الأوروبي؟

إن هذا التاريخ القريب يطغى على الذهنية البشرية تلقائياً فيملأها باللون الأوروبي، ونرى ذلك في كل المجالات حتى في الأذواق، وكأن التاريخ قد اضمحل وأصبح هو آخر قرنين في أذهان البشر الحاليين.



أضِف هذا إلى السردية الأوروبية لتاريخ العالم والعلوم وفلسفتها لتعرف مقدار الأزمة، إن هذا التصور وإن كان إنكاره بديهياً إلا أنه ظاهر على سلوك البشرية، وأنسى البشر خط الزمن الطويل، ولكن والحمد لله فإن القرآن الكريم الذي أنزله الله لكل البشر قد اتخذ منهاجاً للتنبيه من الدخول في هذا النفق، وهو دائم التذكير بهذه القضايا ويكررها، وقد ذكّر للبشر بدايتهم وأعلام أنبيائهم، وأحسن قصصهم، سائراً بهم في القرون والبلدان التي يفيدهم ذكرها ومعرفتها، فيؤصل لسبب وجود هذا الإنسان وبدايته ووظيفته ومسئوليته والتحديات التي سيواجهها. فيفهم الإنسان أين هو من هذه الحياة، ويكون على يقين وعلى علم بمن خلقه، وعلى صراط مستقيم لا بآراء بشرية ونظريات وترجيحات أو تزييف أو فرض لفكرة مخضعة.



وطبعاً منهج الدين في هذا يبدأ بالأصل، وهو التوحيد، لأنه مبتدأ الأمر فمعه يستقيم الخط، ومن غيره يبدأ الضلال، فحقيقة أن لهذا الكون إلهاً واحداً، أمرٌ هادم لطغيان وأكذوبات البشر مهما كانت على مر العصور، إنها الحقيقة الناسفة لعقائد متوارثة بُنيت عليها ممالك وربما حضارات، وطُوعت بها شعوب وخيضت باسمها حروب مصالح ومنافع، منافع ومصالح وكيانات دائرة وسائرة لهذا الكهنوت، لذا كان دوماً رد الفعل والاتهام منطلق من الفزع من أثر التوحيد وفكرة أن ما هم عليه خطأ، مع كل هذه الهالة الآسرة والمنظومة الراسخة في مخيلتهم!

لذا فقد كان لسان حال الكافرين دوماً: أنكون نحن وآباؤنا على ضلال؟ لا! لن يكون. وتأمّل في هذا الحوار الذي ظهرت فيه هذه المعاني بين داعي الله وداعي الطغيان:

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ * قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٤٩-٥٢].

سأل فرعون: ما هو منهجك يا موسى؟ فقال موسى: منهج ربي الذي خلق كل شيء، يعني خلقك أنت وما حولك وهدى كل ما خلق لوظيفته، وهذا المعنى فهم فرعون عمقه بسرعة، وعرف حجم المعنى وما سيكون



له من أثر ولذا قال: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١].

أي: كما قال القرطبي وغيره في التفسير «أَيْ فَمَا بَالُهُمْ ذَهَبُوا وَقَدْ عَبَدُوا غَيْرَ رَبِّكَ»، ففرعون يقول لموسى: أتريدني أن أتخلى عن هذه الأفكار ونحن مستقرون ساكنون عليها، أتريد أن تقنعني أن هذا (الهيلمان) مبني على خطأ! ومن ورثت منهم كل هذا كانوا على خطأ!

وهذا من فخاخ البشرية التي تسقط فيه كثيراً، أن حاضرهم واستقرارهم على فكرة يمنعهم من تغييرها، فهم لا يتصورون أن هناك شيئاً أعظم من واقعهم أو أكثر منه رسوخاً، أو قادراً على إزالته.. هكذا بكل بساطة! وربما كانت هذه النقطة هي أعمق نقطة في هذا المقال وهي هدفه.

وتأمل في ردّ سيدنا موسى صاحب اليقين: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]. أي أن الحقيقة التي أنا عليها لا يبطلها أن هناك من أنكرها واستقرّ على إنكارها لأنها وببساطة من عند الله، فهو سبحانه محيط بكل شيء لا يضل ولا ينسى، وهذه يا فرعون ليست نقطة قوة لصالحك، فاستمرار الخطأ فترة لا يعني صوابه، وهي في علم ربي الذي أكلمك عنه، ولذا فقد أكمل سيدنا موسى وعْظه لفرعون: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣]. وهذا هو الأهم يا فرعون وهو واقع حولك وليس غيباً أو تاريخاً، لا كون أفكارك وقومك مر عليها شيء من السنين!

إن هذه النقطة، نقطة تصور خط الزمن للبشرية هي من آفات عصرنا كذلك، فالتطور والمدنيّة قد أبعدت الإنسان عن فكرة تدخل السماء المستمر، فنحن في عصر قيل عنه إنه عصر علم وعصر إيمان بالأسباب أو عبادة لها من دون الغيبيات أو ما سموه الميتافيزيقا، وهذا يتعارض مع القرآن الذي سردت معظم قصصه عن تدخل السماء المادي المباشر في إنقاذ أو إهلاك البشر، وأصبح من الصعب على الإنسان -شكلياً- في هذا العصر وبهذه المفاهيم أن يؤمن أن كل ما حوله باطل وأنه سيزول، وسيرث أولياء الله كل هذا! فكيف!

ولنتأمل لماذا تسرد كل هذه القصص عن قرب السماء من البشر في معظم عصورهم.. لماذا تُذكر في القرآن وهو قد نزل مع اقتراب الساعة كما قال النبي: «بُعثت أنا والساعة كهاتين»؟

إنه التأكيد الإلهي على أنكم أيها البشر في ملكوت اسمه ملكوت الله، وأن دهوركم تلك مهما تغير شكلها وبعدت عنكم المعجزات الظاهرة.. إلا أنكم في هذا الملكوت، وتحت قدرة خالق هذا الكون، وأيضاً ما أنتم إلا شريحة زمنية صغيرة -مهما طالت- في هذا النظام الذي يعلنه القرآن من لدن آدم.. أول إنسان.

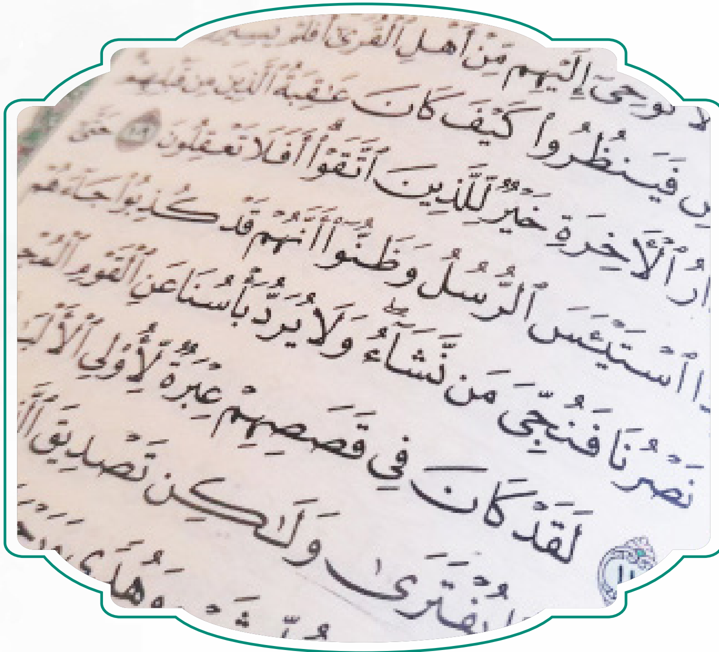


داء الانبهار بحجم الباطل

ونحن كمسلمين قد أُصبنا بغبار هذا الداء.. داء الانبهار بحجم الباطل ورسوخه؛ فمثلاً نحن المسلمين -بل وأحيانا كإسلاميين- لا نستطيع أن نتصور أنه ستقوم خلافة للمسلمين ويكون لهم قائد واحد يمسك بزمامهم في عصر كهذا، فتجد التفسيرات تنطلق إلى أنها كونفيدرالية أو عُصبة لمجموعة من الدول، وكذلك تجد بعض الإسلاميين يصعب عليهم تخيل أن هناك سيادة للإسلام قَبل المهدي، أو أن هناك خلافة ممكن أن تقوم دونه. وبعيداً عن الدخول في نقطة لست أنا أهلاً لها وهي خلافية بين العلماء، إلا أن هذا المعنى -معنى استقرار الباطل وتمكّنه وهالته الكبرى- هي السبب في صعوبة تخيل بعض تلك البشريات، بل وإن تدرجت في التفصيل بعض السلوكيات السياسية لبعض الإسلاميين.



إن النظر لهذه الدنيا بتاريخها لابد أن يُبنَى على الأسس التي ذكرها الله سبحانه، فعدم علم أهل الطغيان أو إنكارهم لأحداث الأمم السابقة، واختزال التاريخ كرواية غربية مهيمنة =آفة مهلكة، فعلى سبيل المثال يقول الله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. فمعنى هذا أن كل الأمم وصلها أنبياء قبل الرسول سواء ذكرهم التاريخ أم لا، سواء كانوا في أستراليا قبل اكتشافها، أو كانوا عند الهنود الحمر قبل إفنائهم، أو كانوا في الصين وكان كونفوشيوس هذا نبياً!



إن الهدف من هذا المقال هو إعادة قراءة هذه الدنيا باسم ربنا الذي خلق، كما جاءت أول الآيات المحكمات، أي على توجيهات ربنا سبحانه وتعالى، وأن ننتبه إلى أي فكرة أو حالة نفسية تخالف هذا النهج القويم، ولنحذر من مصير الطغاة المستكبرون الذين شوهوا حقيقة الحياة في أذهان البشرية، فهم مستدرجون بعنادهم وسيستفيقون على صدمة كبرى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧].

ذكر ندمهم على تدرج: قد كنا في غفلة، بل كنا ظالمين، لم يذكر اعترافهم النهائي وهو الحقيقة النهائية مرة واحدة، بل ذكر الله قوليهم لأنه وصف الانتقال ما بين غرور الواقع الوهمي والحقيقة الدائمة، مثلما فعل فرعون وموسى، أشار فرعون إلى رسوخ عقيدتهم وصعوبة تخيل بطلانها: (فما بال القرون الأولى)؛ فنبّه موسى إلى الحقيقة الدائمة (الذي جعل لكم فيها سبلاً).

ولذا فإن اعتراف الكافرين بعد ضياع الفرصة اعتراف خانق مؤلم متحسر؛ لأنهم علموا أن أنفاسهم في الدنيا كانت تقر من داخلها أن هناك إلهاً وأن الإله كان طريقه واضحاً صافياً طاهراً: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٦٥].

ولنقرأ هذه الآيات التي نزلت في أمتنا الخاتمة التي تعيش هذا الزمان:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ * وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ * لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٥-٥٧].

ولنحمل هذه الرسالة غضّةً طرية كما أُنزلت، ولْنقرأ هذه الحياة باسم ربنا الذي خلَق، لا بقراءة أرسطو ولا أفلاطون ولا أحفادهم ولا غيرهم، بل باسم الله.. لنقرأ هذا العلم الذي نحن فيه بأنه علم من الله لا علم غير علم الله..



اقرأ.. اقرأ.. ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ * ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ * كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ [العلق: ١-٨].



عماد إبراهيم
مدير مشروع بَصِيرَة الدعوي

ضاقَت فلمّا استحكَمت حَلقاتها..

فُرجت!

وَلَرُبَّ نازِلَةٍ يَضيقُ لَها الفَتى •• ذَرعاً وَعِندَ اللَهِ مِنها المَخرَجُ
ضاقَت فَلَمّا اِستَحكَمَت حَلَقاتُها •• فُرِجَت وَكُنتُ أَظُنُّها لا تُفرَجُ

ما أحسب أن هذين البيتين من الشعر ينطبقان على شعب قدر انطباقهما على أهل غزة الصامدين الصابرين، فقد ألمت بغزة وأهلها نوازل شديدة وأيام عصيبة ما اجتمعت في شعب إلا قصمته وحطمته وأردته أرضاً لا تقوم له قائمة، لكن غزة صمدت أمام نوائب الزمان المتعاقبة وصمد أهلها المرابطين المجاهدين ولم تكسرهم كل هذه الشدائد، ولم يفتّ في عضدهم تكالب الأعداء وخذلان الأصدقاء.

وتاريخ غزة -كما كل فلسطين- تاريخ مجيد حفظته ووعته الأجيال المتلاحقة، وحافظت غزة على اسمها العربي حتى تاريخنا الحاضر، لتؤكد عروبتها رغم الاحتلالات المتتابعة التي مرّت بها. فقد مرّت بتاريخ طويل من الاستعمار والاستبداد من قِبل الغزاة والمحتلين حتى يومنا هذا، فما كان منها في الماضي إلا أن استوعبتْهم وتمكّنت من دحرهم وهزيمتهم طال الوقت أم قصر، فلا يتقادم حق مشروع، ولا تموت قضية عادلة مهما طال الزمن، فهي تمنح صاحبها قوة يعجز العقل البشري عن فهمها أو استيعابها.

لقد علم أهل غزة الطريق وحفظوا معالمه ووعوا الدرس جيداً، وأدّوا واجبهم وقدّموا دماءهم وأرواحهم، ورفعوا لواء المقاومة وأحيوا فريضة الجهاد، فصارت حياتهم بين نصر أو استشهاد، ولم يضرهم من خذلهم أو من خالفهم.



ونحسبهم ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[١].

والحقيقة التي أقرتها أحداث (الطوفان) منذ السابع من أكتوبر الماضي٢٠٢٣م، أن غزة هي التي تحررنا ولسنا مَن نحررها، فما زالت غزة وأهلها صامدين ضاربين المثل في الصبر والصمود والمقاومة من

١ رواه أحمد.

أجل البقاء، يحفظون للأمة آخر قطرات ماء الوجه.. والصوت الوحيد الذي يتردد في أذني هو صوت نداء أهلنا في غزة من كل أم ثكلى وكل طفل يُتم وكل زوجة رُملت ومن كل مجاهد يقف على ثغر:



أين أنتِ يا أمة محمد؟! أين أنتِ يا أمة المليارين؟! أما آن لكِ أن تتوحدي؟! أما آن لكِ أن تحرري وتنهضي من تلك الكبوة؟!

تُرى.. هل تلبي الأمة النداء؟! لقد عانت الأمة الإسلامية من الغزو الفكري الذي دأب أعداؤها من خلاله على أن يَحولوا بين الأمة وتاريخها وسيرة الصالحين والمصلحين من أسلافها، ليحل محلها تاريخ مزيف وسير مُعَلبة مستوردة، تقتلع المسلم من جذوره إقتلاعاً، وتفسد على المسلم حاضره ومستقبله، بعد أن تُفقده بوصلته الفكرية والشرعية، وتشوش رؤيته فيحيد عن الطريق بعدما اختفت معالمه؛ فتعلو بذلك لغة الغالب لغة المغلوب، وتضعف الأمة ويضعف فكرها فتفكر كما تفكر الأمة الغالبة، وتنقاد لها كما تنقاد الأنعام لسيدها.

وبذلك فإن الغزو الفكري للإسلام يستهدف جذور هذه الأمة للقضاء على الجوهر من خلال تشويه الأصول لا الفروع، بحرب ضَروس على القرآن الكريم، دستور المسلمين، وعلى سُنة نبي الإسلام محمد ﷺ المصطفى الأمين.

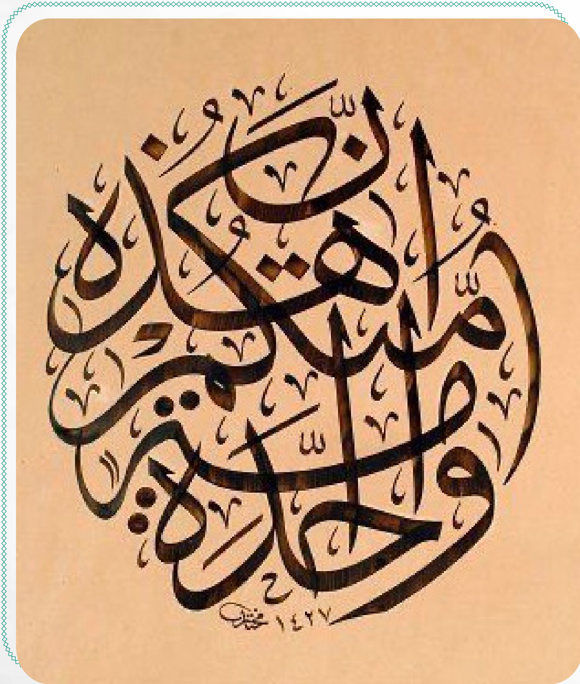
ما بال شمل المسلمين مُبَدّدٌ فيها .. وشمل الضِّد غير مبَدّدِ

ماذا اعتذارُكم غداً لنبيِّكم .. وطريق هذا العذر غيرُ مُمَهّدِ

إن قال لـمَ فرطتمُ في أمتي .. وتركتموهم للعدو المعتدي

تالله لو أن العقوبة لم تُخِفْ .. لكفى الحيا من وجه ذاك السيد!

إن من أوجب الواجبات الآن، العمل على رص الصفوف وحشد المصلحين واستنهاض طاقات الأمة والاستنفار، وبذل كل ما هو غالٍ ونفيس في سبيل تحقيق الهدف الأسمى، وهو وحدة الأمة الإسلامية لتعود لسابق عهدها وتقوم بأعظم مهمة، وهي مهمة الاستخلاف في الأرض لتقيم دين الله وتحقق العدل في أرضه، وتنال بذلك أعظم تكريم وتكون حقاً خير أمة أخرجت للناس، يقول الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].



والعمل على تحقيق هدف كهذا لا يجب أن يكون نزوة عاطفية ولا أمنية ظرفية، فنعطيها فائض الوقت والجهد، فتصبح بذلك قليلة البذل، شحيحة العمل، ضعيفة الأثر، بل لابد من نداء صادق وسعي حثيث لتجميع طاقات الأمة، ولم شملها، وتوحيد صفوفها، ولنعلم جميعاً أن التفريط والتهاون في تحقيق وحدة الأمة وتماسكها من أكبر النوازل الخطيرة التي تستدعي من أهل الإسلام أن يكونوا على مستوى

الحدث، وأن يتخذوا ما أمكن من الحيطة والحذر، فقد حرص أعداء الأمة الإسلامية على غرس الفرقة بين أبنائها، والعمل بكل جهد على إعاقة ومنع تمكينهم من الوحدة وهذا ما نراه بأم أعيننا ونعيشه الآن.

تتجرع الأمة الإسلامية اليوم مرارة التفرق والانقسام، والعيش في كنف غثاء السيل، وتحقق فيها قول نبينا المصطفى ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»[٢].

إن سُنن الله تعالى ماضية في الأمم والشعوب لا تتبدل ولا تتغير ولا تجامل، وقد جعل الله من أسباب هلاك الأمم الاختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وقال ﷺ في الحديث الشريف: «فإن مَن كان قبلكم اختلفوا فهلكوا». وفي رواية: «فأهلكوا»[٣].



والاختلاف المهلك للأمة هو الاختلاف المذموم، ولا يمكن أن تخرج مما هي فيه الآن إلا بالرجوع إلى أصولها العقدية وجذورها التاريخية، وتعضّ عليها بالنواجذ، فلا خير فينا إن لم نبذل كل غالٍ ونفيس في

٢ رواه أحمد.

٣ صحيح البخاري.

سبيل تحقيق وحدة هذه الأمة، التي يُقام فيها الشرع ويُحكم فيها بالعدل ويُعز فيها المسلم ويُصان في العِرض، وتَنشر الهدى في العالم كله، وتُكرِّم الإنسان، يحيا بها الفرد مطمئناً، أمة تحرك جيوشها لحماية دم مسلم واحد!

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

أمة تحافظ وتصون أرواح وثروات وخيرات أبنائها، أمة لا يُظلم فيها أحد مهما كان دينه أو لونه أو لغته.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يسخّر لهذا الأمر رجالاً أقوياء، أمناء يحملون هذه الأمانة بكل صدق، وأن يقر أعيننا بأمة موحدة يُمكّن فيها لدين الله؛ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١].

والحمد لله رب العالمين.

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY



هذه دورة عن فقه الحج قام بإلقائها فضيلة الدكتور ياسر النجار، تناول فيها أهمية الحج وإنه ركن من أركان الإسلام، وذكر الأدلة الشرعية، وأقوال العلماء بالتفصيل والتأصيل، ثم تكلم الشيخ عن تعريف الحج وأركانه وشروطه وعلى من يجب، وأنواع الحج وذكر ذلك في سبعة عشر محاضرة.

فقه الحج

من أهداف الدورة:

- تغطية جزء من فقه العبادات مما لا يسع المسلم جهله.
- معرفة حكم الحج وهل يجب على الفور.
- معرفة خصال الاستطاعة المعتبرة شرعًا.
- معرفة الشروط الخاصة بالنساء في الحج.
- معرفة شروط صحة الحج.

يمكنك الاشتراك في الدورة من هنا

اضغط هنا للاشتراك في الدورة



17 محاضرة 10 ساعات

قصة الهجرة

دورة علمية تتناول حدث الهجرة كاملاً من بداية إرهاصات الهجرة إلى وصول النبي ﷺ المدينة، وأسبابها وأحداثها ونتائجها، وتبين ما ثبت وما لم يثبت من الوقائع التاريخية حول هذا الحدث العظيم، وتتناول حدث الهجرة النبوية بالتفصيل، وما الذي حدث مع النبي وأصحابه، والهجرة الأولى إلى الحبشة، ذكر الوفد الذين قدموا من الأنصار لبيعة رسول الله، وسرد حدث الهجرة على طريقة القراءة وإسقاطها على واقع المسلمين، حتى يستفيد من سردها كل مسلم ومسلمة.



9 محاضرات



3 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

فقه الصيام



مع فضيلة الشيخ الدكتور
جعفر الطلحاوي
أستاذ الشريعة الإسلامية بالأزهر الشريف

هي دورة علمية يقدمها فضيلة الشيخ الدكتور/ جعفر الطلحاوي في فقه الصيام وما يلحق به في عدة حلقات، تُقدم شرحاً تفصيلياً لفقه الصيام، وذكر القول الراجح من أقوال العلماء، كما تجيب على أكثر الأسئلة شيوعا وتكراراً في باب فقه الصيام، وذكر الراجح من أقوال العلماء في المسألة، دون الدخول في تفاصيل أقوال المذاهب، والمسائل الخلافية بينهم، وما يلحق به كـ (الاعتكاف - وزكاة - الفطر)، وهي دورة علمية بين يدي رمضان نصل بها إلى عموم المسلمين تعليماً وتفقها.

 20 محاضرة  8 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة





دورة شرح الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية ﷺ، التي ألفها العلامة ابن أبي العز الحنفي الدمشقي في مئة بيت، ذكر فيها سيرة وحال النبي ﷺ من مولده إلى وفاته، في أبيات على بحر الرجز ولذا سميت الأرجوزة، وقام بشرحها فضيلة الدكتور محمد سعيد بكر في كتاب تحت عنوان (القيم النبوية في الأرجوزة الميئية) في أربعة عشر لقاء في أكاديمية أنصار النبي ﷺ.

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

 15 محاضرة  5 ساعات



اضغط هنا للاشتراك في الدورة

دورة قواعد الإدارة النبوية يقدمها فضيلة الدكتور محمد سعيد بكر، يتناول فيها كيف كانت إدارة النبي ﷺ في التخطيط والتنظيم، والمتابعة، والمراقبة، والتوجيه، وكيف تعامل مع إدارة الأزمات، وإسقاط ذلك على واقع الإدارة الحديثة وآلية تفعيل هذه القواعد في وقتنا الحاضر، وذلك في عشر محاضرات.

 10 محاضرات

 3 ساعات



أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY



30 محاضرة   10 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة



دورة علمية تأصيلية في فقه الجهاد وأحكامه في الشريعة الإسلامية، قدمها فضيلة الدكتور عبد الحي يوسف، تناول فيها تعريف الجهاد وأنواعه ومراتبه ومراحل تشريعه، ثم استفاض الشيخ في التفصيل في مسائل الباب وبيان أحكامها وأدلتها وإنزال ذلك على واقع الجهاد في فلسطين.





دورة شرح العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ الدكتور الحسن الكتاني، شرح فيها كتاب العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ محمد يسري إبراهيم، وتوضح الدورة عقيدة المسلمين في بيت المقدس والمسجد الأقصى، ومكانة هذه المقدسات في الإسلام، وما يجب على المسلمين تجاهها، مع الرد على كافة الشبهات المثارة حول هذه المسألة.

19 محاضرة   8 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

سلسلة

السيرة النبوية

استعراض لوقائع السيرة النبوية
التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

- من نبعته إلى بعثته ﷺ
- من هجرته إلى وفاته ﷺ
- من بعثته إلى هجرته ﷺ
- الغزوات النبوية



الشيخ د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

سلسلة السيرة الفرنسية

السيرة النبوية

استعراض لسيرة النبي ﷺ من خلال دراسات ومؤلفات المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين، تحقيقا لقوله تعالى:

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾

- السيرة النبوية الفرنسية



محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

﴿قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾



أئمة الهدى

من تراث العلماء والدعاة والشهداء الراحلين



الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن

رحمه الله*

الحُكم بالقرآن وإن أبَى الطغيان

منذ انطلق أول قبس من أنوار الهدى في رمضان سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة، ومنذ انبعثت الثورة الإسلامية بقيادة محمد ﷺ تجدد شباب الحياة، ومنذ أشرقت شمس الأنوار القرآنية والنبوية على العالم تبدد ما تراكم من ظلمات الجهالة والضلالة والتقليد، وتنير للناس طريق الحق والعدل والخير والسلام، ومنذ تفجرت الطاقة الإيمانية تصبغ الحياة كلها بصبغة الإسلام: الفرد والجماعة، المادة والروح، العلم والعمل، الحرب والسلام، المعاش والمعاد.

---

* من كتاب: (كلمة حق.. مرافعة الدكتور عمر عبد الرحمن في قضية الجهاد)، ص١٤ وما بعدها، من نسخة إلكترونية عن الكتاب الأصلي، المطبوع في: دار الاعتصام/ القاهرة، ١٩٨٧م.

ومنذ اندلعت الثورة التحريرية الكبرى للإسلام تصنع خوارق أعظم من نقل الجبال وتجفيف البحار وتحويل العناصر من حال إلى حال؛ لأنها ثورة دخلت في بنية الحياة وغيرت مجرى التاريخ، وصرفت أقدار العالم وانطبعت في ضمير الزمان؛ ذلك بأن جذورها ضاربة في أعماق الكون، متأصلة في ضمير البشر، ذاهبة في مسارب الحياة. منذ ذلك الحين حرص الإسلام على تربية الفرد المسلم والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة والحكومة المسلمة.



ربَّى الإسلام الفرد: عقله بالعلم، وروحه بالعقيدة والعبادة، وجسمه بالنظافة والرياضة، ليسلم ويقوى، وبالتداوي ليبرأ ويشفى. وربّى نفسه: بالتحلي بمكارم الأخلاق، كاحترام النفس، والعزة والشجاعة، والسخاء وإنكار الذات، والحلم والصدق والأمانة، والتواضع والصبر. وربّاه اجتماعياً: بالحثّ على الدعوة إلى الله وإلى الخير، وعمل البر وإماطة الأذى، وغض البصر وحفظ الفرج، وإفشاء السلام وكف اليد واللسان. وربّى الأسرة: حافظ على كيانها، ومنع من اختلاط أنسابها، وحثّ على الزواج، وأمر الأهل بالصلاة والزكاة، وتعليمهم ورعايتهم ووقايتهم النار.

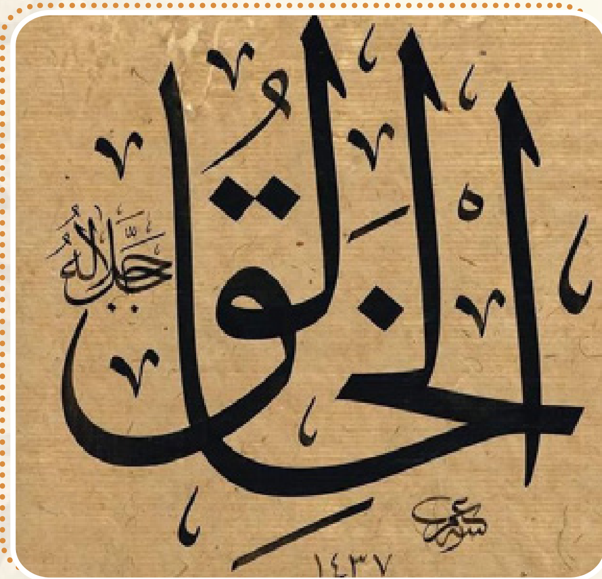
وبيّن دعائم الوقاية من الجريمة وتجنّب النفوس أسباب الإغراء والغواية، وأوضح آداب البيوت والاستئذان على أهلها، والأمر بغض البصر والنهي عن التبرج وإبداء الزينة والخضوع بالقول، وحض المجتمع على نكاح الأيامَى والحث على الاستعفاف حتى توجد مؤن النكاح، والتحذير من دفع البنات إلى

البغاء. وكلها أسباب وقائية لضمان الطهر والتعفف في عالم الضمير والشعور، ودفع المؤثرات التي تهيج الميول الحيوانيّة، وترهق أعصاب المتحرجين المتطهرين وهم يقاومون عوامل الإغراء والغواية.

وحرص الإسلام كذلك على تربية المجتمع المسلم تربية صحيحة قويمة. فأمره بالإخاء والتعاون والتراحم والمساواة والعدل والتناصح والتضامن في المسئولية، والأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، والتواصي بالحق والصبر والحرية والاستقلال.

ونهاه عن الربا والخمر والميسر والقتل والزنا، والسرقة وقطع الطريق، وإعانة الظالم وطاعة الأمراء والمداهنة والنفاق والحسد، وحرص كذلك على إعداد جهاز الدولة المسلم والقيادة المسلمة، وحث الحكام على الشورى والعدل والأمانة وأداء الحقوق، والحكم بما أنزل الله: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

إفراد الله بالحاكمية من صلب الإيمان



إن التسليم بقضية الحاكمية لله عز وجل هي نتيجة بديهية وحتمية ومنطقية لأساسيات ثابتة في الدين، يعرفها الصغير والكبير ولا ينكرها عاقل؛ فالله تعالى هو خالق كل شيء وله ملك كل شيء ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢]؛ فالكون كله مخلوق لله سبحانه مملوك له، ومن كان خالقاً مالكاً فله حق التصرف فيما خلق وفيما ملَك، وتحتم من كل هذا أن يكون له الحكم والأمر، وتصبح القضايا التي يجب أن يعتنقها كل مسلم هي أن الخالق

واحد والمالك واحد.. فإذن الحاكم واحد هو الله، لا إله إلا هو أحكم الحاكمين؛ فالله الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء، هو صاحب الحق وصاحب السلطان في تقرير المنهج الذي يرتضيه لتصريف شئون ملكه وخلقه، فهو الذي يشرع فيما ملك، وهو الذي يطاع شرعه وينفذ حكمه.



فالسلطان لا ينبغي أن يكون إلا لله، والحكم لا ينبغي أن يكون إلا لله ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، والله خلق الخلق لعبوديته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ فالعبادة لا تكون إلا لله، فكان الأمر بالعبادة من جملة ما حكم الله به وقضاه، والعبادة هي الخضوع والذل والطاعة لكل ما يأمر به الله عز وجل ويرضاه. فإذن التسليم بالحاكمية وقصرها على المولى عز وجل قيامٌ بواجب العبودية له سبحانه، بامتثال أمره واجتناب نهيه، والتسليم بحكمه.

عند ذلك يصبح مفهوم ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في ذهن المسلم -المدرك لحقيقة عبوديته لله- هو أن حياته إنما هي وفق لأمر الله وحكمه، وأن حركاته وسكناته لا تتعدى أمره سبحانه ونهيه في مواجهة الحياة، وأن فكره وعقيدته وعلاقاته بمن حوله من أشخاص ومجتمعات، كل هذا يكون وفقاً لأمر الله وحكمه، فهو طائع له متبع لأمره في الشعائر والشرائع الدينية، حامل لمنهجه كدين ودولة، وعقيدة وقانون. فالحاكمية لله تعني أنه سبحانه هو المالك الآمر المشرع الذي لا يجوز لأحد غيره أن يحكم أو يأمر أو يشرع. فحق التشريع غير ممنوح لأحد من الخلق، غير ممنوح لهيئة من الهيئات ولا لحزب من الأحزاب ولا لبرلمان ولا لمجموع الأمة ولا لمجموع البشرية، فمصدر الحكم هو الله؛ هو الذي يملكه وحده.

والناس إنما يزاولون تطبيق ما شرعه الله بسلطانه، أما ما لم يشرعه الله فلا سلطان له ولا شرعية.. فالناس ليس لهم حق التشريع ابتداء، وكل ما لهم هو مزاولة التطبيق لما شرعه الله أو الاستنباط والقياس على أحكام الله فيما لم يرد به نص؛ فالتحليل والتحريم بالهوى ودون ضابط شرعي هو منازعة في الحاكمية، ومشاركة في توجيه العبودية لغير الله، وهو منازعة للألوهية لا مراء في ذلك ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].



أما كل من يريد أن يجعل الناس أجمعين خاضعين لأمره ونهيه فاعلين ما يريده ويحكم به، واقفين عند ما يشرعه لهم، فهو من جملة الطواغيت التي تسعى لتعبيد الناس لفكرهم وهواهم، وهم الذين أمر الله عز وجل عباده بالكفر بهم والبراءة منهم ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء: ٦٠]، ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة ٥٠]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

ونأخذ في بيان هذه الآيات إن شاء الله بشيء من التفصيل..

أولاً: قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

- **أ. من هم أولو الأمر؟** عن ابن عباس: هم أهل الفقه والدين. وعن مجاهد: هم العلماء. وعن أبي هريرة: هم الأمراء. قال ابن كثير: والظاهر أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء. وقال صاحب تفسير المنار: «أولو الأمر هم جماعة أهل الحل والعقد، وهم الأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء، الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح على ثقة الأمة ورضاها، لما عُرفوا به من التقوى والعدالة والاستقامة والإخلاص وحسن الرأي والحرص على مصالح الأمة».



- **ب. قال سبحانه: «وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ»**، فما المراد بأولي الأمر منكم؟ هو الحاكم المؤمن المطيع لله والرسول الملتزم بشريعته، فلا بد أن يكون أولو الأمر هم جماعة الإيمان والاستقامة والتقوى، لأن ولاية الأمر خلافة ونيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين، فمن البديهي أن تودع هذه الأمانة في يد من يؤمن بهذا الدين ويحرص على إقامة أحكامه وتطبيق شريعته.

فأما من لم يكن منا، أي غير المؤمنين، بأن كان ساخراً من الإسلام مستهزءاً به، مهدراً الحدود، مقراً التعامل بالربا، غير حاكم بالشريعة ولا محرم كثيراً مما حرمه الله مجترءاً على الدين حين قدم قانون الأحوال الشخصية، متوعداً المسلمين بأن لن يرحمهم، واعداً الصهيونية بمد زمزم الجديدة إليها، منادياً ببناء مجمع للأديان، مطبعاً العلاقات مع أشد الناس عداوة للذين آمنوا، موقعاً على اتفاقيتي كامب ديفيد، زاعماً أن المسيح صُلب، مجزءاً لقواعد الدين، جاعلاً القرآن عضين حيث يقرر آثماً أنه لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، فإن مَنْ هذا شأنه لا يستحق أن يكون من أولي الأمر فضلاً عن أن يستحق الطاعة.

- **ت. إنما قال: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ»** فأعاد فعل «أَطِيعُوا» مع الرسول ﷺ اعتناءً بشأنه وإيذاناً بأن له استقلالاً بالطاعة لم يثبت لغيره، ومن ثم لم يُعَدْ فعل «أَطِيعُوا» مع أولي الأمر، دلالة على أنه لا استقلال لهم في الطاعة، وأن طاعتهم إنما تكون في حدود طاعة الله ورسوله، وتبعاً لها لا تجاوزها ولا تخرج عنها.

- **ث. وتمضي الآية فتقرر احتمال وجود خلاف بين الراعي والرعية؛** فيقول تعالى في بقية الآية ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، والردّ إلى الله: الاحتكام إلى كتابه، والرد إلى الرسول: الاحتكام إلى سُنته. وقد نزلت هذه الآية ترشدنا إلى ما نفعله عند التنازع، وهو الرد إلى الله وإلى الرسول ﷺ، أي إذا تنازعتم في جواز الشيء وعدم جوازه فارجعوا إلى الكتاب والسُّنة، ثم يعلق ذلك كله على الإيمان بالله واليوم الآخر، فيقول تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾. فدل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله واليوم الآخر.

- **ج. قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾** «شيء»: نكرة، والنكرة في سياق الشرط للعموم، بمعنى أن أي شيء من أمور العقائد والعبادات والأموال والدماء والحدود، وسواء كانت من أمور

الدين أم من أمور الدنيا، وما إلى ذلك مما يحصل فيه النزاع، فعلى المسلمين أن يرجعوا حكاماً ومحكومين إلى الكتاب والسنة، ظاهراً وباطناً، وأن يحكّموا شريعة الله فيما بينهم عند التنازع، وإلا فلا يكونون مسلمين وإن ادّعوا الإسلام، فالأمور بحقائقها لا بمجرد الدعاوى الكاذبة والأماني الفارغة.



ح. وفيم تكون الطاعة؟ طاعة أولي الأمر لاتكون إلا في معروف وفيما أمرونا به من طاعة الله، لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والآية نزلتْ في عبد الله بن حذيفة إذ بعثه النبي ﷺ في سرية فأمرهم أن يوقدوا ناراً وأن يلقوا بأنفسهم فيها، فتنازعوا في امتثال ما أمرهم به، فلما بلغ رسول الله ﷺ قال: «لو دخلتموها ما خرجتم منها، إنما الطاعة في المعروف»[1].

والأحاديث التي تقيّد طاعة أولي الأمر وتحدد من إطلاقها كثيرة؛ ففي البخاري: «إنما الطاعة في المعروف». وفيه: «لا طاعة في معصية». وفيه: «مَن أمركم منهم بمعصية فلا تطيعوه». ولمسلم في حديث أم الحصين أنها سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع يقول: «ولو استُعمل عليكم عبدٌ يقودكم بكتاب الله». وعنه ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمَر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع وطاعة».

---

١ رواه أحمد والشيخان.

وهذا يقيّد ما أطلق من الأمر بالسمع والطاعة ولو لحبشي، ومن الصبر على ما يقع من الأمر مما يكره والوعيد على مفارقة الجماعة.

وفي الحديث عند أحمد: «لا طاعة لمن لم يُطع الله». وعنده: «لا طاعة في معصية الله». وفي رواية: «لا طاعة لمن عصى الله تعالى». أي: لا يجب ذلك بل يحرم على من كان قادراً على الامتناع. وعند أبي شيبة: «سيكون عليكم أمراء يأمرونكم، فليس لأولئك عليكم طاعة». وفي رواية: «فلا طاعة لمن عصى الله». وسأل رجل عبد الله بن عمر عن أمير يأمرنا بالمعصية؟ فقال: «أطِعه في طاعة الله، واعصِه في معصية الله».



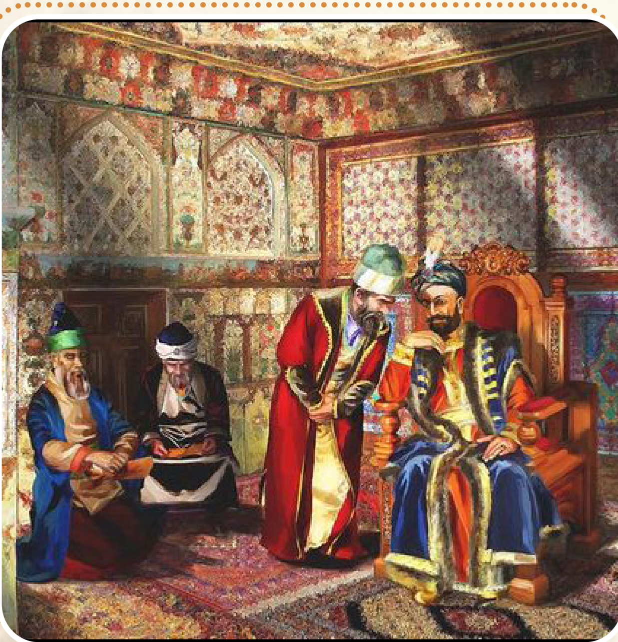
وفي حديث لمسلم: «سيكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع». قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما أقاموا الصلاة». وإقامة الصلاة كناية عن إقامة دين الله، واتباع منهج رسوله، والحكم بما أنزل الله والتحاكم إلى شريعة الله، مع مراعاة حقيقة الإقامة، وهي الإتيان بالصلاة كاملة الشروط والأركان والآداب، مستوفية الفرائض والسنن والواجبات والمندوبات، ومن ذلك: أداؤها في المسجد في جماعة، عند كل صلاة، وأن يعرف ذلك عنه بين رعيته.

فإن لم يفعل ذلك فلا طاعة له، بل أذن الشرع في قتاله حيث إنه لم يقِم الصلاة، وواجبنا أن نقف عند الحديث وأن نفهم معنى إقامة الصلاة: إن الحاكم الذي يقيم الصلاة يسجد لربه إذعاناً له وخضوعاً لجلاله

وخشوعاً لعظمته، والمفروض أن يستصحب روح السجود حتى تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر، فالعبرة من الصلاة إنما تكون إذا نهت صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وأي منكر أعظم من إهدار الحدود والتعامل بالربا وما شملته القوانين الوضعية من ذلك وغيره، وابن عباس وابن مسعود والحسن يقولون: «ومن لم تَنهَه صلاته عن الفحشاء والمنكر.. لم يَزدَد من الله إلا بُعداً».

- خ. ولقد أجمع المفسرون والمحدّثون على عدم طاعة أولي الأمر في المعصية، كما أجمعوا على وجوب الخروج عليهم بكفرهم وبفسقهم، وسأذكر بعض أقوالهم ولا أستقصي لضيق المقام:

قال القرطبي: «قال ابن خويز منداد: وأما طاعة السلطان فتجب فيما كان لله فيه طاعة ولا تجب فيما كان لله فيه معصية، ولذلك قلنا إن ولاة زماننا لا تجوز طاعتهم ولا معاونتهم، ولا تعظيمهم وإن صلوا بنا وكانوا فسقة من جهة المعاصي جازت الصلاة معهم، وإن كانوا مبتدعة لم تجز الصلاة معهم، إلا أن يُخافوا فيصلى معهم تقية وتعاد الصلاة».



وقال الألوسي: «ثم إن وجوب الطاعة لهم ما داموا على الحق، فلا يجب طاعتهم فيما خالف الشرع، لحديث: لا طاعة لبشر في معصية الله»[٢].

قال بعض محققي الشافعية: تجب طاعة الإمام ما لم يأمر بمحرم، وقال بعضهم: إن ما أمر به مما ليس فيه مصلحة عامة لا يجب امتثاله.

---

٢ أخرجه ابن أبي شيبة.

ومن بديع الجواب قول بعض التابعين لبعض الأمراء من بني أمية لما قال له: أليس الله أمركم أن تطيعونا في قوله ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾؟ فقال له: «أليس قد نُزعت عنكم الطاعة إن خالفتم الحق بقوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾؟» كأنه قيل: فإن لم يعملوا بالحق فلا تطيعوهم وردّوا ما تخالفتم فيه إلى حكم الله ورسوله.



قال ابن حجر في الفتح: «وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها؛ لحديث رواه البخاري عن جنادة قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، قلنا: أصلحك الله حدّث بحديث ينفعك الله به سمعتَه من النبي ﷺ. قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: «أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثَرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان». وفي رواية: «وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن نقوم بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم». وقوله: «كفراً بواحاً» أي: ظاهراً بادياً، من: باح بالشيء إذا أذاعه وأظهره، وفي بعض نسخ مسلم: «براحاً» وهو البيان والظهور، وفي رواية: «كفراً صُواحاً».

- **قال النووي:** «المراد بالكفر هنا: المعصية، ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإن رأيتم ذلك فأنكِروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم».

- **ونقل ابن التين عن الداودي قال:** «الذي عليه العلماء في أمراء الجور، أنه إن قُدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم.. وَجَبَ، وإلا فالواجب الصبر».

وعن بعضهم: «لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداءً، فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً، فاختلفوا في جواز الخروج عليه، والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه».

- **وفي (الفتح) أيضاً:** «وينعزل الأمير بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك، فمَن قوِيَ على ذلك فله الثواب، ومَن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض».

- **قال القرطبي:** «وقال أبو حنيفة: إن ارتشى الحاكم انعزل في الوقت وإن لم يعزل، وبطل كل حكم حكم به بعد ذلك. قلت: وهذا لا يجوز أن يُختلف فيه إن شاء الله، لأن أخذ الرشوة منه فسق والفاسق لا يجوز حكمه». اهـ. وكذا قال ابن قدامة في تحريم الرشوة».

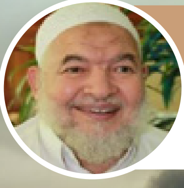
قلت: إذا كان الحاكم بسبب الرشوة يفسق ويُعزل ويبطل كل حكم حكم به؛ فما بالك بحاكم ارتكب عشرات الموبقات وعطّل كل شرع الله؟!

- **قال ابن عابدين:** «ينحل عقد الإمامة بما يزول به مقصود الإمامة، كالردة.. وكذا بانعزاله للفسق، والأكثرون على أنه ينعزل، وهو المختار من مذهب الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله، وعن محمد يستحق العزل بالاتفاق».

● وذكر في (المواقف) وشرحه: أن للأمة خلع الإمام وعزله بسبب يوجبه، مثل أن يؤخذ منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين وانتكاس أمور الدين، كما كان لها نصبه وإقامته لانتظامها وإعلائها، وإن أدى خلعه إلى فتنة اْحتُمِل أخف الضررين».



● قال ابن حزم: «ما تقولون في سلطان جعل اليهود أصحاب أمره، والنصارى جنده، وحمل السيف على كل مَن وجد من المسلمين وأعلن العبث به وأباح المسلمات للزنا، وهو في كل ذلك مقر بالإسلام معلن به لا يدع الصلاة؟ فإن أجازوا الصبر على هذا خالفوا الإسلام جملةً وانسلخوا منه، وإن قالوا: بل يُقام عليه ويُقاتل، فقد رجعوا إلى الحق، ولو على قتل مسلم واحد أو على امرأة واحدة أو على أخذ مال أو على انتهاك بشرة بظلم، إن أوجبوا إنكار كل ذلك رجعوا إلى الحق، والواجب إن وقع شيء من الجور وإن قل أن يكلّم الإمام في ذلك ويمنع منه، فإن امتنع ورجع إلى الحق وأذعن فلا سبيل إلى خلعه، وإن امتنع من إنفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ولم يرجع وجب خلعه وإقامة غيره ممن يقوم بالحق، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ولا يجوز تضييع شيء من واجبات الشرائع، وبالله التوفيق».



الشيخ سعيد عبد العظيم

رحمه الله*

الهجوم على غزة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد سمعنا من ساعات بهجوم يهودي جبان على المسلمين في غزة راح ضحيته ٢٨٠ قتيلاً وسِتمائة جريح، مما استدعى فتحَ المعابر لنقل الجرحى إلى المستشفيات، وقد استخدم اليهود الطائرات والصواريخ في هذه الإبادة الجماعية توطئة للاجتياح الشامل لقطاع غزة، وهذا كعادتهم: ﴿لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

* سعيد عبد العظيم، مقال: الهجوم على غزة، ٢٠٠٨م، موقع إلكتروني: طريق الإسلام.

وقد تم هذا الهجوم في يوم السبت، وهو اليوم الذي يمتنع يهود عن العمل فيه، ولكن يبدو أن شهوة اليهود لدماء المسلمين يُستباح لها كل اعتبار، وتتقدم في تحليل الحرام، وهم الذين قالوا: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾ [آل عمران: ٧٥]، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة: ٨٢].



لقد توالت انتهاكات الكفار لحرمات المسلمين ودمائهم في فلسطين، والعراق، وأفغانستان، وفي كل مرة نسمع عن تبرير جديد، فتارة يتكلمون عن ديكتاتورية (صدّام) وامتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، وأخرى يحدثوننا عن (طالبان) الإسلامية وفرضها للحجاب ومنعها للاختلاط، وثالثة عن إمارة غزة الإسلامية، وفي كل مرة يقتلون الشيوخ الركّع، والبهائم الرُّتع، والأطفال الرُّضع، ولربما انتهكوا الأعراض كما صنعوا في العراق وغيرها.

وهؤلاء الأعداء كما وصفهم ربنا جل وعلا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ﴿يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٦]، ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر: ١٤].

ولا يتعاون مع الكفرة الفجرة على إبادة المسلمين وحصارهم وإضعافهم إلا من كان على شاكلتهم ممن أسلس قياده لشياطين الإنس والجن، وباع دينه بدنيا غيره، وصار أداة طيّعة لأعداء الإسلام والمسلمين، أو إنسان جهول ضعفت بصيرته عن إدراك مخططات الأعداء.

وعلى المرجفين والمخذلين والمثبطين أن يتذكروا رهبة الوقوف بين يدي الله غداً، وأن الأيام دول، والجزاء من جنس العمل، فالخذلان نصيبهم في مواطن يشتهون نصرة الله لهم فيها. وكأني بهم وقد فعل اليهود بهم مثل ما فعلوه بالمسلمين في غزة، وكما فعل الأمريكان بالمسلمين في العراق.

ماذا أنت فاعل إذا اسْتَصْرَخْتَ وقُتِلَ الأبُ والأمُ، وانتُهك عرضُ زوجة أو ابنة، ولم يلتفت لصراخك أحد من المسلمين في سوريا والعراق والمغرب، وبماذا تحكم على من يتهمك أنت بالإرهابية لصراخك، وماذا تقول فيمن يمنع الخَلْق من نصرتك، ويساعد عدوك؟

ستعرف الإجابة حينئذ، وتصير فقيهاً وتحسس معنى: «المؤمن مرآة أخيه»[1]. و«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2]. و«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[3]، و«الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ»[4].

أبي الإسلام لا أبَ لي سواه •• إذا افتخروا بقيس أو تميم

لقد أعملت حيلُ الأعداء والوطنياتُ والقومياتُ وسياساتُ «فَرِّقْ تَسُدْ» فينا عملها، حتى بتْنا لا نشعر بشعور الجسد الواحد، والبعض لا يفرّق بين الجاني والضحية: فالصاروخ الذي يطلقه المسلم على عدوّه هو الذي استفز يهود، وأقلق راحة الاغتصاب، وبالتالي فاليهودي معذور إذا اجتاح غزة! وكأن صراخ وأنين الضحية صار جريمة يستحق عليها العقاب! وهكذا انتكست المفاهيم وضاعت البديهيات، والبعض بلغ في بلادة شعوره أن يكيل بمكيالين، ولا ينتبه إلا إذا اقتربت القضية منه، كهذا الذي قيل له: بال الكلب على الجدار، فقال: يهدم ويُعاد بناؤه، قيل: فالذي بيني وبينك، قال: شيء من الماء يطهره!

---

[1] رواه البخاري في (الأدب المفرد). [2] متفق عليه. [3] رواه مسلم. [4] رواه أبو داود، وصححه الألباني.

لا يجوز أن نستنجد بالتي هي الداء، أو أن نعلِق قلوبنا بأعداء الإسلام والمسلمين، فلا الأمم المتحدة، ولا الاتحاد الأوربي، ولا أمريكا، ولا من دار في فلكهم سيقدّم للمسلمين في غزة أو العراق أو أفغانستان شيئاً إلا الخذلان. لقد بعثت أمريكا بقطع من الأسطول السادس لنجدة كلب في عرض المحيط! وتقام جمعيات الرفق بالحيوان هنا وهناك! وقد تبرع أحد الحكام بمليون دولار لحديقة الحيوان بلندن! كما تقام المحميات الطبيعية وتخوف على انقراض فصائل من الحيوانات!

أما بالنسبة للمسلمين فدماؤهم تهدر هنا وهناك، وتُستباحُ أعراضهم، وتُسلبُ حقوقهم تحت سمع وبصر هذه الهيئات والمؤسسات المشبوهة والشرعية الدولية المزعومة.

ونحن نبشرهم بنصر قريب بإذن الله، فالإسلام قادم، وها هم المسلمون يعاودون الالتزام بدين الله ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، سيفتح بيت المقدس بإذن الله تعالى، ويصلي المسلمون فيه، وستكون القدس مقبرة يهود ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ [الإسراء: ١٠٤].



ستنتصر الأمة على الغرب -وهم الروم- بإذن الله، وستفتح قسطنطينية ورومية -وهي روما عاصمة إيطاليا- اليوم، كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾. وهذا يستلزم أن تعود الأمة قوية في معنوياتها ومادياتها وسلاحها وعقيدتها.

وإذا كان اليهود وحلفاؤهم في الغرب وأمريكا قد تمادوا في غيهم وعدوانهم فهذا نذير هلاكهم ودمارهم، فللظالم قاتل لا يموت ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

فلقيام الأمم وهلاكها أسباب ومقدمات، للتعرف عليها لابد من مطالعة صفحات الكتاب المسطور والكون المنظور، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وهو -سبحانه- يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وقال أبو بكر رضي الله عنه: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه كُنَّ عليه، المكر: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، والبغي: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، والنكث: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾».

إن الحقوق المهدرة لا تسقط بالتقادم، ودماء المسلمين لا تضيع هدراً، ومن سَلَّ سيفَ البغيِ قُتِلَ به. وعلى كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن يبذل وسعه ويخلِّص رقبته ويبرئ ساحته في نصرة المسلمين المستضعفين في غزة وفلسطين والعراق.. إن لم يكن بنفسه فبماله ودعائه ودعوته: ﴿جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ﴾[٥].



لابد من توضيح المفاهيم لعموم الخلق وإزالة شبهاتهم، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

٥ رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني.

والدعاء هو سلاح المؤمن، وقد قنت النبي ﷺ شهراً يدعو على رِعْلٍ وذَكْوَان وعُصَيةَ، يقول: «وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»[٦]، كما قنت شهراً يدعو للمستضعفين بمكة: سلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة. والقنوت بحسب النازلة، وفي الصلوات الخمس إما قبل الركوع أو بعده.



لابد من نصرة إخواننا بكل سبيل نستطيعه ونقدر عليه، وليس المقدور عليه كالمعجوز عنه، والواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة و﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

اللهم انصر عبادك المجاهدين في كل مكان، اللهم اربط على قلوبهم، وثبت أقدامهم، وسدد رميهم، اللهم دمر اليهود ومن شايعهم، اللهم فأحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً!

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

---

٦ متفق عليه.



أ. د. عبد الحي الفرماوي

رحمه الله*



الهجرة النبوية

والحدث الفريد

لم تكن الهجرة النبوية الشريفة حدثاً عابراً في تاريخ الدعوة نحتفل به كل عام، ولم يكن كذلك حادثاً شخصياً يرتبط ذكره فقط بدراسة حياة صاحبه! بل كانت هذه الهجرة معلماً بارزاً في تاريخ هذه الدعوة وصاحبها ﷺ، وتحولاً جوهرياً في مسارها، وبعثاً جديداً في حياتها، وتغييراً كلياً في أسلوبها؛ ولهذا وغيره: كانت دراسة الهجرة النبوية دراسة للدعوة، وتكرار الدراسة كل عام أو كل حين تذكير بخط سيرها، وعرض لواقعنا على أهدافها وغاياتها.

---

* أ. د. عبد الحي الفرماوي، دروس حركية من الهجرة النبوية، ط١، دار البشير/طنطا-مصر،٢٠٠٧م، ص ٩-١٩.

 وبهذه الدراسة وتكرارها: نصحح مسارنا، ونتذكر أهدافنا، ونشحذ هممنا، ونفهم ديننا، ونحسّن -بل نصوب- على أساسها واقعنا، لنؤدي رسالتنا، ونرضي ربنا، وسنتناول بعون الله تعالى في هذه العجالة الهجرة النبوية فقط من هذه الجوانب: **الدوافع والحدث والنتائج و الدروس المستفادة.**

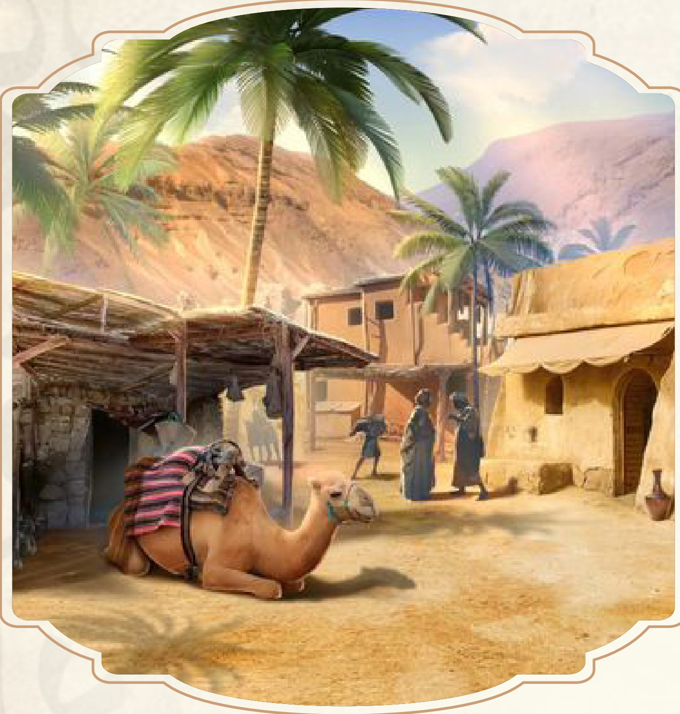
أولاً: الدوافع



ونؤكد مرة أخرى على أن الدوافع لهجرة النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة: لم تكن شخصية أبداً، فلم يهاجر ﷺ رغباً ولا رهباً؛ إذ أنه ما كان يرغب ﷺ عن بلد الله الحرام أبداً وهو الذي قال: «والله إنك لأحب أرض الله إليّ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجتُ»[١].

كما أنه ما هاجر منها رهباً وخوفاً، وهو الذي ما خاف قط، حيث إنه في معية الله دائماً، وهو الذي يؤمن جيداً بقول الله تعالى له: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] وتاريخ حياته يشهد بكل وضوح أنه كان أشجع الشجعان. كما نؤكد على أن هذه الهجرة لم تكن حدثاً عابراً مثل كثير

١ رواه أحمد، والترمذي وصححه.



من الأحداث التي يحفل بها تاريخ هذه الدعوة الكبيرة العالمية، بدليل ما حدث بعدها، من تحول في خط سير الدعوة، وفي تشريعاتها، وفي حياة أصحابها، بل في أسلوب هذه الدعوة ووسائلها.

إذن.. فما الدوافع لهذه الهجرة النبوية؟

الدوافع كثيرة.. ولكننا نخص بحديثنا هنا أمرين فقط، وهما:

١- **البحث عن أرض جديدة،** تمارَس فيها هذه الدعوة علناً، بكل حرية، دونما خوف أو اضطهاد، وتنتشر منها مبادئ هذا الدين العالمي في كل بلاد الله شرقاً وغرباً. وذلك بعد هذا التكميم والتكتيم والتعتيم، والاضطهاد والإيذاء، الذي استمر ثلاثة عشر عاماً بمكة دونما ازدياد في العدد، أو في مساحة من الحرية لممارسة هذا الدين، مع التضييق عليه وأهله، والتنفير منه، والإبعاد عنه، والنيل من أصحابه.

٢- **إقامة هذا النظام الجديد،** في الواقع العملي، والحياة اليومية للناس، يرونه رأي العين، ويعيشونه، ويتفيؤون ظلاله، وينعمون بعدله، ويتعبدون لله من خلال تشريعاته في دولة إسلامية، تنشر مبادئه، وتحمي أتباعه. حتى لا يكون هذا الدين نظريات كلامية، دون مثال واقعي، وتطبيق عملي يشهد بصحة هذا الدين وصلاحيته لقيادة الدنيا وأهلها. وذلك بعد فقدان الأمل في إقامة هذا النظام وتأسيس الدولة الإسلامية في مكة.

كما أنه قد استوى هؤلاء الرجال الذين يقيمون هذا النظام ويؤسسون هذه الدولة من جهة: سلامة عقيدتهم، ومتانة أخلاقهم، وصحة عبادتهم، وحسن معاملاتهم، وشمول فهمهم لهذا الدين. وبقاؤهم في مكة على هذا الحال دون إقامتهم للدولة الإسلامية، أو إقامة الدولة الإسلامية بهم: تضييع لهذه الكفاءات، وإهدار لهذه الطاقات.

ثانياً: الحدث



وحدث الهجرة، أو حادث الهجرة، أو حديث الهجرة: جد معروف؛ فقد حفلت به كتب السُّنة، وكُتب السيرة، وكتب التاريخ كذلك، ولا نحب أن نطيل بإعادته، ولكن: ننبه فقط إلى أنه لا يوجد في كتب التاريخ وكتب السير على الإطلاق -بشهادة المنصفين من الأعداء قبل الأصدقاء- أصدق، ولا أدق، ولا أثبت، من سيرة محمد، ولذلك: فاستشهادنا فيما يلي بأية فقرة، أو أية معلومة مما يخص موضوعنا هو استشهاد بمعلومات صحيحة موثقة، لا يشوبها غبار من شك، أو ذرات من تزييف. وبالتالي: فما يُبنى عليه أساسه سليم، وجذوره متينة، والعمل به واجب، والإفادة منه بإذن الله تعالى محققه.

ثالثاً: النتائج

لم تحقق هجرة في التاريخ على كثرة الهجرات أهدافها، التي كانت الدافع إليها، كما حققتها هجرة النبي ﷺ؛ بل لم تحقق هجرة في التاريخ أهدافاً مثل تلك الأهداف والنتائج كماً وكيفاً مثل التي حققتها هجرة النبي ﷺ، وسنتناول فقط هذين الهدفين أو الدافعين، الذين ذكرناهما آنفا، وهما: **نشر الدعوة وإقامة الدولة الإسلامية.**

أما بالنسبة للأول منهما: فقد بدأت الدعوة الإسلامية تنتشر في هذه الأرض الجديدة، وبين هؤلاء القوم الجدد الذين شرح الله صدورهم، وفتح قلوبهم، وأزكى عقولهم لتعاليم هذا الدين ومبادئه فهماً وتطبيقاً بسرعة الريح، منذ أن هاجر إليهم، وأقام بينهم رسول رسول الله ﷺ، مصعب بن عمير.

بل وصل الأمر قبل وصول النبي ﷺ إليها أن فشا الإسلام فيهم، يقول ابن هشام: «لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ»[٢].

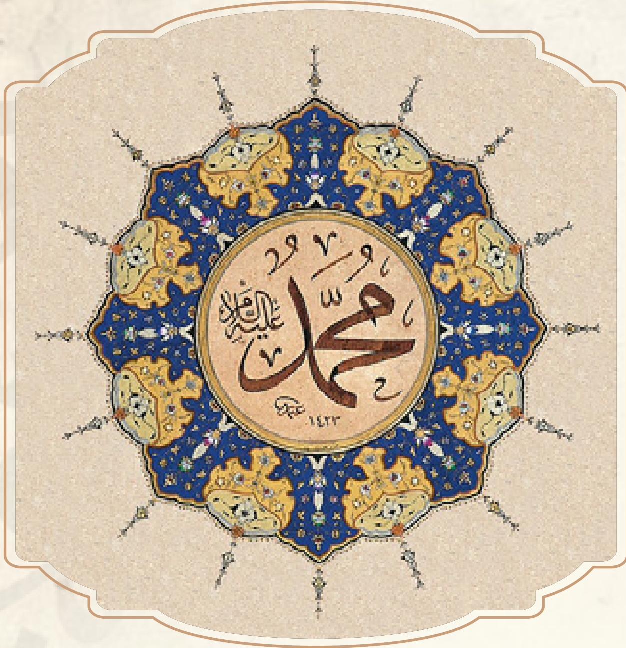
أما بعد هجرة النبي ﷺ إليها فقد تغير الحال، وطارت نسائم هذا الدين، وانتشر أريجه في كل الأنحاء، وطوفت في البلاد بعوث النبي ﷺ، وسافر القرّاء والمعلمون لهذا الدين في أرجاء شبه الجزيرة العربية، وعلِم القاصي والداني بأمر هذا الدين الجديد، بل علم العدو والصديق مبادئ وتعاليم هذا الدين الجديد. ولم تمضِ عدة سنوات في هذا البلد الجديد والوطن الوليد، حتى صار نور الدين فيه يجذب الناس إليه، ويشدهم لعدله وهدايته وخيره، حتى إنه من كثرة هؤلاء القادمين إليه والداخلين فيه، سُمي العام التاسع من هجرة النبي ﷺ بعام الوفود، الذين جاؤا بأنفسهم وباختيارهم إلى المدينة، لاعتناقهم الإسلام، وإعلانهم الانضواء تحت لوائه، وحملهم مبادئه وتعاليمه لأقوامهم وبلادهم.

وصدق الله إذ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]. وتحقق قول الرسول ﷺ: «ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»[٣].

---

٢ السيرة النبوية (القسم الأول)، ص٤٣٠.

٣ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١/٧، وقال: رواه ابن حبان وصححه.



بل دخل بلاد كسرى وقيصر، وأنار جنباتها، وأنقذ شعوبها من ذل الاستعباد إلى عز الخضوع لرب العباد، تحقيقاً لما أخبر به النبي ﷺ، وهو يحفر الخندق مع أصحابه لحماية المدينة من الأعداء، إذ يقول البراء: «لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكينا ذلك لرسول ﷺ، فجاء وأخذ المعول، فقال: «باسم الله»، ثم ضرب ضربة، وقال: «الله أكبر! أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة». ثم ضرب الثانية فقطع آخر، فقال: «الله أكبر! أعطيت فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن». ثم ضرب الثالثة: فقال: «باسم الله». فقطع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر! أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني»[٤].

كما بشر النبي ﷺ أن نور هذا الدين سينتشر ويعم أكثر وأكثر، حتى يبلغ مشارق الأرض ومغاربها، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه قوله: «إن الله قد زوى لي الأرض [أي جمع وضم] فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها»[٥].

وقد تحقق بعض ذلك! وقريباً يتحقق بإذن الله تعالى كل ذلك! وبذلك: تحقق الهدف الأول، وظهرت جلية بفضل الله تعالى واحدة من أبرز نتائج الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

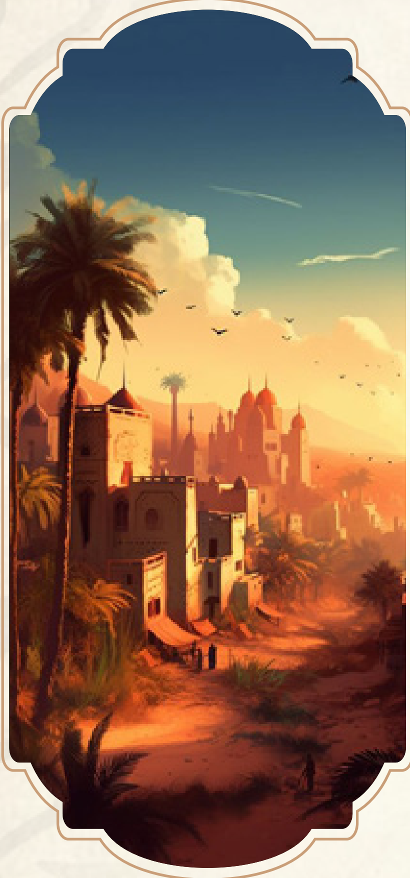
---

٤ رواه أحمد في مسنده، والنسائي ٥٦/٢، نقلاً عن (المنهج الحركي للسيرة)، (ص٣٤٤).

٥ رواه: مسلم ١٧١/٨، أبو داود ٩٧/٤، الترمذي ٢٧/٢ وقال صحيح، الإمام أحمد ٥/ ٢٧٨.

أما بالنسبة للثاني منهما: فقد بدأ يتحقق بالمدينة ما لم يتحقق لهذه الدعوة بمكة المكرمة، بل ما كان يمكن أن يتحقق فيها، من إقامة الدولة الإسلامية، وترسيخ دعائمها، ووضوح معالمها، وتأسيس أركانها.

وأركان الدولة كما يقولون أربعة: الأرض والشعب والقانون والحاكم. وفي المدينة بدأت هذه الأركان تتضح لدولة الإسلام الجديدة:



- **فالأرض..** أصبحت ملكاً للمسلمين، لهم الغلبة والأغلبية مهاجرين وأنصاراً فيها، ولهم كذلك السيادة عليها، وقد تم الاعتراف بها وطناً إسلامياً وعاصمة الدولة الإسلام الجديدة من الجميع، وحتى الأعداء بعد غزوة الخندق، حينما أخبر عنهم المولى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وكشف ما في نفوسهم بقوله ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم»[٦].

- **وتحقق بذلك: ركن الشعب..** فصار المسلمون أكثرية في المدينة وغيرهم الأقلية، بعد أن كانوا في مكة هم الأقلية وغيرهم الأكثرية، بل صارت هذه الأكثرية عدداً يفوق الحصر، وكيفاً يفوق الوصف، من حب هذا الدين، والالتزام بتعاليمه، والعمل بأحكامه، والالتفاف حول نبيه ﷺ، وأحسوا بطعم الاستقلالية في وطنهم، ونشروا منه دينهم، وافتدوه ودافعوا عنه وعن حرماتهم فيه بأرواحهم. وتحقق بذلك: ركن الشعب.

---

٦ صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق.

● **أما القانون..** فلا قانون يدانيه ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ولئن كان هذا القرآن هو الذي كان ينزل بمكة قبل الهجرة: فقد تغير خطه ومنهجه وأسلوبه بعد الهجرة عنه قبل الهجرة. إذ صارت سوره وآياته تتجه لبناء الدولة، وتوضيح معالم النظام في جميع جوانب الحياة، وما تحتاجه من تشريعات، سواء أكان ذلك في المعاملات المالية، أم في الشئون الاجتماعية، أو الأسرية، أو العسكرية، أو التربوية... إلخ. بجانب ما يتصل بالعقيدة، والأخلاق، والعبادات كذلك. وقد هيمن هذا القانون على القلوب قبل الأجساد والعقول، وهرع الناس إليه لا هرباً منه، والتزم الجميع به بدل الإهمال له، حتى صار هذا القانون: ربيع قلوبهم، وجلاء أبصارهم، وبه ومنه وفيه ذهاب همومهم وغمومهم ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

● **وأما الركن الرابع من أركان إقامة الدولة،** فقد كان هو الذي تحيط به القلوب، وتفتديه الأرواح، ويسعد باتّباعه الجميع.. وهو محمد ﷺ، خير الأئمة، وإمام حكام العدل، وسيد المرسلين ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

وبذلك: تحقق الهدف الثاني، وظهرت جلية بفضل الله تعالى، واحدة أخرى من أبرز نتائج الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة، أزكى السلام.

وعلى هذا: حققت أهداف الهجرة النبوية، وظهرت بفضل الله تعالى للدنيا وعلى الدنيا كلها نتائجها الباهرة وآثارها العظيمة بقيت، وستبقى قضية الإفادة منها لنواجه ما يعيق الحركة الإسلامية ويبعد الأمة عن اليقظة، والحركة، والقيام بالدور، وأداء الرسالة، وامتلاك الزمام.



أ. د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

رحمه الله*

مكائد اليهود بحق المسلمين الأوائل

أمام اليقظة والحذر الشديدَين عند الرسول ﷺ وأصحابه الصادقين، باءت بالفشل جميع مكايد اليهود التي اتخذوها لإيقاف حركة الإسلام وانتشاره، أو تجميد قوة المسلمين، وزادهم هذا حنقاً وغيظاً وألماً وشدة عداء، وولّد كل ذلك لديهم حركات انفجارية نقضوا بها عهدهم مع الرسول ﷺ، ومارسوا فيها ألواناً من الحرب المباشرة السافرة، ذات الطابع الفردي مرة والجماعي مرة أخرى، ولم يخشوا في ذلك مغبة خياناتهم وغدرهم ونقضهم للعهد.

وكان لهذه المرحلة من مراحلهم مع الرسول ﷺ وأصحابه مظاهر، سجّل التاريخ عليهم منها طائفة من الوقائع، فمنها الوقائع التالية:

---

* عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، مكايد يهودية عبر التاريخ، ط٢، ١٩٧٨، دار القلم/دمشق، ص١٠٩-١١٧.

الحرب الإعلامية على ألسنة شعرائهم



استغل اليهود وجودهم في عاصمة الدعوة الإسلامية الناشئة، فسلّطوا شاعرَين من شعرائهم لبدء معركة التحدي الظاهرة، وهما: أبو عفك، وكعب بن الأشرف. أما أبو عفك فقد كان شيخاً كبيراً يقول الشعر، فأخذ يسلط لسانه بهجو النبي ﷺ والتحريض على قتاله، وقد كان الشعر في العرب أهم وسيلة إعلامية تحّرض على الحرب، وتوجه للإعداد لها وتنذّر بها، فثارت ثائرة أحد المؤمنين واسمه سالم بن عمير، وأراد أن يأخذ الأمر بقوابله ويُطفئ أوائل نار الفتنة، فنذر أن يقتله أو يموت دونه، ثم ما زال يتربص به حتى قتله، وكانت بنود كتاب عهد الرسول ﷺ لهم تسمح بمعاقبة الجاني الذي يمد يداً بأذى للمسلمين.

وأما كعب بن الأشرف فقد كان أمره أخطر من أمر أبي عفك، وذلك أنه لما جاءت بشائر انتصار المسلمين في غزوة بدر، ومقتل صناديد المشركين فيها، وبلغه الخبر قال: «أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء -يعني مَن قُتل في بدر من المشركين- فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لَبطن الأرض خير من ظهرها».

ولما تيقن كعب بن الأشرف صحة الأنباء أخذ يسلط لسانه على الرسول ﷺ والمؤمنين، وأعلن نقض العهد وخرج حتى قدم مكة، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ويبكي فيها مَن قُتل في غزوة بدر من المشركين، ثم رجع إلى المدينة مجاهراً بعداوته، وجعل يفحش في قوله، فيمس نساء المسلمين بأشعار التشبب والتغزل بهن، حتى كان منه أذى بالغ، فأحل بما فعل دمه.

وتغاضى الرسول ﷺ عن جماعة اليهود، وأراد أن يضيّق نطاق ما نقضوه من عهد، ويعتبر الأمر من قبيل الحوادث الفردية، فيعاقب الجاني فقط، ويتجاهل أمر القيادة اليهودية المحرضة المدبرة للأمر، التي تريد أن تحول ما بينها وبين الرسول ﷺ من عداء مستور بأغشية الرياء ومحجوز بصك العهد إلى عداء سافر يحاول تمزيق الأغشية وكسر الحواجز؛ فقال رسول الله صلوات الله عليه: «من لي بابن الأشرف؟» فانتدب لقتله محمد بن مسلمة ونفر من الأوس، فذهبوا اليه واحتالوا عليه واستنزلوه من حصنه بليل وقتلوه وكان كعب بن الأشرف من يهود بني النضير.



و بمقتل هذين الشاعرين اللذين تصديا للتحريض على رسول الله ﷺ وهجوه وإعلان عدائهم له قُطعت ألسنة التحدي، وانطفأت جذوة الشر التي أوقدا نارها ليثيرا حرباً علنية بين المسلمين و بين اليهود، تبدأ بالكلام ثم تتحول إلى صدام مسلح، وغاية اليهود من هذه الحرب الكلامية أن يؤلبوا القبائل العربية الوثنية على المسلمين في المدينة، ويقفوا من المسلمين موقف الخيانة، حتى إذا وجدوا رياح النصر مالت إلى جهة المشركين انقضوا على المسلمين وأجهزوا عليهم اجهازاً تاماً من وراء ظهورهم بالغدر والخيانة، وإن وجدوا غير ذلك استمسكوا بما بينهم وبين الرسول ﷺ من عهد، وتظاهروا بالحياد خديعةً ومكراً.

ولكن الرسول ﷺ، قد كان على يقظة تامة لما يبيتون، وعلى علم بما يمكرون ويكيدون، فكان حذراً من كل أمر يأتي من قِبلهم، مجهزاً على كل بادرة تبدر منهم، حتى لا يدع لهم مطمعاً باستغفاله وتصيُّد غِرّاته. كما أن الله من ورائهم محيط، ينصر دينه، ويؤيد رسوله ﷺ والمؤمنين، ويردّ كيد اليهود في نحورهم، ولولا أن الإسلام دين الله، ومحمداً ﷺ رسوله ومؤيد بتأييد الله، لكانت مكايد اليهود ودسائسهم كافية لإحرازهم النصر على التجمع العربي الذي بدأ بقيادة محمد بن عبد الله ﷺ. والتاريخ يتكرر كلما تكررت الوسائل والأسباب وتشابهت الأحداث، فكل تجمع عربي لا يكون الإسلام جوهره، ومرضاة الله غايته، سيكون نصيبه الفشل، لأن مكايد الأعداء وقواهم المادية ستظل في حالة سبق مستمر.

تحديات بني قينقاع



وأمعن يهود بني قينقاع في إعلانهم العداوة لرسول الله ﷺ وللمسلمين، وفي وقوفهم موقف التحدي والتصدي لرسالة الإسلام وتبييت المكايد للمسلمين، وأمسى الرسول ﷺ منهم على حذر شديد، وبات يتخوف خيانتهم، وقد روي أنه قال: «إني أخاف خيانة بني قينقاع»، وذلك حينما أنزل الله عليه قوله في سورة الأنفال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]. أي: انبذ إليهم عهدهم ولا تغدر بهم، وأشعرهم أنهم قد أصبحوا محاربين، حتى يكون أمركم وأمرهم على سواء لا غدر فيه ولا خيانة.

 ومع ذلك فقد حافظ رسول الله ﷺ على عهده معهم لم ينكث به، وظل حريصاً على دعوتهم إلى الإسلام وترغيبهم به، حتى كانوا هم البادئين بالشر ونقض العهد، فقابلوا دعوته بالاستهانة والتحدي، وإعلان الاستعداد لمحاربته، ثم بدأوا بإثارة الفتن والقيام بأعمال عدائية ضد المسلمين. ذكر مؤرخو السيرة النبوية أن الرسول صلوات الله عليه جمعهم في سوقهم -سوق بني قينقاع- بعد غزوة بدر، ثم قال لهم: «يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم».

قالوا: «يا محمد، إنك ترى أنا قومك، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس». فأنزل الله تعالى فيهم قوله في سورة آل عمران: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ * قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣-١٤]. وكان هذا من يهود بني قينقاع بمثابة الإنذار العلني، المتضمن استعدادهم لمحاربة الرسول، والمشعر بأنهم مزمعون على نقض العهد الذي بينهم وبينه.

ولم يقتصروا على هذا التهديد، ولكنهم بدأوا يتحرشون بنساء المسلمين، ويباشرون أعمالاً عدائية مادية، من شأنها أن تكون مقدمات للحرب. فكان من مظاهر أعمالهم المنذرة بأنهم يستعدون لحرب المسلمين ويترقبون الفرصة المواتية، أن امرأة من مسلمات العرب قدمت بجَلَب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، ثم جلست إلى صائغ يهودي بالسوق، لعلها تريد أن تشتري بعض الحليّ، وكانت هذه المرأة العربية محجبة وجهها، فجعل نفر من يهود بني قينقاع يستهزئون بها، ويطلبون منها أن تكشف وجهها، والمرأة تأبى ذلك، فعمد الصائغ اليهودي إلى طرف ثوبها من خلف وعقده إلى ظهرها وهي جالسة دون أن تشعر المرأة بما فعل، فلما قامت انكشفت سوأتها، فانطلقت من اليهود ضجة ضحك وسخرية بهذه المرأة المسلمة.

فلما أحست المرأة بما فعل الصائغ بها من مكر صاحت واستغاثت بالمسلمين لشرفها المهان في سوق يهود، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون ووقعت الفتنة بينهم وبين هذا الحي من يهود، وكانت قبيلة بني قينقاع أول يهود قابلوا المسلمين بالخيانة والغدر.



فنبذ رسول الله ﷺ إليهم عهدهم، وكان ذلك كما أمر الله على سواء بينه وبينهم، ودعا المسلمين إلى قتالهم، فحاصرهم في حصونهم خمس عشرة ليلة، وألقى الله في قلوبهم الرعب، ولم يستطيعوا أن يظهروا لقتال المسلمين، ولما طال عليهم الحصار نزلوا على حكم الرسول صلوات الله عليه، وأمكن الله نبيه منهم، فتقدم عبد الله بن أبيّ بن سلول رئيس المنافقين في المدينة، وحليف بني قينقاع قبل الإسلام، فقال: «يا محمد، أحسن في موالي -أي: في نصرائي وحلفائي- إني والله امرؤ أخشى الدوائر»، وما زال بالرسول ﷺ يلح عليه حتى قال له: «هم لك».

وكان ما فعله رئيس المنافقين هذا من الثمرات التي جناها اليهود في خطة النفاق التي دفعوا إليها بعض مشركي العرب، ثم اكتفى رسول الله ﷺ بإجلائهم عن المدينة، وكان معظمهم يشتغلون بالصياغة والتجارة، فأذن لهم بأخذ أموالهم وأثقالهم وخفيف سلاحهم، فخرجوا منها إلى الشام حتى نزلوا بأذرعات وأقاموا فيها، ولكنهم لم يلبثوا حتى هلك أكثرهم، ونالوا جزاء خيانتهم وغدرهم ومكرهم ومحاربتهم الله ورسوله.

بنو النضير ومحاولتهم اغتيال الرسول ﷺ

 هدأت مؤقتاً ظواهر أحوال يهود بني النضير وبني قريظة في المدينة بعد إجلاء يهود بني قينقاع، إلا أن بواطنهم ما زالت تجيش بالحقد والعداوة، وتتربص الدوائر بالرسول ﷺ وبالمسلمين، ولكن الرسول ﷺ ما فتئ يعاملهم بحسن الجوار، ويلتزم لهم ببنود العهد والموادعة في الكتاب الذي كان قد كتبه منذ قدِم المدينة، والذي حدّد فيه مبادئ دستورية للمجتمع الجديد في المدينة، وقد تضمن هذا الكتاب فيما تضمن موادعة اليهود وإقرارهم على أوضاعهم الأولى، وتأمينهم على حرياتهم الشخصية والدينية والمالية، كما اشترط عليهم فيه شروطاً في مقابل التأمين الذي منحهم إياه، ومما تضمنته بنود هذا الكتاب الدستوري: الاستمرار على ما كان عليه أهل المدينة في الديات، فهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، ونظراً إلى الأحلاف التي كانت بين عرب المدينة وبين يهودها فإنهم كانوا يشتركون في دفع الديات، وقد أقر الرسول ﷺ هذا من أعرافهم.



ودعت المصلحة الأدبية أن يدفع المسلمون دية قتيلين مشركين من بني عامر، قتلهما أحد المسلمين واسمه: عمرو بن أمية، ومعهما عقد من رسول الله ﷺ لم يعلم به عمرو، وقد فعل ما فعل انتقاماً لوفد المسلمين الذين ذهبوا إلى بني عامر بجوار سيدهم أبي براء بن مالك، وكانوا سبعين رجلاً، وقد حملوا معهم بطلب من أبي براء بن مالك كتاب رسول الله ﷺ، ولكنهم لما وصلوا إلى القوم عدا عليهم منهم عامر بن الطفيل،

واستصرخ على المسلمين بعض القبائل فأجابوه، وأحاط بالمسلمين فقتلهم كلهم، ولم يسلم منهم إلا كعب بن زيد الأنصاري؛ فقد تركوه وبه رمق، فعاش حتى قُتل يوم الخندق. إلا أن النبي ﷺ رغم ذلك رأى أن يدفع دية القتيلين من بني عامر؛ لأن معهما عقداً منه، فقال لعمرو بن أمية: «لقد قتلت قتيلين لَأَدِيَنَّهما».

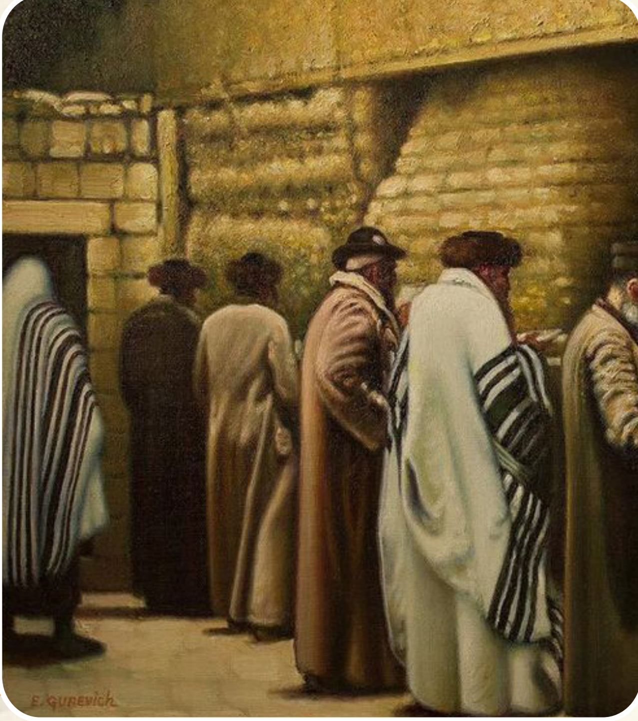
وعملاً بالأعراف المتبعة في جمع الديات من القوم ومن أحلافهم.. جمع الرسول ﷺ من المسلمين ما جمع، وخرج مع نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي إلى بني النضير وطلب منهم أن يشاركوا في دية القتيلين، ليشعرهم بالتزامه بكتاب العهد وبحسن الجوار وبسلامة نيته نحوهم، و بأن إجلاء بني قينقاع قد كان بسبب ما كان منهم من شر ونقض للعهد، فقال رؤساء بني النضير: «نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه».

وذهبوا ليفكروا فيما يدفعون من المال مساهمة في دية القتيلين، وخلا بعضهم ببعض ورسول الله ﷺ قاعد إلى جنب جدار من بيوتهم مع النفر من أصحابه، فقال اليهود في خلوتهم: «إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فمَن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟» فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحد يهود بني النضير، فقال: «أنا لذلك». فنهاهم عنه أحد أحبارهم وهو سلّام بن مِشكَم، وقال لهم: «هو يعلم»؛ فلم يقبلوا منه. وصعد عمر بن جحاش ليلقي عليه صخرة يغتاله بها، فنزل على رسول الله ﷺ الوحي من السماء بما أراد القوم، وأن اليهود



قد أئتمروا به ليقتلوه، وطلب منه الانسحاب في صمت، فقام وقال لأصحابه: «لا تبرحوا حتى آتيكم». وخرج راجعاً إلى المدينة دون أن يخبر أصحابه بالأمر، وظنوا أنه قد ذهب لبعض حاجته وهو عائد إليهم.

 فلما طال انتظار أصحاب الرسول ﷺ قاموا في طلبه، فالتقوا برجل مقبل من المدينة فسألوه عنه فقال، رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب الرسول ﷺ حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر وبما كانت اليهود أرادت من الغدر به. وشاع في المدينة خبر المكيدة التي دبّرها اليهود لقتل رسول الله ﷺ غدراً، وضجّ المسلمون بالتذمر، وأخذ اليهود يلوم بعضهم بعضاً على هذه الجريمة الشنعاء، ولم ينكروا مكيدة الغدر بالرسول، وأنزل الله على نبيه قوله في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].



وعقب مكيدة الغدر هذه، رأى المسلمون خطر بقاء يهود بني النضير بين ظهرانيهم، ذلك أن قريشاً تجمع جموعها للفتك بالمسلمين بتحريض من اليهود، فإذا كانت الجبهة الداخلية غير أمينة، وإذا كان للمسلمين أعداء غادرون في عاصمتهم، فإنه لا أمل لهم بالسلامة من كيد أعدائهم فضلاً عن تحقيق النصر، لذلك كان لزاماً عليهم أن يحرروا معقلهم الوحيد من الأعداء الرابضين فيه.

عندئذ أمر الرسول ﷺ بالتهيؤ لحرب بني النضير والسير إليهم بعد الذي كان منهم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ثم سار بالناس حتى نزل بهم، فتحصّنوا من المسلمين في حصونهم، وحاصرهم رسول الله ﷺ، ولعبت أصابع النفاق الموالية لليهود، فبعث إليهم رهط من المنافقين منهم عبد الله بن أبي بن سلول، ووديعة، ومالك بن قَوقل، وسُويد، وداعس: «أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نُسْلمكم فإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم»، فانتظروا منهم أن ينصروهم فلم يفعلوا وخافوا على أنفسهم.

وقذف الله الرعب في قلوب بني النضير فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم كما أجلى بني قينقاع ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من الأموال إلا السلاح، فوافق الرسول ﷺ على ذلك، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه ليحمله معه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، وأنزل الله فيهم قوله في سورة الحشر:



﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ١-٣].



أ. د. محمد فوزي فيض الله
رحمه الله*

الجهاد في سبيل الله.. تحريرٌ للإنسانية

الإسلام شرعٌ واقعيٌّ متحرك حي، يواجه الواقع البشري، وينطلق ليحرر البشرية من عبودية الإنسان للإنسان، ويخلصها من العقبات المادية التي ترسيها في دربه التحريرية الأفكارُ الفلسفية، والعوامل الاقتصادية المعقدة المختلفة. هو يهدف إلى إخلاص العبودية لله وحده، وإعلاء كلمته، وإقرار نظامه والتمكين لسلطانه في الأرض، ولشرعه فيها، حتى يكون الحكم فيها لله وحده، والأمر كله لله وحده: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

---

* محمد فوزي فيض الله، صور وعبر عن الجهاد النبوي في المدينة، ط١، ١٤١٦هـ، ط: دار القلم-دمشق، والدار الشامية-بيروت، ص٣٢-٣٩.

وتحقيق هذه الغاية العليا ليس بالأمر اليسير، وليس التبليغ والدعوة والتبيين كافياً في إقرار العبودية لله وحده، ولو صّح الوقوف عند هذا القَدْرِ في دعوات الرسل، لما كان في الرسالات مصاعب ومتاعب ولا بذل لأقصى الجهد، ولاستيسر لأهل البغي والتسلط أن يخمدوا دعوات الرسل في مهدها، ويخرسوا الدعاة من بعدهم.

فالدعوة حقيقة قائمة، ولا بد لها من قوة تدعمها، وتمهد لها الطريق إلى الضمير الإنساني، وقلب الإنسانية، وهنا يكون تشريع الجهاد الماضي في الإسلام. ففي سبيل شِرعة الله الموحدة في الأرض دون سواها، وفي سبيل الإنسانية جمعاء، ومن أجل المواجهة الواقعية الحتمية، يصبح القتال في الإسلام ضرورة تفرضها الارتكاسات الإنسانية المتدهورة والتسلط المسعور لاسترقاق الشعوب، وفرض عبودية الإنسان للإنسان والمادة.



ولا بد من تسجيل أنه لم يكن في مقدور الإسلام، خلال ثلاثة عشر عاماً في مكة، اتخاذ السبل الإيجابية الفعّالة لتحقيق أهدافه هذه التي أعلنها بصراحة، ودعا إليها بالحكمة ولتحرير الإنسان من العبودية لغير الله، والتمكين لدينه في الأرض، واكتساح كل مقاومة في سبيله.. وربما كانت ظروف البيئة المكية الخاصة وقتئذ، تفرض على المسلمين أسلوب الهدوء والسلبية الوادعة، وكف أيديهم عن أهل المقاومة والشغب والكفر والعناد، وذلك للأسباب الآتية:

١ أن الإسلام في مكة كان بسبيل تكوين القاعدة الإسلامية الأولى، ونواة الدعاة إلى الله، لتكون طليعة المد الإسلامي للتحرير الإسلامي، وهذا التكوين لا صلة له بالقتال والمواجهة.

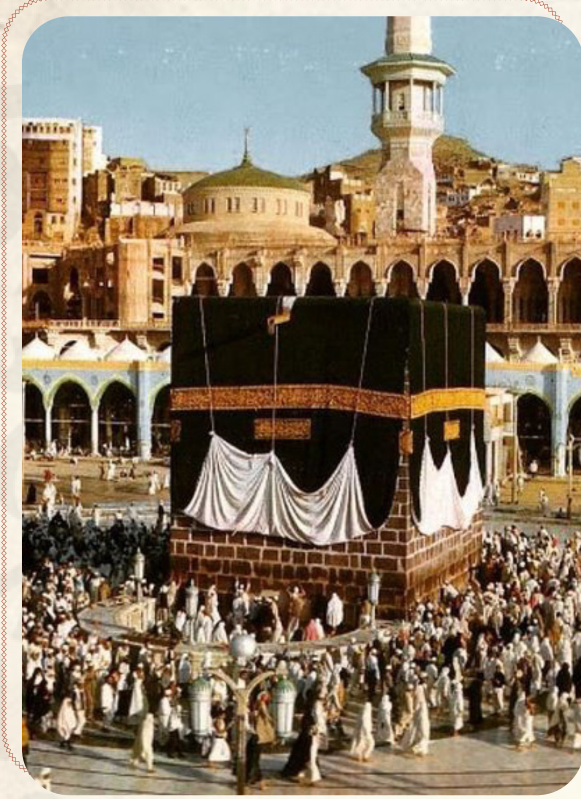
٢ لم تكن هناك ضرورة ولا حاجة داعية إلى اتخاذ أسلوب العنف حيال المقاومين: فالرسول عليه الصلاة والسلام كان يتمتع بقدر من الحرية يشبه أن يكون كافياً لتبليغ رسالته، وتبيان دعوته؛ بل كان في العرب بقية من صفات النبل، كنصرة المظلوم ولو أحياناً، وإكساب المعدوم -على أية حال- وكان للنبي ﷺ في بني هاشم مَن يحميه ويمنعه ويذود عنه، بل إن ابن الدّغنة استكثر مهاجرة الصديق من مكة وأعلن سخطه على قومه، ونقضت قريش صحيفة الحصار الذي ضُرب على بني هاشم في شِعب أبي طالب، بعد أن مسّهم العذاب وعضهم الجوع بنابه، وساءت حالهم.

٣ كان من خلق الرسول ﷺ الرأفة والرحمة، وكان يهدف إلى تربية صحابته السابقين على نموذجية صفاته، وعلى الصبر والمصابرة، ليضطلعوا بأعباء الدعوة معه ومن بعده في هدى رسالته وقيادته وحكمته؛ وكان يلتزم دائماً جانب الرفق واللطف، ويبتعد عن أساليب القسر والعنف والقهر والمواجهة : ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].



٤ اتُّهم النبي ﷺ مع التزامه سياسة الرفق والمسالمة، بأنه ساحر يفرق بين المرء وأخيه، والولد وأبيه، فماذا عسى أن يقال لو شهر السلاح وواجه الكفرة المناوئين؟ لقد كان يحسب لهذا حسابه كله ويقول مرة لعمر وقد هَمّ أن يقتل رأس المنافقين، لو أذن له النبي ﷺ في موقف فضحهم فيه القرآن الكريم: «دعه، لا يتحدث

الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[١]. كان هذا والأمر يومئذ للمسلمين، فكيف وليس لهم في مكة شيء من أمرهم؟



٥ وكان المسلمون قلة قليلة في مكة. فالتفكير في الحرب والمقاتلة سيؤدي -بطبيعة الحال- إلى استئصال هذه الحفنة المخلصة من المسلمين وبذلك يُقضى على الإسلام، قبل أن يطل على العالم خارج جزيرة العرب وليس في هذا حكمة ولا مصلحة، بل يوشك أن يكون تشريع القتال في هذه الظروف من قبيل التكليف بما لا يطاق.

٦ وكانت قريش قبيلة ذات عزّ ومكانة، ولها السيادة والشرف، بالإشراف على شؤون البيت العتيق، وفيها أَنَفَة وحمية، فربما تأثرت بالمسالمة أكثر من تأثرها بالمجابهة؛ بل ربما حملتها المجابهة بالسلاح على العناد والشر الدامي، فترتبط نشأة الإسلام في الأذهان بالتحرش بالسلم، وإشعال نار الحرب، وليس هذا في صالح الإسلام ومبادئه وغاياته الإنسانية البعيدة الرفيعة.

هذه الظروف وغيرها استبعدت فكرة المواجهة وشرعية الحرب في أول ظهور الإسلام، في بيئة مكة؛ فلم يكن من الحكمة ولا من المصلحة تشريع القتال وقتئذ، بل الحكمة أن يقال للموحدين: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧].

---

١ متفق عليه، ورواه الإمام أحمد والترمذي.

وقد انتهت هذه المرحلة الوادعة المسالمة من الدعوة بهجرة المسلمين إلى المدينة، فهناك تغيرَ وضع المسلمين، وتغيرت حركة الإسلام بتغير البيئة، وتغيرت نظرة الإسلام الواقعية الحركية في معالجة الأمور.

فالمسلمون في المدينة كوّنوا دولةً جديدة، وقاعدة إسلامية جديدة، يمثلها المجتمع المسلم الجديد. ولهذه الدولة الفتيّة سيادة وسياسة واسعة النطاق؛ والدعوة إلى الإسلام لا تجد لها في هذه البيئة الجديدة مقاوماً ولا معانداً ولا مواجهاً؛ بل إن أهل المدينة من الأنصار درء جديد للإسلام، حتى اليهود والعرب المشركون الذين لم يسلموا، عقد معهم الرسول عليه الصلاة والسلام معاهدة ألزمتهم بمسالمة الإسلام واستبعدت مقاومتهم إياه، وأبقت لهم الباب مفتوحاً للدخول فيه كلما شاؤوا، كما أمنت مخالفتهم أعداء المسلمين من كفار قريش المناوئين للإسلام، أولئك الذين ركز عليهم في هذه الآونة وتفرغ لهم، وأعلنها عليهم حرباً دامية، حتى يطهر بيت الله من وثنيتهم، ويمكن في الأرض لدين الله.

ولهذا نصّت المعاهدة المذكورة في مطلعها على أن المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس. فالأمة في المدينة أمة الإسلام فحسب، وقد حلَّت الوحدة الدينية فيها محل الوحدة القومية، ولا رباط بين أفراد هذه الأمة سوى الإسلام.



وهذه المادة من هذه المعاهدة المبكّر عقدها في المدينة، تشير إلى علامة الدخول

في الإسلام، فإذا كان الدخول في الإسلام بإعلان الشهادتين نطقاً، فإنه يشترط أن تتلوه مجاهدة قريش مع المسلمين فعلاً، فهذا مبدأ شرعية القتال في الإسلام ومكافحة المشركين.

ومن يقرأ قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]. تلك الآية التي أجمع أهل العلم على أنها أول آية في تشريع القتال، لا بد أن يستشعر بالضرورة -وفق الإنباء اللغوي- سابقية المنع من القتال، وذلك الذي كان مقرراً قبلاً في مثل قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].



وآية القتال تنطق بأنه شُرِع بسبب الظلم الفادح الذي أنزلته قريش بالمسلمين، فأخرجتهم من ديارهم بغير حق، سوى أنهم قالوا ربنا الله، شُرِع لكي يقمع الكفر ويقهر الجبابرة، ويأخذ على أيدي الظالمين، ويحمي مملكة الله في الأرض، وفيها المساجد ومواطن العبادة، وذكر اسم الله، ولكي يفرد العبادة لله وحده، ويمكن لشريعته في الأرض، فهو إذَن قتال لأهداف إنسانية سامية بعيدة عن الاقتصاد والخامات والمكاسب والمغانم، ومناطق النفوذ وأسواق تصريف المنتجات.

وولي هذه الآية الأمر الإيجابي الملزم بالجهاد صراحة في قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩٠-١٩١].



القتال في الإسلام قتال راحم شريف، لا عدوان فيه ولا تجاوز، قتال المقاتلين، لا يقاتل إلا المعتدين المواجهين، ولا يقاتل النساء ولا الصبيان ولا الشيوخ الذين لا يقاتلون، قتال يجتنب فيه كل عدوان من التمثيل والتحريق والقتل صبراً.

وهذا تنصيص على أن القتال الذي أذن به للمسلمين وألزموا به، كان خاصاً بالمشركين من أهل مكة، الذين آذوا المؤمنين، وهموا بهم، كما هموا برسولهم أن يقتلوه، وأخرجوهم من ديارهم، وبدأوهم بالقتال، ولهذا لم يقاتل المسلمون في المدينة بعد الهجرة إليها سوى كفار مكة؛ فلما انضم إلى مشركي مكة غيرهم من مشركي العرب أمر الله عزَّ وجلّ بقتال المشركين جميعاً، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].



وهذا كالإعلان بأنه لن يقبل من العرب الذين نزل فيهم القرآن، وحملوا رسالة الإسلام، إلا الإسلام أو السيف، فرشح هذا الأصل قول النبي ﷺ: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»[٢].

وجمهور الشراح على أن المراد من الناس في هذا الحديث مشركو العرب وعبدة الأوثان.

---

٢ متفق عليه؛ بل عُد من المتواترات.

وقد ورد في القرآن الكريم النهي عن قتال المشركين في أحوال خاصة، كما في الشهر الحرام والمسجد الحرام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾ [البقرة: ١٩١]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥].

نخلص من هذا إلى أن تشريع القتال في بادئ الأمر لم يكن إلا لمواجهة كفار قريش خاصة، فلما تمالأ معها غيرها من مشركي العرب ورد الأمر بقتال المشركين كافة.



أما بالنسبة إلى من كان في المدينة فقد فصّلت سورة براءة أحوالهم وأحكامهم، فيمكن تقسيمهم إلى ما يأتي:

المنافقون: وقد جاء الأمر بأن تُقبل علانيتهم، وتُوكل سرائرهم إلى الله، وأن يجاهَدوا بالحجة ويُغلَظ لهم بالقول البليغ في أنفسهم؛ كما ورد النهي عن الصلاة عليهم إذا ماتوا، والوقوف على قبورهم بعد دفنهم، وعن الاستغفار لهم: ﴿فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ﴾ [التوبة: ٨٠].

المعاهدون: وكانوا ثلاثة أقسام:

(أ) قسم نقض عهده، وساعد المشركين في حروبهم، وألّبهم على المسلمين؛ وقد أمر النبي ﷺ بنقض عهدهم: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]. فحاربهم، وأظهره الله عليهم.

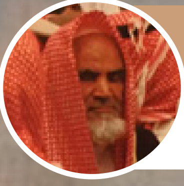
(ب) وقسم حافظ على العهد، فأمر بوفاء عهدهم: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

(ت) قسم لم يكن لهم عهد، ولم يحاربوه، فأمر بإمهالهم عهداً لأربعة أشهر، فإذا مضت قاتلهم؛ والذي حدث أنَّهم لم يقيموا على كفرهم، بل أسلموا.

أهل الكتاب من النصارى:

الذين يعادون الإسلام، ولا عهد لهم، أَمَر بقتالهم حتى يسلموا أو: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. وقد ضُربت الجزية فعلاً على أهل الذمة من هؤلاء.

هذا تشريع القتال في الإسلام، وتصنيف جهاته، وتفصيل غاياته؛ كما تفصح عنها القطعيات النصية التي تلوناها، وكما فهمها سلف هذه الأمة الأمين الصالح.



سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد

رحمه الله*

عاقبة تَـرْك الجهاد والحُكم بالإسلام

لستَ تجد نظاماً قديماً أو حديثاً.. دينياً أو مدنياً.. عُني بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة وحشدها كلها صفاً واحداً للجهاد في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا، كما تجد ذلك في دين الإسلام وتعاليمه: فقد فصّل الكتاب والسُّنة كل ما يتصل به تفصيلاً عجيباً، ووزع أعماله المختلفة ومسئولياته الكثيرة على جهاتها المختصة توزيعاً دقيقاً يفوق كل التنظيمات الحديثة والدراسات العسكرية، بل ما هي إلا قطرة منه..

---

* الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، تبيان الأدلة في إثبات الأهلّة ويليه الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة، ط: مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، ص٧٤-٩١.


وآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ فياضة بكل هذه المعاني السامية، داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلوب، فأمر المسلمين أن يأخذوا حذرهم من أعداء الله وأن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة، لأن ذلك أول قواعد القتال وأعظمها شأناً، وأن الإعداد بجميع أنواعه وأقسامه المنطوية تحت كلمة قوة: أي بريّة وبحريّة وجويّة، وأن الاهتمام بالقوات الثابتة والمرابطة كالاهتمام بالقوات المتحركة، والاهتمام بالجيش في أيام السلم كالاهتمام به في أيام الحرب، وأن أساس الروح العسكرية كما يقولون أمران: الطاعة والنظام.

وقد جمع الله عزّ وجلّ هذا الأساس في آيتين من كتابه.. فأما الطاعة ففي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ * طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾ [محمد: ٢٠-٢١].



وأما النظام ففي سورة الصف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤].

كما حث الجيوش الإسلامية على المبايعة على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، ومدح الصادقين بالعهد الموفين بالوعد بقوله: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وأمر بالثبات عند اللقاء وذكر الله عند الفزع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وشجّع المجاهدين في سبيله على الإقدام الحازم والشجاعة الصادقة من أول اللقاء إلى آخره: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]. ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]. ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].



كما أمر باستصحاب الطمأنينة وسكون الجوارح وطرد الأوهام والتخلص من الوهن والحزن: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. وأخبر بأن الله عز وجلّ قد تكفل بنصر من ينصر دينه، وأنه لا عبرة بالعدد ولا بالعدة، وإنما هو الإيمان الصادق بأن النصر من عند الله: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]. ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]. ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

كما أشار القرآن إلى الحقيقة المعروفة وهي: أن الحرب دواليك، يوم لك ويوم عليك: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وجعل المشاورة من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ولا سيما في الأمور الهامة كالجهاد ومعاملة الأعداء، ومَدَحَ عباده المؤمنين على هذه الصفة بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. ومع كمال عقل الرسول ﷺ وتأييده بالوحي فقد أمره الله بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ولتقتدي به أمته من بعده.

كما حذر القرآن عن ارتكاب المعاصي الباطنة والظاهرة، صغيرها وكبيرها، وأخبر أن نصر الله لا يتنزل على العاصين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٥] ونهى عن التنازع مطلقاً على أي أمر في القتال وأمر بالاتفاق دائماً، وأخبر أن النزاع سبب للفشل وذهاب الريح: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].



وحذر عن الفرار من العدو حين القتال وأنه كبيرة عظيمة، وتوعد الجبناء المخذلين بأنكى العقوبات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

ونهى عن غلول الغنائم وحذر المسلمين منه غاية التحذير، وأنه يأتي بما غل حاملاً له على ظهره ورقبته معذباَ بحمله وثقله، مرعوباً بصوته موبخاً بخيانته على رؤوس الأشهاد: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].



كما حذر عن القتال للرياء أو السمعة أو الشرف أو الحمية أو النعرات القومية والشعارات المزيفة، وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومَن معه من المسلمين خيراً، ثم قال ﷺ: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَن كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً».

وكان يقول لأصحابه إذا أرادوا الغزو: «انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا فإن الله يحب المحسنين».

لذلك أبلى الرسول ﷺ والذين آمنوا معه بلاءً حسناً في نصرة هذا الدين والدعوة إليه، فأمدّهم الله بالنصر وأنزل عليهم السكينة، وأيّدهم بالملائكة، وألّف بين قلوبهم، وقذف في قلوب أعدائهم الرعب.. فقاتَلوا في سبيل الله عن عقيدة وإخلاص ونصرةً لدين الله حتى يظهره على الدين كله ويخرجوا الناس

من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سَعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وعرفوا أن الله قد ضمن لهم النصر ووعدهم بالفتح؛ فوثقوا بنصر الله ووعد رسوله ﷺ، واستهانوا بالقلة والكثرة، واستخفوا بالمخاوف والأخطار، وذكروا قول الله تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٦٠] وأنهم جند الله، وأنهم يقاتلون في سبيل الله، وأن الله ناصرهم ومعينهم وخاذل لأعدائهم، لأنهم يقاتلون في سبيل الشيطان.

إن ينصركم الله فلا غالب لكم

هذا عمر ابن الخطاب استشار أصحابه في مسيره إلى العراق بوقعة (نهاوند) قال له علي بن أبي طالب: «يا أمير المؤمنين: إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة.. هو دينه الذي أظهر، وجنده الذي أعزه وأمده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ؛ فنحن على وعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده».

وهذا خالد بن الوليد لما أقبل من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين! فقال خالد: «ويلك أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر وتَقِلُ بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر براء من توجعه، وأنهم أضعفوا في العدد».

وكان فرسه قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق.

وكانوا يخاطرون بأنفسهم ويأتون بأعاجيب وأعمال خارقة للعادة، ثقةً بنصر الله واعتماداً على موعوده، كما حصل للجيوش الإسلامية بقيادة سعد بن أبي وقاص؛ فقد وقف أمام المدائن ولم يجد شيئاً من السفن وتعذر عليه تحصيل شيء منها بالكلية، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسودّ ماؤها

ورمت بالزبد من كثرة الماء بها، فخطب سعد الناس على الشاطئ وقال: «ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم». فقالوا جميعاً: «عزم الله لنا ولك على الرشد.. فافعل». ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملأوا ما بين الجانبين فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على على وجه الأرض، فلما رآهم الفرس قالوا: «ديوانه ديوانه» يقولون: «مجانين - مجانين»، ثم قالوا: «والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جناً». وجعل سعد يقول: «حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرنّ الله وليّه وليظهرنّ الله دينه، وليهزمنّ الله عدوه إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات».



نعم.. كانوا يتخوفون من ذنوبهم ومن معاصي الله أكثر مما يتخوفون من عدوهم ومن كثرة عدده وضخامة عدده. نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في كتابه لقائده سعد بن أبي وقاص لما أرسله إلى فتح فارس:

«أما بعد، فإني آمرك ومَن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة على الحرب، وآمرك ومَن معك مِن الأجناد أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم؛ فإن ذنوب الجند أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في



القوة، وإلا ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.. فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون؛ فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يُسلَّط علينا، فرُب قوم سلط عليهم شر منهم، كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بمعاصي الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولاً، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم» ا هـ.

فتمسَّك المسلمون المجاهدون بما ذكر هذا الخليفة الراشد، وكانوا كما وصف رجل من الروم المسلمين لرجل من أمراء الروم فقال: «جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيولاً عتاقاً، أما الليل فرهبان وأما النهار ففرسان، لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذِكر». قال: «فالتفت إلى أصحابه وقال: أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به».

وهذا عقبة بن نافع أراد أن يتخذ مدينة في أفريقية يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم؛ ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد؛ فقصد موقع القيروان، وكانت وحلة مشتبكة بها من أنواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك، فدعا الله وكان مستجاب الدعوة، ثم نادى: «أيّتها الحيات والسباع، إنا أصحاب رسول الله ﷺ، ارحلوا عنّا فإنا نازلون ومَن وجدناه بعد ذلك قتلناه». فنظر الناس ذلك اليوم إلى الدواب والحيات تحمل أولادها وتنتقل، ورآه قبيل كثير من البربر فأسلموا.

عاقبة تَرْك الجهاد والحُكم بالإسلام

وحينما طال على المسلمين الأمد وقست قلوبهم ونسوا وتناسوا ما لأجله بعثهم الله على كثرة من الناس وتوافر من بين أمم الأرض وهو قوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وصاروا يعيشون حياة لاهية دنيئة، حياةَ مَن لا يعرف نبياً ولا يؤمن برسالة ووحي ولا يرجو حساباً ولا يخشى معاداً، وأشبهوا الأمم الجاهلية التي خرجوا يقاتلونها بالأمس عادوا فقلدوها في مدنيّتها واجتماعها وسياستها وأخلاقها ومناهج حياتها، وفي كثير مما مقتها الله لأجله وخذلها، وابتلي المسلمون بتأثير الحضارة الغربيّة والدعايات الشرقية.. أصبحتْ بلادهم مالاً سائباً لا مانع له، وأصبحت دولهم فريسة لكل مفترس، وطعمة لكل آكل.

وظهر معنى قول النبي ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» **فقال قائل: أوَ مِن قلة نحن يومئذ؟ قال:** «بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ في قلوبكم الوهن». **قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال:** «حب الدنيا وكراهية الموت».

ويقول الرسول الكريم ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه منكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

فهم تركوا الجهاد، وطلبوا المدد من الأعداء، والحماية من الكفار، والتكفف لديهم والالتجاء في مواقع الخطر إليهم، فهانوا إذَن على الله، مع أسمائهم الإسلامية ورغم وجود الصالحين فيهم وظهور بعض الشعائر الدينية والواجبات الشرعية في بلادهم.

يقول بعض المستشرقين لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم وجهلوا حكمه وأحكامه وعدلوا إلى القوانين الوضعية المتناقضة المستمدة من آراء الرجال، فشا فيهم فساد الأخلاق، فكثُر الكذب والنفاق والتحاقد والتباغض؛ فتفرقت كلمتهم، وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة، وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون، ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة.

وهذا واقع مشاهد يحسّه كل مؤمن، ويلمسه كل غيور، في كل أمة تخلت عن الجهاد وانغمست في الترف وعبادة المادة وحب الدنيا.



يحدثنا التاريخ ماذا فعل بالمسلمين أشقى الأمم المغول والتتار، ما يُحزن القلب ويُحرق الفؤاد ويبكي العين، يقول ابن الأثير: «لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها، فأنا أقدّم إليه رِجلاً وأُأخّر أخرى؛ فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومَن الذي يهون عليه ذكر ذلك؛ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مِت قبل هذا وكنت نسياً منسياً... هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين».

ثم ذكَر من وهن المسلمين وتسلط أعدائهم عليهم فقال: «دخلت امرأة من التتر داراً وقتلت جماعة من أهلها وهم يظنونها رجلاً، ودخل واحد منهم درباً فيه مائة رجل فما زال يقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم ولم يمدّ أحد يده إليه بسوء، ووُضعت الذلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلاً ولا كثيراً، نعوذ بالله من الخذلان».

وحكى أن أحدهم أخذ رجلاً ولم يجد ما يقتله به فقال له: «ضع رأسك على هذا الحجر ولا تبرح». فوضع رأسه وبقي إلى أن أتى التتري بسيف وقتله! قال: «وأمثال ذلك كثير».

فالواجب على أهل الإسلام، خصوصاً العلماء منهم وولاة الأمور، أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم، وأن يبثوا الدعوة لهذا الدين، وينشروا محاسنه لنشئهم؛ ليرغّبوهم فيه ويرشدوا الأمة لأحكامه وحكمه؛ كما فعل أوائلهم الأماجد، فإنهم جاهدوا في الله حق جهاده وقاموا بالدعوة إلى الله، فبيّنوا للأمم محاسن الإسلام وسماحته.. وبذلك امتدّ سلطانهم واتسعت ممالكهم وأخضعوا مَن سواهم لتعاليمه. ولكن مالبث أبناؤهم أن حرّفوا فانحرفوا، وتمزقوا بعدما اجتمعوا، واشتبه الحق عليهم بالباطل فتفرقت بهم السبل، وأصبحوا شيعاً متفرقين في آرائهم، متباينين في مقاصدهم.

وكيف يحصل لهم الرقي؟ وأنّى يتسنّى لهم التقدم وهم يقلدون الأمم الكافرة، يجرون وراءهم وينهجون نهجهم، ويقلدونهم في الصغير والكبير والنقير والقطمير، يحكمون بين شعوبهم بقوانين وضعية، ويصادمون الشريعة الإسلامية التي هي مصدر عزّهم وفخرهم وفيها راحتهم وطمأنينتهم، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

نسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويوفق جميع المسلمين إلى ما فيه رضاه!

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ﴾



الصادعون بالحق

من تراث العلماء والدعاة الأسرى



د. عادل بانعمة

فك الله أسره*

صواريخ المقاومة الفلسطينية

نظرة عقلانية (٢/٢)

التزامٌ ووفاء

حماس لم تنهِ الهدنة.. الهدنةُ كانت تنتهي تلقائياً في ١٩-١٢-٢٠٠٨، وما أعلنته حماس أنها لن تجدد الهدنة، وعدم تجديد الهدنة شيءٌ آخرُ يختلف تماماً عن خرقها. ولم يكن عدم تجديد الهدنة قرار حماس وحدها.. بل كان قرار جميع الفصائل الفسطينية في غزة.. كان قراراً إجماعياً.. يمكنُ أن نتفهّمه جيداً عندما نتذكر شروط التهدئة الرئيسة: (وقف العدوان، رفع الحصار، فتح المعابر، نقل التهدئة إلى الضفة الغربية)، هذه هي شروط التهدئة فهل نفذت إسرائيل منها شيئاً؟

---

* د. عادل بانعمة، مقال: صواريخ المقاومة الفلسطينية.. نظرة عقلانية، نُشر عام ٢٠٠٨م، موقع إلكتروني: صيد الفوائد.
[نشرنا الجزء الأول من المقال في العدد الماضي من مجلة أنصار النبي ﷺ].

وهل من العقل أن توافق غزة على تمديد الهدنة بينما إسرائيل تنتهك شروطها الرئيسة فتحاصر غزة وتخنقها وتمنع عنها الماء والغذاء والوقود والكهرباء؟ هدنة مع حصار وتجويع؟ أهذه سياسة أم تياسة؟ أم أن العقلانية والحكمة لا تكون إلا بالتسليم المطلق والخضوع التام للإملاءات الإسرائيلة؟

لقد أدرك أردوغان -وهو سياسي ذهب في التعاون مع إسرائيل إلى مدى بعيد- هذه الحقيقة وكان شجاعاً في إعلانها حين حمّل إسرائيل المسؤولية؛ لأنها هي التي لم تلتزم بالتهدئة ورفضت عرضاً تركياً للوساطة بينها وبين حماس.

خيارات الداخل

المتكلمون عن استفزاز صواريخ المقاومة يصورون للناس أن فلاناً وفلاناً من القادة يتاجرون بالشعارات وأن الشعب هو الضحية! إن الجواب يأتي من الشعب نفسه.. الشعب الفلسطيني الذي خرج قبل الحرب بأيامٍ قليلةٍ في حشودٍ ضخمةٍ مؤيداً لخيار المقاومة والجهاد.. ومصطفاً مع الحكومة التي اختارها، «ووفقاً لوكالات الإنباء فإن هذا الاحتشاد الشعبي كان الأضخم في التاريخ الفلسطيني المعاصر»[1].



صدقوني.. هذه الملايين لم تخرج من أجل سواد عيون فلان أو فلانٍ، أو تعلقاً باسم حركةٍ أو حزب؛ لقد خرجت تأييداً لخيار المقاومة الذي يمثله اليوم فلان وقد يمثله غداً غيره.

---

١ من مقالة للدكتور مهنا الحبيل.

جرى ذلك في الوقت الذي عجز فيه (خيار المفاوضات) حتى عن عقد مؤتمره العام، بسبب كثرة الانشقاقات والاختلافات التي كان حلها بفصل الكوادر المشاغبة كما قيل!

الشعبُ الذي قيل إن (المقاومة) حشرته في (صندوق) ضيق، وتاجرت بدمه، وجعلته عرضةً للعذاب.. هذا الشعبُ هو الذي يخرج هاتفاً للمقاومة مؤيداً لبرنامجها، وهو الذي اختارها ابتداءً لتحكمه وقد كان على وعيٍ ببرنامجها ومعرفةٍ بمنطقها المقاوم.. وهو الذي نسمعُهُ -عبر الفضائيات والاتصالات الهاتفية الشعبية- في قلبِ الحربِ يشدّ على يد المقاومين ويطلب منهم الانتقام من اليهود. ثم نأتي نحن لنقول: مسكين هذا الشعب! قام به أبطال حروب الخناجر!

السؤال المعاكس



وهناك جانب يجب الالتفات إليه..

دائماً ما يتحدث هؤلاء المتهمون للمقاومة بمنطق: «انظروا ماذا سببت المقاومة من دمار باستفزازها لإسرائيل».. ولكن أحداً منهم لم يطرح السؤال بشكل معاكس: **ماذا كانت ستفعل إسرائيل لو لم تكن هناك مقاومة؟!**

ألم تكن إسرائيل إذْ قامت تتحدث عن دولة عظمى من البحر إلى النهر؟ ألم تكن تتحدثُ عن إبادة كاملةٍ للفلسطينيين؟ هل نسينا تصريحات ليفي أشكول وجولدا مائير وموشي دايان وإسحاق رابين؟! ما الذي خفض سقف الطموحات الإسرائيلية؟ وقلل أحلامها؟

أليست المقاومة المستمرة هي التي أجبرت إسرائيل على بعض التنازلات؟ أليست (السلطة الوطنية) -التي يدعو أربابها اليوم إلى ترك خيار القتال- أليست هي وليدة المقاومة والقتال؟ أكان اليهود يسمحون بشيء كهذا على هزاله لولا ما وجدوه من مقاومة صلبةٍ؟

الصواريخ والنموذج الإدراكي



لنطرح المسألة من زاوية أخرى..

هي الزاوية الفكرية الاجتماعية: يجب أن ندرك جيداً أنّ معظم المستوطنين الإسرائيليين الحاليين هم مجرد مرتزقة، فأكثرهم لم يأتِ به إلى فلسطين إلا الرخاء المادي الذي وفرته له الحكومة، وإذا كانت الأجيال الأولى من المستوطنين ذات بعدٍ دينيٍّ عقديٍّ في قدومها إلى فلسطين فإن الأجيال الحالية -ومع تزايد معدل العلمنة- تبحث عن العيش الرخيِّ الهانئ! ويدلك على هذا أن الإعلان عن المستوطنات الإسرائيلية في الصحف الغربية لم يعد يتحدث بمنطق العودة إلى أرض الأجداد! وإنما بات يتحدث عن مزايا المستوطنة مادياً فقط!

إذنْ الخارطة الإدراكية للمستوطن اليهودي أنه سيأتي إلى أرض ينعم فيها بالرخاء المادي والنعيم والاستقرار.. إذا فهمنا ذلك جيداً أدركنا أنَّ (كل ما ينغص على المستوطنين حياتهم هو في النهاية إحباطٌ للمخطط الصهيوني)!

المسألة إذن ليست مسألة صواريخ لا تزيد على أن تثقب حفراً في شوارع إسرائيل.. المسألة أن هذه الصواريخ البسيطة تهز النموذج الإدراكي للمستوطنين من أساسه، وبالتالي تدفعهم للهرب، ومن ثم يفضي ذلك إلى زوال نموذج إسرائيل كدولة آمنة مستقرة[٢].

هل فهمنا الآن قيمة الصواريخ؟ بل حتى قيمة الحجر الذي يلقيه الطفل الفلسطيني على اليهود؟

إنَّ تعطيل الدراسة في جنوب إسرائيل بسبب صواريخ المقاومة يعني شرخاً هائلاً في البنية الإدراكية، التي صرفت إسرائيل مليارات الدولارات لتغرسها في نفوس مواطنيها.. إنّ صاروخ المقاومة لا يثقب حفرة في أرض إسرائيل فقط.. بل يثقب الكيان الإسرائيلي بأكمله.

الكيل بمكيالين

ومن عجيب هذه القضية أن كل دولةٍ عربيةٍ -ومعها مؤرخوها وكُتّابها- تصوِّر حروبها التأسيسية والتحررية على أنها حروب كرامةٍ ووطنية ثم تُصَوَّرُ حرب المقاومة في فلسطين على أنها حرب عبثية بصواريخ ورقية؟!



٢ انظر ما كتبه د. المسيري في تجربته الفكرية ص: ٥٢٤ - ٥٢٦.

في عام ١٢٣٣هـ قرر عبد الله بن سعود آخر أمراء الدولة السعودية الأولى مواجهة إبراهيم باشا والي مصر، على الرغم من الفارق الكبير في العدة والعدد بين دولةٍ ناشئةٍ ودولةٍ راسخةٍ مدعومةٍ من قِبل الخلافة العثمانية. انتهت المعركة باستسلام عبدالله بن سعود، وسقوط الدولة السعودية الأولى، ولم نسمع أحداً يصف تحركاتِه بالتهوّر والحماقة!

في عام ١٣١٩هـ سار الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله بأربعين رجلاً وثلاثين بندقية ومائتي ريال إلى الرياض لفتحها! أربعون رجلاً فقط ببنادق قديمة يخوضون حرباً لفتح مدينةٍ واسترجاع مُلْك!



ومع الفارق الجنوني في العدة والعتاد.. لم نسمع أحداً من إخواننا الكُتّاب يصف هذه المواقف السعوديّة بالجنون والتهوّر واستفزاز الخصمِ القويّ! وفي قلبِ القاهرة ينتصبُ شامخاً (نصب الجندي المجهول)، لقد أقيم هذا البناء (تكريماً) للشهداء الذين قضوا في حرب الاستنزاف! لقد كانوا أبطالاً إذن ولم يكونوا حمقى ولا متهورين! وأكثر من هذا أنك ترى التاريخ المصريّ يتغنّى ببطولات المصريين الذين واجهوا الاستعمار الفرنسي بأسلحةٍ بدائيةٍ بعضُها السيوف والسكاكين![3] كانوا أبطالاً إذن ولم يكونوا مستفزّين لدولة عظمى!

---

٣ اقرؤوا سيرة عمر مكرم.

التاريخ السوري يتغنى بمعارك الأبطال مع فرنسا، والتاريخ الجزائري يفخر بالمليون شهيد في الحرب مع الاستعمار، والتاريخ الليبي يكاد (يقدّس) عمر المختار الذي واجه جبروت إيطاليا بخيلٍ وبندقية! وقِس على هذا كل دول العالم العربي.. كل الأنظمة العربية اليوم تفخر بنضال شعوبها وتحتفل بيومها الوطني.. ألم يكن ذلك النضال غير متكافئ الأطراف؟ ألم يسقط فيه الضحايا؟ ألم تحصل بسببه الكوارث؟ فلماذا كان بطولةً في كل تلك الأماكن وكان حماقةً وتهوراً في فلسطين؟ هل يجيبني أحد أولئك الذين يتهمون صواريخ المقاومة؟

القضية هنا

إن القضية ليست في (صواريخ) تطلقها المقاومة، بل المشكلة عند إسرائيل هي في المقاومة ذاتها، إنها لا تريد أن يوجد شخص واحدٌ يؤمن بخيار المقاومة ولو بعد مرحلة من السياسة والمرونة، تريد الجميع أن يكونوا مستسلمين مدجّنين.. ولعلها بعد ذلك ألا ترضى أيضاً! لأنها في النهاية تريد دولة يهودية خالصةً! ولعلنا نتذكر تصريح وزيرة الخارجية الإسرائيلية مؤخراً حول أحلامها بدولةٍ يهوديةٍ نقيةٍ! مما يعني طرد عرب ٤٨.. هؤلاء الذين ما حملوا سلاحاً ولا أطلقوا صاروخاً واحداً!



إنه من المحزن حقاً أن نجد كاتباً يهودياً يتفهم هذه الحقيقة بينما يجهلها أو يتجاهلها بعضنا، يقول كاسريلز وزير المخابرات في جنوب أفريقيا (وهو يهودي مُعادٍ للصهيونية): «كان هدف الصهيونية منذ

البداية هو طرد المواطنين الأصليين حتى تصبح الدولة دولة يهودية خالصة، وعندما أدرك الفلسطينيون هذا بدأوا في المقاومة». إنه يفهم جيداً أن المقاومة حالة طبيعية تُجاه مستعمر يريد طرد السكان الأصليين. ثم يقول: «هذا هو السبب الرئيسي للصراع، من وجهة نظر الكثيرين». هكذا يفهم هذا اليهوديّ أن علة الصراع هي العدوان الإسرائيلي ابتداءً، ويصرّ طائفةٌ من بني قومنا على أن المشكلة كلها هي في صواريخ المقاومة!

حكاية التوازن



وأحسبُ أنَّ الشعوب المستعمَرَة والمضطهَدَة لو أخذتْ بنصيحةِ هؤلاء (الواقعيين) القاضية بضرورة توازن القوى وعدم المقاومة إلا عند تكافؤ العَدد والعُدد لبقيت إلى اليوم مستعمرةً مستنزفةً خانعةً.

أخبرني عن حالة تحررية واحدةٍ في العصر الحديث أو القديم كان فيها (المقاوِمُ) أقوى من المحتل أو حتى في مثل قوتِهِ! أين حصل مثل هذا؟ في فيتنام؟ في جنوب أفريقيا؟ في الهند؟ في مجمل الدول العربية؟ في فرنسا إبان حربها مع النازيين؟ أين؟!

كل تلك الحالات التحررية التي انتهت إلى استقلالٍ وردّ اعتبارٍ كانت كحالةِ فلسطين اليوم تماماً.. مقاومة أضعفُ عدداً وعدةً بكثير لكنها تملك إيماناً وعدالة قضية لا يمتلكهما المحتل المدجج بالسلاح، «ولم تكن المقاومة في يوم من الأيام مماثلة أو قريبة في قوتها من عدوها؛ بل كانت أضعف منه وهي من يُقدّم الشُهداء، ولكنها تنطلق من توازن الرعب الذي يُجرد المحتل من القدرة على استقراره ويفرض عليه برنامجاً مضطرباً من خلال الآلة المقاومة الأضعف.. هكذا حتى يهتز الاحتلال ويندحر»[٤].

وبعد هذا كله.. فإنَّ المقاومة التي انتقلت من مرحلة الحجارة إلى مرحلة الصواريخ، والتي بدأت صواريخها ببضعةِ كيلومترات ثم وصلت إلى أسدود وسديروت، هذه المقاومة قادرة بإذن الله على مزيد من التطوير وتقليل الفارق يوماً بعد يومٍ.

ختاماً..

إذا كانت العقلانية تعني أن يصبح الضحية مجرماً، والمظلوم ظالماً، فلا بارك الله فيها! وإذا كانت العقلانية تعني التجرّد من المروءة والإنسانية، والولوغ في دماء القتلى والجرحى فلا مرحباً بها!

وحيهلاً بعقلانيةٍ تنصرُ المظلوم وتقول للظالم: كفى.

٤ محرقة غزة بغطاء عربي، مهنا الحبيل.



د. محمد موسى الشريف

فكّ الله أسره*

مقومات الأمن النفسي..
الإيمان العميق

الإيمان العميق بالله تبارك وتعالى، ومعيته لعبيده المؤمنين، وتثبيته لهم في الشدائد، وإعانته إياهم في النوائب.. يُكسب المؤمنين أماناً واطمئناناً عجيبين، إذ شعورهم بأنهم موصولون بالقوة العظمى في الكون شعور رائع يملأ جوانحهم بالرضى والتسليم والطمأنينة.

ألم ترَ إلى بني إسرائيل لما لحقهم فرعون وجنوده، وضاقت بهم الأرض، وظنوا أنهم مأخوذون لا محالة، ألم تر إلى الطمأنينة العجيبة التي كانت مستولية على موسى عليه الصلاة والسلام، والثبات الكبير الذي أبداه:

---

* محمد موسى الشريف، الأمن النفسي، ط٢، دار الأندلس الخضراء-جدة، ٢٠٠٣م، ص١٣-٢٤.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٦].

ويبقى قول موسى عليه الصلاة والسلام فيما قصّه الله تعالى علينا: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ علامةً على الإيمان العميق بالله تعالى، ودلالة على الطمأنينة والأمن النفسي الذين إن تحققا للعبد فاز وسعد.

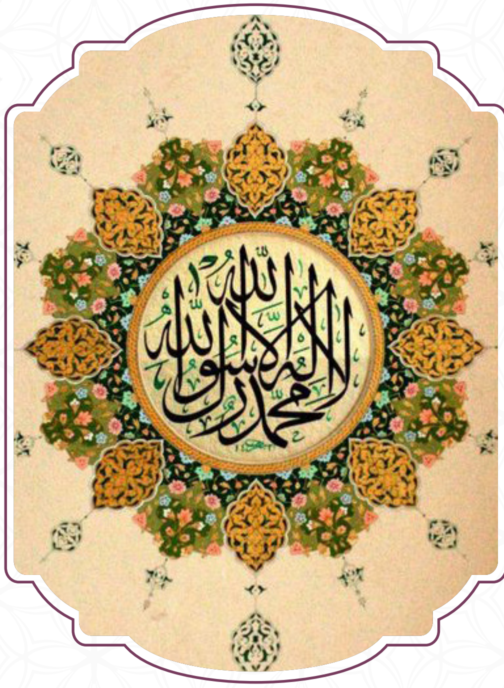


وكذلك نبينا الأعظم ﷺ كان يعيش في أمن نفسي عجيب، فقد أحاطت به شدائد ومصائب عظيمة كان يواجهها -بأبي هو وأمي- ببرد اليقين، والأمثلة كثيرة لكن حسبي أن أورد منها مثالاً واحداً معبراً، وهو ما جرى له يوم الخندق، وهو يوم عصيب وصفه الله تعالى في كتابه بأعظم وصف وأشده هولاً، فقد قال جل من قائل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٩-١١].

أرأيت إلى قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ وإلى قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾؛ فهو يصور شدة المعركة وهولها وعظم تأثيرها على المؤمنين؛ فكيف كان رسولنا الأعظم؟ وكيف كان الأطهار صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم؟

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى: «خرج رسول الله ﷺ يعمل في الخندق مع المسلمين يضرب بالفأس، ويجرف التراب بالمسحاة، ويحمل التراب في المكتل، ويرفع صوته مع المرتجزين، وهم يرفعون أصواتهم بالرجز في أثناء العمل، فيشاركهم الترجيع وقد كانوا يتغنون بأغانٍ ساذجة من وحي الحوادث الجارية: كان هناك رجل من المسلمين اسمه جعيل فكره رسول الله ﷺ اسمه، وسماه عمراً، فراح العاملون في الخندق يغنون جماعة بهذا الرجز الساذج:



سماه من بعد جعيل عمراً ●● وكان للبائس يوماً ظهراً

فإذا مروا في ترجيعهم بكلمة «عمرو»، قال رسول الله ﷺ: «عمراً»، وإذا مروا بكلمة «ظهر» قال رسول الله ﷺ: «ظهراً». ولنا أن نتصور هذا الجو الذي يعمل فيه المسلمون، والرسول ﷺ بينهم، يضرب بالفأس، ويجرف بالمسحاة، ويحمل في المكتل، ويرجع معهم هذا الغناء. ولنا أن نتصور أية طاقة يطلقها هذا الجو في أرواحهم؛ وأي ينبوع يتفجر في كيانهم بالرضى والحماسة والثقة والاعتزاز.

وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب. فقال ﷺ: «أما إنه نعم الغلام»! وغلبته عيناه فنام في الخندق وكان القَرُّ[١] شديداً، فأخذ عمارة بن حزم سلاحه، وهو لا يشعر، فلما قام فزع فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا رقاد، نمتَ حتى ذهب سلاحك»! ثم قال: «مَن له علم بسلاح هذا الغلام»؟ فقال عمارة: يا رسول الله هو عندي. فقال: فردّه عليه. ونهى أن يُروَّع المسلم ويؤخَذ متاعه لاعباً!

وهو حادث كذلك يصور يقظة العين والقلب لكل من في الصف صغيراً أو كبيراً. كما يصور روح الدعابة الحلوة الحانية الكريمة: «يا أبا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك» ويصور في النهاية ذلك الجو الذي كان المسلمون يعيشون فيه في كنف نبيهم، في أحرج الظروف. ثم كانت روحه تستشرف النصر من بعيد، وتراه رأي العين في ومضات الصخور على ضرب المعاول، فيحدّث بها المسلمين، ويبث فيهم الثقة واليقين.

قال ابن إسحاق: وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق، فغلظت عليّ صخرة، ورسول الله ﷺ قريب مني. فلما رآني أضرب، ورأى شدة المكان عليّ، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة. قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى. قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى. قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع

---

١ أي: البرد.

المعول وأنت تضرب؟ قال: «أو قد رأيت ذلك يا سلمان»؟ قال: قلت نعم. قال: «وأما الأولى فإن الله فتح عليّ بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق»[٢].

أما أخبار شجاعته في الهول وثباته ويقينه، فهي بارزة في القصة كلها، ولا حاجة بنا إلى نقلها، فهي مستفيضة معروفة. وصدق الله العظيم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثم تأتي صورة الإيمان الواثق المطمئن، وصورة المؤمنين المشرقة الوضيئة في مواجهة الهول، وفي لقاء الخطر. الخطر الذي يزلزل القلوب المؤمنة فتتخذ من هذا الزلزال مادة للطمأنينة والثقة والاستبشار واليقين: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].



لقد كان الهول الذي واجهه المسلمون في الحادث من الضخامة، وكان الكرب الذي واجهوه من الشدة، وكان الفزع الذي لقوه من العنف، بحيث زلزلهم زلزالاً شديداً، كما قال عنهم أصدق القائلين: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾. لقد كانوا ناساً من البشر، وللبشر طاقة لا يكلفهم الله ما فوقها. وعلى الرغم من ثقتهم بنصر الله في النهاية،

---

٢ هناك سياق آخر لهذه الحادثة أخرجه الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنه، انظر (الفتح الرباني) ٢١/٧٨.

وبشارة الرسول ﷺ لهم، تلك البشارة التي تجاوز الموقف كله إلى فتوح اليمن والشام والمغرب والمشرق على الرغم من هذا كله، فإن الهول الذي كان حاضراً يواجههم كان يزلزلهم ويزعجهم ويكرب أنفاسهم.



ومما يصور هذه الحالة أبلغ تصوير خبر حذيفة والرسول ﷺ يحس حالة أصحابه، ويرى نفوسهم من داخلها، فيقول: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة، أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة». ومع هذا الشرط بالرجعة، ومع الدعاء المضمون بالرفقة مع رسول الله في الجنة، فإن أحداً لا يلبي النداء! فإذا عيّن بالاسم حذيفة قال: «فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني»! ألا إن هذا لا يقع إلا في أقصى درجات الزلزلة.

ولكن كان إلى جانب الزلزلة وزوغان الأبصار، وكرب الأنفاس كان إلى جانب هذا كله الصلة التي لا تنقطع بالله، والإدراك الذي لا يضل عن سنن الله والثقة التي لا تتزعزع بثبات هذه السنن، وتحقق أواخرها متى تحققت أوائلها. ومن ثم اتخذ المؤمنون من شعورهم بالزلزلة سبباً في انتظار النصر. ذلك أنهم صدقوا قول الله سبحانه من قبل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. وها هم أولاء يزلزلون، فنصر الله إذن منهم قريب!



ومن ثم قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ... ﴾، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

«هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ»: هذا الهول، وهذا الكرب، وهذه الزلزلة، وهذا الضيق وعدنا عليه النصر، فلابد أن يجيء النصر: «وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» صدق الله ورسوله في الأمارة وصدق الله ورسوله في دلالتها، ومن ثم اطمأنت قلوبهم لنصر الله ووعد الله: «وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا».

لقد كانوا ناساً من البشر، لا يملكون أن يتخلصوا من مشاعر البشر، وضعف البشر. وليس مطلوباً منهم أن يتجاوزوا حدود جنسهم البشري، ولا أن يخرجوا من إطار هذا الجنس ويفقدوا خصائصه ومميزاته، فلهذا خلقهم الله.. خلقهم ليبقوا بشراً، ولا يتحولوا جنساً آخر، لا ملائكة ولا شياطين، ولا بهيمة ولا حجراً، كانوا ناساً من البشر يفزعون، ويضيقون بالشدة، ويزلزلون للخطر الذي يتجاوز الطاقة، ولكنهم كانوا -مع هذا- مرتبطين بالعروة الوثقى التي تشدهم إلى الله، وتمنعهم من السقوط، وتجدد فيهم الأمل، وتحرسهم من القنوط، وكانوا بهذا وذاك نموذجاً فريداً في تاريخ البشرية لم يُعرف له نظير.

وعلينا أن ندرك هذا لندرك ذلك النموذج الفريد في تاريخ العصور، علينا أن ندرك أنهم كانوا بشراً، لم يتخلوا عن طريقة البشر، بما فيها من قوة وضعف. وأن منشأ امتيازهم أنهم بلغوا في بشريتهم هذه أعلى قمة مهيأة لبني الإنسان في الاحتفاظ بخصائص البشر في الأرض مع الاستمساك بعروة السماء. وحين نرانا ضعفنا مرة أو زُلزلنا مرة أو فزعنا مرة، أو ضقنا مرة بالهول والخطر والشدة والضيق؛ فعلينا ألا نيأس من

أنفسنا، وألا نهلع ونحسب أننا هلكنا، أو أننا لم نعد نصلح لشيء عظيم أبداً! ولكن علينا في الوقت ذاته ألا نقف إلى جوار ضعفنا لأنه من فطرتنا البشرية ونصرّ عليه لأنه يقع لمن هم خير منا! هنالك العروة الوثقى: عروة السماء، وعلينا أن نستمسك بها لننهض من الكبوة، ونستردّ الثقة والطمأنينة، ونتخذ من الزلزال بشيراً بالنصر، فنثبت ونستقر، ونقوى ونطمئن ونسير في الطريق.

وهذا هو التوازن الذي صاغ ذلك النموذج الفريد في صدر الإسلام.. النموذج الذي يذكر عنه القرآن الكريم مواقفه الماضية وحسن بلائه وجهاده، وثباته على عهده مع الله، فمنهم من لقيه، ومنهم من ينتظر أن يلقاه:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٤] هذا في مقابل ذلك النموذج الكريه: نموذج الذين ﴿عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ﴾، ثم لم يوفوا بعهد الله: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب: ١٥]»[٣].

وكلما عظم الإيمان في النفوس وانتفى عنها الشرك كان ذلك أدعى لتحقيق الأمن النفسي، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. والظلم المقصود هنا هو الشرك، فمن برئ من الشرك قليله وكثيره تحقق له الأمن المنشود، والصفاء المطلوب.



٣ في ظلال القرآن، ٥/٢٨٤٢-٢٨٤٤.

وصاحب الإيمان العميق الصادق والعواطف الإسلامية الدافقة يكون أهلاً إن شاء الله تعالى للنصر ومَحَلاً له، وتكون نفسه آمنة مطمئنة، كيف لا وهو قد أوى إلى ركن شديد، لكن المصيبة كل المصيبة إذا ضعف الإيمان وحل الجفاف واليبس في نفس المرء، هنا تستبد به الوساوس ويعصف به القلق، ويصبح بمعزل تام عن الأمن النفسي المطلوب، يقول الأستاذ الراشد مبيناً تقصير الدعاة وطلبة العلم في هذه المسألة المهمة -مسألة ارتباط النصر وثبات النفس واستبشارها بعظم الإيمان وتدفق العواطف ووهج المحبة- يقول:

«وكأن النصر حُجب عنا لأننا نادينا من وراء الحجرات، وجهرنا رافعين أصواتنا نوجب على الله لنا النصر بإدلال، نبيعه ونثبت لنا حقاً عاجلاً في الثمن من دون أن نقدم بين يدي بيعنا همساً في الأسحار، ولا الدمع المدرار، إنما النصر هبة محضة يقر الله بها عين من شاء من رجال مدرسة الليل في الحياة الدنيا.. قال ابن القيم:



يحيون ليلهم بطاعة ربهم •• بتلاوة وتضرع وسؤال

وعيونهم تجري بفيض دموعهم •• مثل انهمار الوابل الهطال

في الليل رهبان وعند جهادهم •• لعدوهم من أشجع الأبطال

بوجوههم أثر السجود لربهم •• وبها أشعة نوره المتلالي[4]

---

٤ الرقائق، ٣٣-٣٥.

وليس كمثل العاطفة سلاح فعال يتسلح به العبد لمواجهة الهجمة الشرسة التي تحيط به من كل الجوانب، وهذا أحد الدعاة يتحدث عن أهمية العاطفة الإيمانية وأثرها في النفس وأنها سلاح فتاك لا يملك الأعداء أمامه إلا الخضوع والرضوخ، فيقول عن هذه الأسلحة:

«أسلحة فعالة لا يملك العدو لها ضداً نوعياً يبطل مفعولها، لذلك يقف رغم كل ما يملكه من سلاح وأسباب تدمير مذهولاً عاجزاً عن مواجهة من يمتلك سلاح الإيمان بالله والثقة بنصره، والإصرار على مواصلة دربه والتوسل إلى الله والتذلل بين يديه والتضرع له في الخلوات المفضي بانفجار المآقي بدموع الشوق والرغبة إليه ومناجاته في جوف الليل استدراراً لرحمته، واستمطاراً لـمُزن رضاه[٥]، فقد تجف الأرواح في ميادين الصراع وسُوح[٦] الجدل الفكري والسياسي والمساجلات الإعلامية فينسى المؤمن ما لديه من أسلحة النصر، وقد يغفل أن الدعاء سلاحه ووسيلته مع واهب الوجود، وأن دموع السر تطفئ غضب الرب وتلطف شغاف القلب، وأن التلقين الواعي للنفس بحب الله والقرب منه والتزلف إليه محطات للتزود بالوقود الروحي لدفع «ماكينة» العمل الإسلامي إلى الأمام بخطوات متسارعة تتلاشى معها الألقاب، وتتضاءل لديها الصعاب...

ومن لا يحصن نفسه بالخشوع، ويسقي أشجار محبة الله بالدموع فليس أمامه إلى النكوص والرجوع، والجفاف والركوع أمام أصنام الذات وأوثان الحياة، وتلك هي الطامة الكبرى التي ما فوقها طامة، والكبوة المهلكة التي لا تنفع معها طقوس عبادة جامدة، ولا شكليات صلاة هامدة لا حياة فيها ولا حركة ولا روح...

ذلك أن الجفاف الروحي، والجدب المعنوي، واليبس العاطفي أخطر آفات العمل الإسلامي، التي لو تعرض لها روح الإسلامي العامل لأفقدته أهم قوى الجذب والمغناطيسية والاستقطاب في أمة تطالب الإسلاميين أن يشيعوا في أوساطها الصفاء والنقاء، والتوكل والتعبد والدعاء»[٧].

---

٥ أي: سُحب رضاه، وهو تعبير مجازي.
٦ أي: ساحات.
٧ من مقال «وعي البُعد الغيبي ودوره في حياة العاملين»، مجلة المجتمع ١٣٧٩، رمضان ١٤٢٠.



الشيخ حسن أبو الأشبال

فكّ الله أسره*

هجرة عمرو بن العاص وما فيها من الدروس والعبر



آخر لحظة في الدنيا هي أصعب اللحظات، والموفَّق من ثبّته الله فيها، فأحسن الظنّ بربه، ونطق شهادة التوحيد، ويمثل عمرو بن العاص مثالاً لذلك، ففي آخر لحظاته يلخص مراحل حياته من كفر وبغض للدين والرسول ﷺ إلى حب وإعظام وإكبار للدين والرسول، ثم فتوحات وولايات في ميزان الحسنات، ثم هو على فراش الموت يرجو رحمة الله تعالى، ويوصي بألا يتبع بنار ولا نائحة، وأن يقفوا على قبره مقدار ما تنحر الجزور ليدعوا له بالثبات، وينظر ما يراجع به رسل ربه عز وجل ويستأنس بهم.

---

*المقال مستخلص من خطبة للشيخ حسن أبو الأشبال، بعنوان: وصية عمرو بن العاص، عام ٢٠٠٢م، موقع إلكتروني: الشبكة الإسلامية.

أخرج مسلم في صحيحه من طريق عبد الرحمن بن شماس المهري رحمه الله أنه قال: «دخلنا على عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى حتى علا نحيبه، ثم استدار ناحية الجدار، فقال له ابنه عبد الله: يا أبت! ألم يبشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ ألم يبشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ فقال: يا بني! إن أفضل ما نعد: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإني لعلى أطباق ثلاثة، ولقد رأيتني وما أحد أبغض إليّ من رسول الله ﷺ، ولا أحب إليّ أني استمكنت منه فقتلته، ولو أني مت على تلك الحال لدخلت النار، فلما شرح الله تعالى صدري للإسلام أتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله! ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه فقبضت يدي، قال: مالك يا عمرو؟ قلت: يا رسول الله! أشترط، قال: تشترط بماذا؟ قلت: أشترط أن يُغفر لي. قال: يا عمرو! أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ أما علمت أن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ أما علمت أن الحج يهدم ما كان قبله؟ ولقد كان رسول الله ﷺ أحب إليّ من كل شيء، وما كنت أطيق النظر إلى وجهه، ولو أني سُئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني من النظر إليه ﷺ، ولو مت على تلك الحال لرجوت الله أن يدخلني الجنة، قال: ثم ولينا من هذا الأمر، ولا ندري ما الله صانع بنا فيها، فإذا أنا مت فلا تتبعني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فشنوا عليّ التراب شناً، وامكثوا عند قبري قدر ما تُنحر جَزور ويُقسم لحمها كي أستأنس بكم، وأراجع رسل ربي».



هذا حديث عظيم القدر، جليل الشأن، اشتمل على عدة مسائل في العقيدة والأحكام، حديث صاحبه إمام من أئمة المسلمين في زمن النبوة، إنه عمرو بن العاص، صاحب مصر وواليها وفاتحها في العام الحادي والعشرين، وكان يُلقب في الجاهلية بداهية العرب، كان سيداً ذكياً مطاعاً مجاهداً شجاعاً، أتى إلى مصر وفتحها سلماً أو حرباً، حتى يأتي كل مصري بعد ذلك إلى يوم القيامة في صحيفة حسنات هذا البطل المجاهد، صاحب واحد من أصحاب النبي ﷺ يدخل بسببه ملايين الناس إلى الجنة، وهكذا كان دأبهم رضي الله تعالى عنهم، فقد باعوا أنفسهم وأموالهم بجنة عرضها السماوات والأرض.

هذا البطل لما دخل عليه قومه وأصحابه وهو في لحظة الاحتضار، وفي آخر ساعات حياته قام يبكي؛ لأنه يعلم أنه قادم على الله عز وجل، وراحل عن هذه الدار التي لابد لكل حي أن يرحل عنها.



لما ذهب عمرو ليُسلم، ومدّ يده لمبايعة رسول الله ﷺ، قال: «يا رسول الله! ابسط يمينك فلأبايعك». فلما بسط النبي ﷺ يمينه قبض عمرو بن العاص يمينه ولم يضعها في يمينه ﷺ قال: «ما لك يا عمرو»! قال: «يا رسول الله! أردتُّ أن أشترط». إذا دخلت الإسلام فلي شرط. قال: «تشترط بماذا»؟ «قلت: أشترط أن يُغفر لي».

انظروا إلى ذكاء هذا العاقل، وإلى فطنته، يريد أن يطمئن على نفسه قبل أن يدخل الإسلام،

هل الإسلام يغفر له ما كان منه من بغض النبي ﷺ وآله وأصحابه أم لا؟ أما إذا كان لا يغفر ذلك له فما قيمة أن يسلم حينئذ، ولذلك بشره النبي ﷺ فقال: «يا عمرو ! أما علمت» أي: من أصحابي ومن عموم الرسالة، ومن رحمة الله تعالى، ومن أجواء المسلمين في المدينة أو في مكة «أن الله يغفر لمن أسلم، أما علمت يا عمرو! أن الإسلام يهدم ما كان قبله».

ومعنى: «يهدم» يغفر ويمحو ويزيل كل المعاصي والذنوب السابقة على حياة المرء قبل دخول الإسلام، إذا كنت يا عمرو تعتقد أن الإسلام يجبّ الكفر ويبطل الكفر، فمن باب أولى أن يهدم ما دون ذلك، ولذلك قال له: «أما علمت» أي: بعد أن استفاض ذلك في الناس «أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ أما علمت أن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ أما علمت أن الحج يهدم ما كان قبله»؟


مسجد عمرو بن العاص

فحينئذ قال عمرو بن العاص: «فلرسول الله ﷺ أحب الناس إليّ، وأجلّهم في عيني، وما كنت أطيق أن أنظر إليه إجلالاً ومهابة وتعظيماً، ولو أني سُئلت أن أصفه ما أطقت ذلك؛ لأني ما كنت أقدر أن أملأ عيني منه ﷺ».

هجرة عمرو وبيان أنواع الهجرة في الإسلام وبيان أحكامها



«أما علمت أن الهجرة يا عمرو بن العاص تجبّ ما كان قبلها، وتهدم ما كان قبلها، وتغفر ما كان قبلها»؟

والهجرة هجرتان: هجرة ظاهرة، وهجرة باطنة، ولذلك قال النبي ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

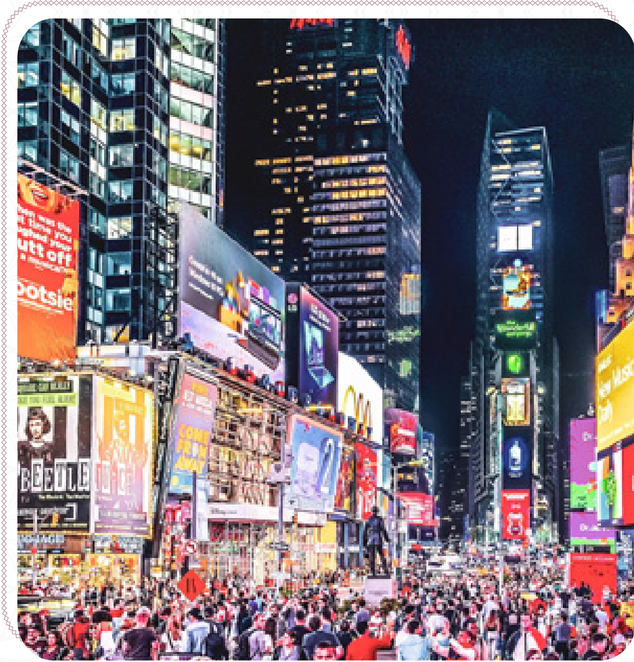
وقال النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكنْ جهادٌ ونيةٌ».

أي: لا هجرة من مكة بعد فتحها؛ لأنها صارت دار إسلام وإيمان، فلا هجرة منها إلى قيام الساعة؛ لأنها لا تكون في يوم من الأيام بلد شرك ولا كفر، إشارة إلى أن مكة وساكنيها بلد إيمان وتوحيد وإسلام إلى قيام الساعة، لا يؤثر فيها كفر ولا شرك بالله تعالى، ولذلك قال: لا هجرة منها. فمن زعم الآن أو بعد الآن الهجرة من مكة بما وقع فيها من شرك أو كفر، فهذا غلو في دين الله عز وجل، ونقض للأدلة بالأهواء والآراء، وهيهات هيهات أن يصح له قول، أو يُقبل منه زعم، فإن مكة بلد حرام إلى قيام الساعة، كما أن المدينة كذلك حرم ما بين عير إلى ثور، حرم ما بين لابتيها.

١ لكن الهجرة الظاهرة باقية ما بقيت الدنيا إلى قيام الساعة من بلاد الكفر والشرك إلى بلاد الإيمان والتوحيد والإسلام.. الهجرة باقية بقاء الزمن، وبقاء الدهر، فيجب على كل من خشي على دينه في بلد كفر أن يهاجر منها إلى بلاد الإيمان والإسلام، التي يأمن فيها على دينه، ولا يزال قوم يلهجون ويهرفون بما لا

يعرفون، يقولون: نهجر بلاد الإسلام والمسلمين إلى بلاد أوروبا وأمريكا؛ لأننا نأمن على ديننا في تلك البلاد!
الجواب: هذا قول بالهوى، والنبي ﷺ قال: «أنا بريء ممن أقام بين ظهراني المشركين» ثلاثاً. فإذا فتحت باب الهجرة إلى تلك البلاد التي هي بلاد كفر وشرك وعصيان لله عز وجل، فيحرم على أبناء المسلمين أن يدخلوا هذا الباب لطلب الدنيا، وطلب الدولار والدينار والدرهم فيها، فإن هذا لا يحل لهم بحال.

أما من ذهب إلى تلك البلاد ليدعو الناس، وليكون سبباً لإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور التوحيد والإيمان فحسن، وقد أرسل النبي ﷺ بعض أصحابه إلى اليمن وإلى الشام.. وغيرهما من البلدان يدعون الناس إلى التوحيد، وترك عبادة الأصنام والأوثان، ومن ذهب للدعوة يشترط ألا يستقر، ولا بأس أن يصحب معه زوجته حتى لا يفتن بالجميلات البيضاوات ذوات الشعور الصفراء، والعيون الزرقاء، فتن عظيمة تعرض عليك هناك بالليل والنهار، فينبغي أن تقضي مصلحتك، ثم تفر بدينك منها، تذكر الناس بين الحين والحين بما أوجب الله تبارك وتعالى عليهم، تدعو الناس إلى الدخول في الإسلام، تدعو المسلمين إلى الالتزام بأحكام شرعهم ودينهم. هذا الذي يجب على الدعاة إلى الله عز وجل.



أما سائر الناس الذين ذهبوا ليطلبوا الدنيا، فما فيهم من خير قط إلا ما ندر، وإذا ذهبت إلى هناك وجدت أن أصحاب الالتزام أقل واحد منهم قد وقع في كبيرة إلا من رحم الله وقليل ما هم، لم؟ لأنه

يحب الدنيا، ويكره الموت، يكره الآخرة ويكره بلاد الإسلام، بلاء عظيم جداً يقع فيه المرء، الهجرة الظاهرة من بلاد الكفر هناك إلى بلاد الإسلام، وبلاد المسلمين، يكفي أنك في بلاد الإسلام تصلي وتصوم، يكفي أنك في بلاد الإسلام تسمع الأذان الذي ربما لا تسمعه في بلاد الكفر أعواماً.



ولقد التقينا برجل -وَقِس عليه آلاف- لم يصلّ الجمعة منذ سبعة عشر عاماً، أين هذا من الدين؟ والنبي ﷺ يقول: «مَن ترك الجمعة ثلاث مرات طبع الله على قلبه». أما يخشى من هذا الوعيد؟ هذه هجرة ظاهرة انقطعت من مكة بفتحها، ولم تنقطع من بلاد الكفر إلى بلاد الإيمان إلى قيام الساعة.

٢ جاء عند البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر مَن هجر ما نهى الله عنه».

وعند أبي داود: «والمهاجر مَن هجر ما حرم الله عليه». وعند أحمد في مسنده: «والمهاجر مَن هجر السيئات».

وهذه هي الهجرة الباطنة، ربما تظاهر المرء بترك السيئات إذا اطّلع عليه الناس، ويتظاهر بالورع والخشوع والإقبال، وإذا خلا بالله عز وجل انتهك محارمه.

فالهجرة الحقيقية أن تصدق في ترك المعاصي وهجران السيئات فيما بينك وبين الله عز وجل، قال ذلك النبي ﷺ حتى لا يتكل أصحابه الذين هاجروا مرة إلى الحبشة، ومرة إلى المدينة، لا يتكلوا على الهجرة الظاهرة، وليعلموا أن الهجرة لا تتم وتكمل إلا بهجر الذنوب والمعاصي.

أو أن النبي ﷺ قال ذلك تطييباً لخاطر أصحابه الذين لم يهاجروا من مكة إلى المدينة.. أو غيرها من بلاد الكفر إلى بلاد الإيمان، أن الهجرة الحقيقية الكاملة التامة هي أن تهجر المعاصي، وأن تهجر الذنوب إذا ما دعاك إلى ذلك الشيطان، أو النفس، أو الهوى، أو الدنيا الفانية.

«إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

فلابد أنك راحل عنها اليوم أو غداً، فأعدّ لنفسك يا ذكي ما ينفعك ما بين يدي الله عز وجل من عمل صالح قلبي، أو من أعمال الجوارح.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]. تبيضّ وجوه أهل السنة والجماعة، وتسودّ وجوه أهل الضلال والكفر والبدع على اختلاف أنواعها وأشكالها.



وليد الهويريني
فك الله أسره*

ترشيد فقه الجهاد
المقاومة الفلسطينية نموذجاً

تميز تجربة المقاومة الإسلامية الفلسطينية بمميزات كثيرة، وإذا استثنينا تجربة خطّاب في الشيشان فإن تجربة المقاومة الفلسطينية تميزت بخصائص نوعية مكنتها من البقاء والجهاد في ظروف أسوأ بمراحل من تلك التي عاشتها بعض التجارب الجهادية المعاصرة، يمكننا أن نلخص هذه الميزات في التالي:

أولاً: تغلغل المقاومة الفلسطينية في النسيج الاجتماعي الفلسطيني، مما جعل الصهاينة وحلفاءهم يعجزون عن دق إسفين بين المقاومة والمجتمع، وقد تحدّث أحد الباحثين الصهاينة أن الغلالة التي تفصل المقاومة عن مجتمع غزة غلالة رقيقة لا يمكن رصدها بسهولة فضلاً عن عزلها وفصلها.

---

* وليد الهويريني، الحراك الفكري السعودي، ط١ (لندن: تكوين للدراسات والأبحاث، ٢٠١٦م)، ص٣٢١ وما بعدها.

وهذا المكسب الاستراتيجي الهام لأي حركة مقاومة لا يمكن تحقيقه باستنفار مقاتلين من شتى أنحاء العالم الذي يأتي كل واحد منهم بخلفية ثقافية وفكرية مختلفة عن أهل البلد، فيحصل من المشاكل والخلافات مع النسيج الاجتماعي الحاضن للمقاومة ما يزرع بذور الانفصال بين المقاومة وحاضنتها، بما يسهل للعدو القضاء عليها وإبادتها، ومن هنا فلا بد أن تكون راية الجهاد والمقاومة في البلاد التي تتعرض لغزو خارجي هم أهل البلد ذاته.

وهذا المطلب ليس له علاقة كما يظن بعض الجهاديين بالتأثر بالعامل القُطري الذي لا يلتفت لروابط الأخوّة الإسلامية بين المسلمين من أي البلدان كانوا، وإنما هو من صميم السياسة الشرعية وفقه الجهاد الذي عُرف بالتجربة والممارسة ومعطيات الواقع المعاصر، الذي يجعل من المقاومة عصية على الاستئصال من الأعداء بإذن الله.

- **الثاني: تجنُّب تدويل المقاومة ونقل الحرب خارج البلد المحتل.**

لا سيما إذا ترتب على ذلك حشد الدول الكبرى ضد القضية وأنصارها، وقد جربت التنظيمات اليسارية الفلسطينية هذا الخيار في الستينيات وثبت فشله، كما أن من شأن تدويل نطاق العمل الجهادي ضرب شبكات الدعم اللوجستي من أنصار المقاومة في أنحاء العالم؛ لأن هذا يوفر لها هامشاً معقولاً للحركة والدعم.



- **الثالث: تبعية العمل الجهادي للقيادة السياسية، وإن شئت فقل: انسجامهما وتناغمهما على الأقل.**

إن ميزة القيادة السياسية الراشدة أنها تستثمر تضحيات المقاومة المجاهدة بما يخدم القضية ويعزز دورها، ويجعل من العدو المتضرر من النكاية الجهادية والعمل الحربي عنواناً يمكنه الذهاب إليه والتفاوض معه. إن إحدى أكبر فجوات الثورة السورية الانفصام بين القيادة السياسية والجماعات الجهادية؛ فالقيادة السياسية نخبوية ليس لها وجود على الأرض، والجماعات الجهادية فاعلة على الأرض ولكن ليس لها عنوان سياسي يمكن للدول أن تفاوضه وتتعامل معه، وهذا أحد أسباب تفاقم الأزمة السورية.

- **الرابع: فقه التدرج في الإصلاح والتغيير وفي التعامل مع شرائح المجتمع.**



فلم تَعمد لتطبيق الشريعة الإسلامية في أماكن نفوذها، ليس بسبب زهدها في هذا -وهو الأمر الذي ترتب عليه تشنيع وتضليل السلفية الجهادية للمقاومة بسبب ذلك- وإنما لإدراكهم أن هذا الواجب الشرعي مناط بالقدرة والتمكين. وأي قدرة وتمكين لشعب لا يجد الخبز الذي يأكله والماء الذي يشربه إلا بشق الأنفس، فضلاً عن قوى دولية وإقليمية وفلسطينية تتربص بالمقاومة، وإذا أضيف لذلك شعب مع فضله وجهاده مثل معظم الشعوب العربية عاش لأكثر من نصف قرن تحت احتلال صهيوني عاشم وتجهيل وتغريب ثقافي كبير.

- **الخامس: إتقان المقاومة لفن تحييد الأعداء ما أمكن ذلك.**

إن سجلّ الخيانات الفلسطينية والعربية تجاه المقاومة الفلسطينية كثيرة جداً، وصلت للتعاون مع الصهاينة لتصفية رموزها، وفي أحيان أخرى يتولى هؤلاء الخونة أنفسهم مهمة اعتقال أو تصفية رجالات المقاومة، ومع ذلك فقد كانت المقاومة تتسامى على جراحها ما أمكنها ذلك. وتأمّل كيف نجحت المقاومة في إدارة علاقة معقولة مع نظم عربية مطبعة مع إسرائيل وبعضها أصبح ينسق معها أمنياً، ومع ذلك أدركت المقاومة أن هذا الواقع المرير والمؤلم ربما يتحول لواقع أكثر مأساوية إن فتحت المقاومة على نفسها جبهة جديدة لا قِبل لها بها.

- **السادس: النأي عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية.**



فالمجتمعات العربية والإسلامية تعتبر الحديقة الخلفية للمقاومة، والاشتباك مع النظم السياسية يؤدي لتقليص هامش الحركة لأنصار وداعمي المقاومة من عامة العرب والمسلمين، وقد نجحت المقاومة بسبب هذه السياسة في إيجاد هامش معقول لأنصارها وداعميها؛ حيث نالت ثقة بعض النظم العربية بشأن التزامها بقضيتها والنأي عن التدخل في الشؤون الداخلية لهذا البلد أو ذاك.

- **السابع: الحزم ضد جماعات الغلو الديني والتصدي للتبشير الصفوي.**

بعد سنوات من تعيير المقاومة بأنها تساهلت مع إيران بسبب ظروف اضطرارية أملتها الضرورة في العقدين الماضيين، لم ينجح الإيرانيون في التبشير بمذهبهم في الداخل الفلسطيني مع بقاء صلتهم ببعض الجماعات مثل جماعة الجهاد، ولكنك لا ترى حضوراً يذكر للتشيع في فلسطين في نفس الوقت الذي رصدت حركة تشيع ملموسة في بعض البلاد العربية العلمانية مثل تونس في عهد زين العابدين بن علي.

ومن جهة أخرى فلم تسمح المقاومة بأن تختطف تنظيمات الجهاد العالمي راية المقاومة؛ لعلمها بالمآلات الكارثية التي يمكن أن تحل بالمقاومة لو دخل هذا الفكر وأصبح له حضوره القوي في الداخل الفلسطيني، وهذه الفطنة غابت عن الجماعات والشيوخ الذين تساهلوا أو تأخروا في اتخاذ مواقف حازمة وحاسمة من جماعات الغلو في العراق والشام في بدايات ظهورها، رغبةً في تأليف أفرادها، وقد أثبتت هذه السياسة المتراخية فشلها الذريع وعاقبتها الوخيمة في كل ميادين المقاومة والجهاد.

تلك الخصائص النوعية والمزايا التجديدية التي ذكرتها على سبيل التمثيل لا الحصر، ربما اعتبرها البعض عيوباً ومثالب أو انحرافات وضلالات، وهذا بالنسبة لي غير مستغرب فالذي يعيش في عالم المثل والنماذج دون أن يغوص في واقعنا المعاصر مع إدراك عميق لحجم القعر الحضاري الذي هوت فيه الأمة منذ أكثر من قرن، لن يدرك أهمية فقه السياسة الشرعية في الواقع، ولن يزيده الفشل إلا إصراراً على منهجيته السابقة لأنه تعود دائماً وأبداً أن يعزو الفشل والهزيمة لكل أحد سوى جماعته وأفكاره.

فتارة يوقع باللائمة على الغرب وأذنابه ولا أدري هل توقع من عدوه غير ذلك، وتارة يلقي بالمسؤولية على تخاذل العلماء والدعاة بحجة عدم تبنيهم لرأيه، ولا أدري هل كان ينتظر أن يقف

العلماء عند رأيه الذي لم يشاورهم فيه، وتارة ثالثة يلقي بالمسؤولية على الشعوب السادرة في غفلتها وشهواتها التي نكصت عن نصرته ضد عدوها، ونسي هذا الفاضل ومن يرى رأيه أنه كان من المفترض منذ اللحظة الأولى عند صياغة مشروعه للتغيير أن يضع ذلك كله في حسبانه.



نعم.. على المصلح والمجاهد أن يضع في حسبانه وهو يصوغ منهجيته وخطته هذا الواقع المعاش.. هذا الغرب ببأسه وإجرامه ونفوذه.. وهذا الاستبداد بجلاوزته وطغيانه.. وهذه الأمة بما فيها من الأخيار والأنقياء والصلحاء، وهم الأكثر إن شاء الله وبما فيها من الفجار والخونة والعملاء.

كما لا يفوتني التنوية بأني ذكرت المقاومة الفلسطينية كحالة يمكن الاستفادة من تجربتها وليس استنساخها؛ فهي ستظل برغم مزاياها تجربة بشرية لها نجاحاتها ومميزاتها كما أن لها إخفاقاتها وسلبياتها.

ولعل من نافلة القول في نهاية هذا المبحث الشاق أن ما ذكرته في ثناياه من رؤية متواضعة يراد بها هذه المرحلة الزمنية بظروفها الاستثنائية التي نعيشها والفوضى العارمة التي تدهم بلدانها ففي ظني أن العرب يعيشون حقبة لم يشهدوها منذ أكثر من ٦٠ عاماً، ولهذه الظروف متطلباتها وأحكامها، ولعل الله أن ييسر في قادم الأيام الكتابة في هذا المجال إن شاء الله تعالى بشكل موسع.



أ. د. عبد العزيز بن فوزان الفوزان

فك الله أسره*

هذا ما يجب عليك نحو غزة

إن فلسطين المباركة أرض إسلامية خالصة، فهي موطن أبينا إبراهيم، ومولد عيسى، ومستقر موسى، ومسرى محمد، ومجمع الأنبياء والمرسلين، عليهم أفضل الصلاة والتسليم؛ فقد جمعهم الله تعالى خلف محمد عليه الصلاة والسلام ليصلي بهم ليلة الإسراء والمعراج في تلك الرحلة الربانية التي نقلته من مكة إلى القدس ثم إلى السماوات العلى، وكان لهذه الرحلة وهذا الجمع المبارك معانٍ عظيمة، ودلالات كثيرة، ومنها:

---

* عبد العزيز بن فوزان الفوزان، مقال بعنوان: عام على العدوان وما زال الحصار، منشور عام ٢٠١٠م.

أن الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير، لتربط بين الأماكن المقدسة للرسالات السماوية، ولتعلن وراثة الرسول الخاتم ﷺ لمقدسات الرسل قبله، وارتباط رسالته بها جميعاً، وأنه وأتباعه أولى بتلك الرسالات السماوية القائمة على توحيد الله تعالى، وإخلاص العبودية له من أتباعها الذين حرفوها، وأدخلوا فيها من المحدثات والشركيات ما يتنافى وحقيقتها والمقصود منها.

ومنها: أن النبي ﷺ هو سيد المرسلين وإمامهم، ودينه هو الدين الخاتم المهيمن على الأديان كلها، والناسخ لما سبقه من الشرائع والمناهج ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومن هذه الدلالات أيضاً: أن الأنبياء وإن اختلفت شرائعهم فإن دينهم واحد، ودعوتهم واحدة، فكلهم يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وكان كل رسول يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ولهذا أمرنا الله تعالى بالإيمان بجميع الأنبياء ومحبتهم وموالاتهم، كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وإذا كان اليهود يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام، والنصارى يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام، فنحن أولى بموسى وعيسى منهم لأننا وإياهما على طريق واحد، ودين واحد، أما هؤلاء اليهود والنصارى فقد بدّلوا وحرّفوا وجعلوا موسى وعيسى إلهين من دون الله، ونقضوا العهد والميثاق الذي أخذه عليهم موسى وعيسى أن يتبعوا محمداً عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦]، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك: فقالوا هذا يوم عظيم نجى الله فيه موسى وقومه، وأهلك فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال عليه الصلاة والسلام: «نحن أحق وأولى بموسى منكم» فصامه وأمر الناس بصيامه.

فلسطين أرض إسلامية خالصة

فإذا كان اليهود يزعمون أن لهم حقاً في فلسطين لأنها مهاجر نبيهم موسى، وأنه قد وعدهم بها، فإننا أحق بها لأننا أتباعه على الحقيقة، وأتباع إبراهيم وعيسى ومحمد وسائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ونحن موحدون دعاة إلى التوحيد كما كان الأنبياء جميعهم كذلك، ولأجل هذا فإن



فلسطين المباركة أرض إسلامية خالصة، والمسلمون أحق بها بتوريث الله إياها لهم. وهذه حقائق ثابتة تدمغ كل الدعاوى الباطلة التي يتمسك بها الصهاينة المحتلون لتبرير احتلالهم لديارنا ومقدساتنا في فلسطين.

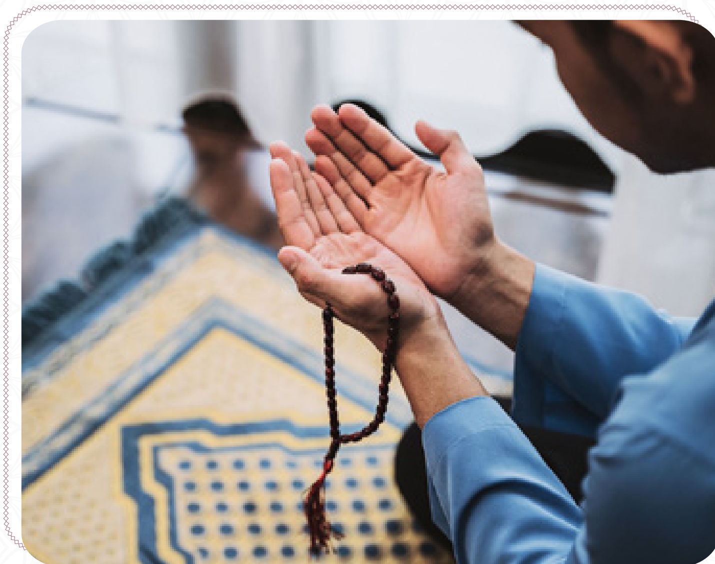
 ففلسطين المباركة حق لجميع المسلمين، وتحريرها والدفاع عنها ليس واجباً على الفلسطينيين وحدهم، بل هو واجب على كل المسلمين، ولئن حاز إخواننا في فلسطين قصب السبق في الدفاع عن هذه الأرض المباركة، وضربوا أروع الأمثلة في التضحية والفداء، والصبر والمصابرة، والجهاد والمرابطة، وتحملوا آلام الحصار والتجويع، وويلات القصف والتدمير، وآهات الملاحقة والتقتيل، ومرارات الترويع والتخويف، فإن واجباً علينا جميعاً أن نسعى لرفع الظلم عن إخواننا، وأن نبذل كل ما نستطيع لنصرتهم ومواساتهم، وكسر شوكة أعدائهم، وإفشال مخططاتهم لتركيع المسلمين والهيمنة على بلادهم.



ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أن جعلهم إخوة متحابين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وهذه صيغة حصر وقصر، والمعنى: أنه لا أخوّة صادقة بلا إيمان، ولا إيمان صادق بلا شعور بالأخوّة للمؤمنين، وقيام بحقوقهم، فمحبة المؤمنين وموالاتهم دليل على صحة الإيمان، وهي من لوازم محبة الله تعالى، فالمؤمن الصادق يحبّ الله تعالى ويحب من يحبّ الله من أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين كما

قال ربنا عز وجل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٦٥]. فأخبر سبحانه أن ولي المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنون، وهذا عام في كل مؤمن سواء كان من أهل قرابته أو بلده أو جنسه أو لغته أو مذهبه أو لم يكن.

وقد أكد النبي ﷺ هذه الحقيقة في أحاديث كثيرة، وبيّن أن «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً» وشبّك بين أصابعه، وجعل المؤمنين مهما اختلفت أوطانهم، وتباينت أجناسهم ولغاتهم كالجسد الواحد «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». بل قال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1]. فدل ذلك على أن كمال الإيمان الواجب لا يتم إلا بهذا، وأن يأتي المسلم لأخيه المسلم بمثل ما يحب أن يأتي به إليه. هكذا أراد الله للمسلمين أن يكونوا إخوة متآلفين، متعاونين متكاتفين، متواصلين متراحمين.



بل لقد جعل الله حقاً على كل مسلم أن يدعو لإخوانه المسلمين، وعباد الله الصالحين، في كل صلاة يؤديها فريضة كانت أو نافلة، وذلك حين يجلس للتشهد فيقول في أثناء تشهده: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، فهو يدعو لكل عبد صالح: سابق أو حاضر أو لاحق في السماء أو في

١ متفق عليه.

الأرض، من الإنس أو الجن أو الملائكة. وكم يجيش في النفس من مشاعر الفرح والغبطة، والسرور بهذه النعمة، حين يتذكر المسلم أنه ما من مصل على وجه الأرض إلا ويدعو له، ولإخوانه المسلمين في صلاته.

وقد مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكَّل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل». فيا له من فضل عظيم، ما من خير تدعو به لأخيك المسلم إلا كان لك من الخير مثله، مع ما لك من أجر الدعاء، وأجر النصح لأخيك والإحسان إليه بالدعاء له.



ومن أعظم حقوق الأخوة: حق المواساة والنصرة، يقول النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه». أي إلى عدوه. وزاد في رواية: «ولا يخذله». أي: لا يترك نصرته في موطن يحتاج فيه إلى النصرة والمواساة، «من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: «تحجُزُه [أي تمنعه] من الظلم، فإن ذلك نصره»[٣].

---

٢ متفق عليه.
٣ رواه البخاري.

أنواع مواساة المسلمين

والمواساة للمؤمنين أنواع كثيرة: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة لهم، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعم السياسي والمعنوي، ومواساة بالتعريف بأحوالهم ونصرة قضاياهم، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم ومشاركتهم في آلامهم وآمالهم، وكلٌّ ميسر لما خلق له، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت ٦٩]؛ فمن صدق مع الله، وجاهد في سبيله مخلصاً له سبحانه وفقه وهداه، ويسر له سبل الخير والبر، وفتح له أبواب الجهاد والنصر، ومن ظل يضرب كفاً بكف، ويكتفي بالتحزن والتلمظ، ويعتذر لقعوده عن النصرة والمواساة بأنه لا يقدر أن يفعل شيئاً فليراجع إيمانه، وليعلم أن في إخلاصه خللاً. يقول ابن القيم رحمه الله: «وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوى قويت. وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له».

هكذا يتحدث المخذّلون

إن الشعور بهذه الأخوّة، والقيام بحقوقها منبعه ودافعه هو الإيمان، وكلما كان الإنسان أكثر إيماناً، كان أكثر محبة للمسلمين، ونصحاً لهم، وحدباً عليهم، واهتماماً بشأنهم، وسعياً في مناصرتهم ومواساتهم. وإذا ضعف الإيمان في النفوس، استحكمت الأنانيات، وعظم حب الذات، وأصبح الإنسان



حبيس مصالحه الشخصية، ومنافعه الذاتية العاجلة، لا يرى غير نفسه، ولا يشعر بحق إخوانه عليه، ولا يكترث بما يحل بهم من مصائب ونكبات، كأنه لا تربطه بهم رابطة، ولا تجمع بينه وبينهم صلة، وليس لهم عليه حقوق ولا واجبات، فهو معزول عنهم لا يهتم بشئونهم، ولا يعلم شيئاً عن أحوالهم، بل لا يريد أن يعلم، فضلاً عن أن يتألم لآلامهم، ويشارك في نصرتهم، ودفع الأذى والظلم عنهم. ولهذا نجد بعض الناس ممن رقّ دينهم، وضعف إيمانهم، يتأفف ويتبرم، حين يُحدَّث عما يحصل للمسلمين في فلسطين أو غيرها، ويقول بلسان حاله وربما مقاله: ما لنا ولهم؟ لسنا مسئولين عنهم، ولسنا مكلفين بهم أكلما حصل شيء للمسلمين هنا أو هناك جئتم تزعجوننا بأخبارهم وتصيحون بنا لنصرتهم ومواساتهم؟! هكذا يتكلم ضعاف الإيمان، وبمثل هذا يتفوهون، كبرت كلمة تخرج من أفواههم لو كانوا يعقلون، أين أخوة الإيمان؟ أين الأمة الواحدة؟ أين الشعور بالجسد الواحد؟ أين البنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضاً؟

كم يستغيث المستضعفون وهم •• قتلى وأسرى فما يهتزُّ إنسان

ما ذا التقاطع في الإسلام بينكمُ •• وأنتمُ يا عباد الله إخوانُ

ألا يعلم هؤلاء المقصرون في حق إخوانهم أن الله ابتلى أولئك بالمصائب ليصبروا ويثبتوا ويجاهدوا، وابتلانا بالنعم لنشكر وننصر، ونعين ونواسي، ونجاهد بأموالنا وألسنتنا ودعواتنا وعقولنا ومشاعرنا؟

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]؛ فالله تعالى قادر على أن يهلك الظالمين في لحظة، ويأخذهم على حين غِرة، ولكنه ابتلى بهم أهل الإيمان ليعلم المجاهد الصابر من القاعد الخامل، والمؤمن الصادق من الدعي المنافق: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وإن صفو العيش لا يدوم، ومتاعب الحياة وأرزاؤها ليست حكراً على قوم دون قوم، وإن حساب الآخرة لعسير، وخذلان المسلم شيء عظيم خطير، ولله در القائل:

يا راقد الليل مسروراً بأوله •• إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً

أما المسلمون فلا بواكي لهم



ولقد هان المسلمون أفراداً، وهانوا شعوباً، حين ضعفت فيهم أواصر الأخوّة، ووهنت فيهم حبال المحبة والمودة، وقصّروا في نصرة بعضهم بعضاً، وقعدوا عن القيام بحقوق بعضهم على بعض، فزالت هيبتهم وديست كرامتهم، وطمع فيهم أعداؤهم، وانتهكت حرماتهم، واستلبت خيراتهم، واحتلت ديارهم بلداً إثر بلد، وحالهم يقول: أكلت يوم أكل الثور الأبيض! وصاروا يعيشون على هامش الحياة لا قيمة لهم ولا وزن، وأصبح دم المسلم أرخص الدماء، وحماه مباحاً لكل دعي ودخيل.

حين يقتل يهودي أو نصراني، أو بوذي وثني، تقوم الدنيا ولا تقعد، وترغى وتزبد، وتبرق وترعد، وتحرك الهيئات والجمعيات الدولية، والمنظمات الأهلية والحقوقية، وتستنفر وسائل الإعلام، ويُعبأ الرأي العالمي لاستنكار ما حدث، وللثأر ممن قتل. أما إخواننا في فلسطين فلا بواكي لهم، يباد شعب بأكمله، ويشرد عن وطنه، وتنتهب خيراته، وتستباح حرماته، فلا تكاد تسمع منكراً، أو تجد ناصراً، وصار الحال كما قال الشاعر:

قتْلُ امرئ في غابةٍ جريمة لا تغتفر •• وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر

وليس الحال في العراق وأفغانستان ومناطق أخرى من بلاد المسلمين ببعيد عما يحصل لإخواننا في فلسطين، وهذا كله يحدث أمام سمع العالم وبصره، من غير أن يحرك ساكناً، أو يهبّ لنجدة المظلوم، وإنقاذ الأبرياء من النساء والرجال، والشيوخ والأطفال، سوى جهود فردية متناثرة، وأصوات عاقلة منصفة، لكنها خافتة لا تكاد تُسمع!! فإلى الله نشكو ضعفنا وهواننا على الناس، وإليه نشكو تفرقنا وتسلط بعضنا على بعض.

في سنة ثلاث وعشرين ومئتين هجم ملك الروم على بلاد المسلمين، وأخذ يُعمِل السيف فيهم قتلاً وإحراقاً وتشريداً، ووقعت امرأة من المسلمين في الأسر، فأخذت تنادي بأعلى صوتها **«وامعتصماه»** فلما وصل نداؤها إلى الخليفة العباسي المعتصم بالله، هب لنجدتها، وأقسم بالله لا ينام على فراش



حتى يؤدب الروم وينتصر لتلك المرأة الأسيرة، فجهز جيشاً عرمرماً قاده بنفسه، وكان المنجمون يحثونه على الانتظار، لأن الزمن ليس زمن نصر، فلم يعبأ بقولهم، وتقدم بجيشه اللجب حتى كسر شوكة الروم، وردهم على أعقابهم خاسرين، وفتح أكبر حصونهم وهو حصن عمورية، وأقام بها خمسة وعشرين يوماً، ثم رجع منصوراً مظفراً سالما غانماً حتى كادت الإبل تعجز عن حمل الغنائم والأسلاب، فأنشد أبو تمام:

السيف أصدق أنباءً من الكتب .. في حده الحد بين الجد واللعبِ
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به .. نظم من الشعر، أو نثر من الخطب
أين الرواية، بل أين النجوم وما .. صاغوه من زخرف فيها ومن كذب



إننا لسنا ننتظر من أعدائنا أكثر مما يفعلون بنا، من ظلم وعدوان، وتواطؤ علينا، أو تجاهل لقضايانا، وسكوت عما يفعل بإخواننا في فلسطين أو غيرها، فهم أعداؤنا، لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، ولا يرعون لمسلم عهداً ولا حرمة، وليس أبلغ من قول الله تعالى عنهم ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]. وقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]. إنهم لن يرضوا عنا مهما تنازلنا لهم، وخضعنا لهيمنتهم، وسكتنا عن ظلمهم وابتزازهم، إنهم لن يرضوا عنا إلا أن نترك ديننا ونتبع ملتهم، وصدق الله إذ يقول ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟﴾ [البقرة: ١٢٧]، وكيف يجوز لنا موالاتهم، والركون إليهم، والثقة بهم والله تعالى يقول ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

ولسنا ننكر وجود منصفين ومتعاطفين من اليهود والنصارى وغيرهم، وأنهم لا يرضون بما يفعله الصهاينة وحلفاؤهم من ظلم عظيم، وعدوان صارخ على أهلنا في فلسطين، ولكن وجود أمثال هؤلاء

المنصفين المتعاطفين مع كثرتهم لا ينفي حقيقة مهمة لا يجوز نسيانها أو التغافل عنها في ظل هذا الصراع المكشوف، والحرب الشرسة التي يشنها علينا أعداؤنا، وهو أن تلك الدول التي تعلن الحرب علينا نحن المسلمين، وتسعى بكل الوسائل لتحقيق أطماعها، وفرض هيمنتها لا يمكن أن يردعها عن ظلمها وعدوانها إلا تمسكنا بعقيدتنا وهويتنا الإسلامية، وأخذنا بأسباب القوة، وتوحيد صفوفنا، وأن يكون لدينا ثقة بالنصر، وإرادة قوية تكون عصية على الخنوع والركوع، أبية على الذل والانكسار، وأن نحذر من الركون لهؤلاء الأعداء والثقة بهم، وأن نعلم أنهم وإن أظهروا شيئاً من التعاطف والتأييد أحياناً فإنما يفعلون ذلك خداعاً وتمويهاً، وذراً للرماد في العيون، وامتصاصاً لحمية المسلمين وغضبتهم لإخوانهم المستضعفين، وحتى يكون لهم يد في صناعة الأحداث وتوجيهها بما يخدم مصالحهم ويحقق أهدافهم.



ومن وسائلهم الخبيثة في هذه الحرب الظالمة: قلب الحقائق، وتشويه الواقع، فيجعلون الغاصب المعتدي مظلوماً مقهوراً، وعلى استخدام السلاح مكرهاً مجبوراً، وأما الضحية المظلوم فهو مستفز ظلوم، وإذا استغاث أو صاح بقاتله أو حاول الدفاع عن نفسه فهو إرهابي مجرم، ولهذا نجدهم يخون باللائمة على أطفال الحجارة وشباب الانتفاضة، ويغضون الطرف عن اليهود المغتصبين المدججين بأنواع الأسلحة الفتاكة في البر والبحر والجو، من طائرات وبارجات ومدافع ودبابات،

ويسكتون عن قتل الأطفال والشيوخ والنساء، وهدم البيوت على رؤوس الأبرياء، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فأخذوا يبررون للمجرم إجرامه، ويلتمسون له المعاذير، ويمنعون حتى من إدانته والإنكار عليه.

ماذا فعلنا نحن المسلمين لإخواننا هناك؟



هكذا يفعل أعداء الإسلام والمسلمين بأهلنا في فلسطين، وفي مناطق أخرى من بلاد المسلمين!! والشيء من معدنه لا يُستغرب، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: ماذا فعلنا نحن المسلمين لإخواننا هناك؟ وهل ندرك أن الحرب عليهم هي حرب على الإسلام والمسلمين؟ وأن مدافعتهم لأولئك الأعداء حماية لبيضة الإسلام ودفاع عن بلاد المسلمين؟ وأنهم -لا سمح الله- لو هُزموا أمام أولئك الأعداء فسينقضون على بقية البلاد يقضمونها بلداً إثر بلد، حتى يعيدوا تقسيم خريطة المنطقة من جديد، ويضمنوا بتفتيتها تركيعها، واستمرار تبعيتها وخضوعها لهم؟ أليس هذا هو ما صرح به زعماؤهم أكثر من مرة؟ وكشفته مخططاتهم السرية والعلنية!! فهي حرب مكشوفة، ومخططات مفضوحة، فهل نتفرج على إخواننا وهم يهانون ويذبحون، وننتظر دورنا في الإهانة والذبح!!

لا يصح أن نلقي بالمسؤولية على الحكام والعلماء وحدهم، وإن كانت مسؤوليتهم أكبر من غيرهم، كل منا يجب أن يسهم في النصرة والمدافعة، فهو واجب شرعي على المسلمين جميعاً، كل بحسب موقعه ومكانته، وعلى قدر استطاعته وقدرته. إننا نستطيع الكثير الكثير، وواجب علينا مواساة إخواننا وإعانتهم بكل ما

نقدر عليه من عون مادي ومعنوي، وذلك بالتعرف على أخبارهم، ومعايشة آلامهم، والتضامن معهم، وشرح قضيتهم، والمطالبة بحقوقهم، ودفع الظلم والضرر عنهم عبر وسائل الإعلام المختلفة، وعبر المؤتمرات والمنظمات التي تعنى بحقوق الإنسان.

 ومن نصرتهم: الإلحاح بالدعاء لهم والدعاء على أعدائهم، فإن الدعاء سلاح المؤمن، وعدته في الشدة والرخاء:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه •• وما تدري بما صنع الدعاءُ
سهام الليل لا تخطي ولكن •• لها أمد وللأمد انقضاءُ

وقد ظل النبي ﷺ يقنت شهراً في الصلوات المكتوبة يدعو على أحياء من العرب قتلوا بعض أصحابه عليه الصلاة والسلام.



ولا يخفى على أحد حاجتهم الماسة إلى الدعم المادي، لتأمين الغذاء والكساء والدواء والمأوى، ومعالجة الجرحى والمرضى، وكفالة الأيتام والأرامل والمشردين، والجهاد بالمال مقدم في آيات كثيرة من كتاب الله على الجهاد بالنفس، فلا تبخلوا على أنفسكم وإخوانكم، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

وأضم صوتي بهذه المناسبة إلى صوت الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بمطالبة منظمة المؤتمر الإسلامي التي تمثل الدول الإسلامية بالعمل على فتح فرع للمنظمة في غزة بحيث ترصد منه وإليه كل شئون الدعم المالي والعيني باسم المنظمة، للخروج مما يسمونه زوراً وبهتاناً (تمويل الإرهاب)، وتفعيل دور هذا الفرع ليكون عين المنظمة على ما يجري من أحداث هناك، وتخصيص حملات إغاثة شهرية باسم المنظمة، وبغطاء من منظمة الأمم المتحدة، في حال صعوبة فتح المعابر الحدودية لغزة المحاصرة... ومن المؤسف أن تكون دولنا الإسلامية والعربية جزءاً من هذا الحصار، فتقوم هي بنفسها بمنع التحويلات الإغاثية وغلق الحدود والمعابر بحجة الاتفاقات الدولية والقوائم الإرهابية الأمريكية!! وكأن المجازر اليهودية في الداخل هي غاية الالتزام والانصياع للشرعية الدولية والمقتضيات الإنسانية!! وكأن الذين يموتون هناك من جراء هذا الحصار مخلوقات قادمة من المريخ لا تمت لنا ولا للبشرية بصلة!!

كما نطالب الدول الإسلامية التي تتشكل منها هذه المنظمة ببذل جهدها في فتح الباب واسعاً بلا عوائق أمام جميع الأعمال الإغاثية والمؤسسات الخيرية من كل بلد وجنس دون قيود؛ لتقوم بدورها الإنساني في إغاثة المنكوبين، وأن يشمل تسهيل الحركة المالية والتحويل بين الحسابات من غزة وإليها، ونهيب بالمنظمة وأعضائها من الدول الإسلامية أن توفر الغطاء السياسي والعملي لمثل هذه التحركات والتمويلات، وأن تعمل على كف حملات المنع والتضييق والمراقبة المعوقة، وأن يتم ذلك سريعاً دون إبطاء ودون انتظار لإذن أحد... وليس من المنتظر في مثل هذه الأحداث الدامية أن تقتصر المنظمة على الشجب والتنديد والإدانة والاستنكار، وغير ذلك من وسائل أثبتت سبعون عامًا من معاناة فلسطين أنها وحدها لا تغني فتيلاً، بل الواجب والمأمول أن يكون لمنظمة بهذا الحجم تمثل العالم الإسلامي كله موقف عملي ينعكس على أرض الواقع، ويحس بأثره المباشر إخواننا في قلب غزة المحاصرة».

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].



الشيخ محمد صالح المنجد

فك الله أسره*

رشّح هذا المقال صديقُ المجلة: معاوية هكوش

فضل الإغاثة عند نزول الكرب

إن خدمة الناس ومسايرة المستضعفين دليل على طيب المنبت، ونقاء الأصل، وصفاء القلب، وحسن السريرة، والله يرحم من عباده الرحماء، ولله أقوام يختصهم بالنعم لمنافع العباد. وجزاء التفريج تفريج كربات، وكشف غموم في الآخرة. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله عنه بها كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[1].

زاد أبو نعيم: «ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام»[٢].

---

* محمد صالح المنجد، اترك أثراً قبل الرحيل، ص٣٤ وما بعدها.

١ رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٣١٠).

٢ رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٤٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة».

قال النووي رحمه الله: «هو حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب... ومعنى (نفّس الكربة): أزالها، وفيه: فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة، أو إشارة بمصلحة أو نصيحة، وغير ذلك»[٣].



وببذل المعروف والإحسان تُحسن الخاتمة، وتُصرف ميتة السوء؛ فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»[٤].

والله تعالى ينعم على العبد لقيامه بمصالح المسلمين وحوائجهم، فإذا لم يقُم بها سلبه الله هذه النعم؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عبادًا اختصهم بالنعم لمنافع

---

٣ الحديث رواه مسلم (٢٦٩٩). والشرح للنووي على مسلم (٢١/١٧).

٤ رواه الطبراني في الأوسط (٦/١٦٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٩٠).

العباد، يقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحولها إلى غيرهم»[٥]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من مشى بحق أخيه ليقضيه فله بكل خطوة صدقة»[٦].

وكان السلف لا يرون لأنفسهم فضلًا على صاحب الحاجة، بل يرون الفضل لصاحب الحاجة الذي علقها بهم، حتى كأن صاحب الحاجة هو المحسن إليهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ثلاثة لا أكافئهم: رجل بدأني بالسلام، ورجل وسع لي في المجلس، ورجل اغبرت قدماه في المشي إلى إرادة التسليم عليّ، فأما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله». قيل: ومن هو؟ قال: «رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر بمن يُنزله، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي»[٧].



عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: «ذكروا أن رجلاً أتى رجلاً في حاجة له، فقال: خصصتني بحاجتك! جزاك الله خيراً! وشكر له». وقيل لأبي عقيل البليغ: «كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه؟ قال: رأيت رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر ! وحاجته إلى قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحب الحاجة»!

يقول ابن القيم رحمه الله في وصف ابن تيمية رحمه الله: «كان شيخ الإسلام يسعى سعيًا شديداً لقضاء حوائج الناس».

---

٥ رواه الطبراني (٥/٢٢٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦١٧)

٦ أخرجه أبو عبد االله المروزي في كتاب: البر والصلة، (١٦٣).

٧ أخرجه البيهقي في الشعب (٧/٤٣٦).

ومن المصائب عند ذوي الهمم عدم قصد الناس لهم في حوائجهم. يقول حكيم بن حزام رضي الله عنه: «ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب»[٨].



عقوبة من تبرم من قضاء حاجات الناس

بعد أن جعل الله حوائجهم إليه أو بسببه أو تحت إمرته وإدارته! من ذلك: ما جاء من تحذير مبين بزوال نعمة المتبرمين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد أنعم الله عليه نعمةً فأسبغها عليه ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم، فقد عرض تلك النعمة للزوال»[٩].

ومعنى «فتبرم» كما جاء في (مختار الصحاح): «تبرم به، أي: سئمه وأمله وأضجره»[١٠]. إذَن التبرم هو: التأفف والسأم والتضجر وشدة الغم وضيق النفس.

والشخص المتبرم المقصود هنا في الحديث: كل صاحب نعمة أدت إلى أن يؤول الناس إليه بسببها، كالعالم والمفتي والداعية والمربي والأمير والقاضي والمسؤول والطبيب والمحامي والتاجر والغني،

---

٨ سير أعلام النبلاء (٣/٥١).

٩ رواه الطبراني (٧٥٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦١٨).

١٠ مختار الصحاح (١/٢٧).

ونحوهم من أفراد المجتمع؛ ممن أنعم الله عليهم بنعم جعلت لهم مكانة بين الناس أو سلطة في المجتمع، أو فيها نفع متعدٍ لغيرهم من الناس. فإن مثل هؤلاء إذا تذمروا وتأففوا، وضاقوا ذرعاً بالخلق بعد أن صارت حاجة الناس إليهم، وتكبروا عليهم وأعرضوا عنهم وسئموا ذلك وتضجروا منه، وأصابهم بسبب ذلك الغم وضيق النفس، فإنهم معرضون لزوال هذا الفضل عنهم؛ كما في الحديث السابق.

والتحذير الوارد في الأحاديث المتقدمة يدخل في عموم قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وقوله جلّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

قال البغوي رحمه الله في تفسير الآية الأولى: «أراد أن الله تعالى لا يغيّر ما أنعم على قوم حتى يغيّروا هم ما بهم بالكفران وترك الشكر، فإذا فعلوا ذلك غيّر الله ما بهم فسلبهم النعمة»[11].



وقال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

---

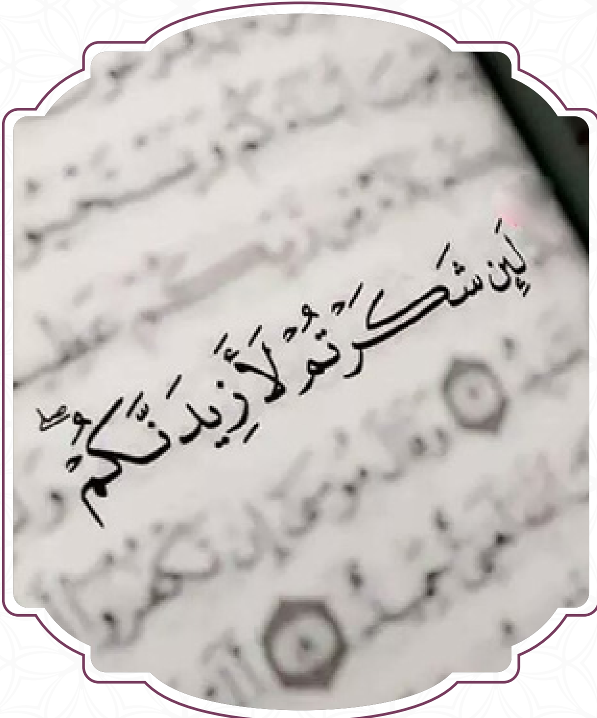
١١ تفسير البغوي (٣/٣٦٨).

قال القرطبي رحمه الله: «وفي الآية تخويف وتنبيه لجميع من كانت له ولاية وإمارة ورياسة فلا يعدل في رعيته، أو كان عالماً فلا يعمل بعلمه ولا ينصح الناس، أن يُذهبه ويأتي بغيره، وكان الله على ذلك قديراً»[١٢].

إن هذا الحديث برواياته تذكرة وتحذير لكل مَن أنعم الله عليه وأولاه من المكانة المادية أو المعنوية، ما جعله سبباً لقضاء حوائج غيره، ثم لم يقُم بها كما يحب الله ويرضى.

لذا فإنه يجب عليه عدة أمور:

أولاً: أن يعلم بأن هذه النعمة والمنصب، والعلم، والمكانة التي بوّأه الله إياها، ابتلاء من الله عز وجل ليرى ماذا يصنع؛ لأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان. قال عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢-٣]، فإما أن يؤدي ما عليه من واجب الشكر أو أن يكفر ويجحد.



ثانياً: أن المرء مهما علا وارتفع فإنه قليل بنفسه، كثير بإخوانه، وأن تبرمه من أفراد مجتمعه فيه من تشتيت الأواصر وإيغار الصدور ما لا يخفى ضرره العاجل والآجل، فإن له في نفس الوقت ذلك الأثر السيئ والعكسي بتعرضه لخطر زوال النعمة عنه، وبالتالي شماتة الأعداء به.

---

١٢ تفسير القرطبي (٥/٤٠٩).

ثالثاً: احتساب الأجر يوم العرض على الله: فكما حذرنا النبي ﷺ من زوال النعمة، فقد رغبنا في فضل قضاء حوائج الناس والوقوف عليها والسعي من أجلها، كما ثبت في صحيح مسلم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[١٣].

وأفضل الناس ما بين الورى رجلٌ •• تُقضى على يده للناس حاجاتُ

لا تمنعن يد المعروف عن أحد •• ما دمت مقتدراً فالسعد تاراتُ

واشكر فضائل صنع الله إذا جعلت •• إليك لا لك عند الناس حاجاتُ

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم •• وعاش قوم وهم في الناس أمواتُ

وليس على العبد أضر من ملله من نعم الله، فإنه لا يراها نعمة ولا يشكره عليها ولا يفرح بها، بل يسخطها ويشكوها ويعدها مصيبة، هذا وهي من أعظم نعم الله عليه! فأكثر الناس أعداء نعم الله عليهم ولا يشعرون بأن ما فتح الله به عليهم نعمة، وهم مجتهدون في دفعها وردّها جهلاً وظلماً. فكم سعت إلى أحدهم من نعمة وهو ساعٍ في ردها بجهده، وكم وصلت إليه وهو ساع في دفعها وزوالها بظلمه وجهله، فليس للنعم أعدى من نفس العبد، فهو مع عدوه ظهير على نفسه؛ فعدوّه يطرح النار في نعمه وهو ينفخ فيها، فهو الذي مكّنه من طرح النار ثم أعانه بالنفخ، فإذا اشتد ضرامها استغاث من الحريق، وكان غايته معاتبة الأقدار:

١٣ رواه مسلم (٢٦٩٩).

وعاجزُ الرأي مضياعٌ لفرصته •• حتى إذا فات أمرٌ عاتَب القدَرَ[١٤]

نعوذ بالله من الحوْر بعد الكوْر، ومن النقصان بعد الزيادة!

 فلنتدارك النعم قبل فوات الأوان، بتقوى الله وحسن العمل ومراعاة الخلق، واستدراك ما فات من التقصير في حق الله وحق الناس والأهل والإخوان، والحذر من الإعراض عنهم والاغترار بالنفس التي اكتست برداء الكبرياء، الذي لا ينبغي إلا للخالق العظيم، كما جاء في الحديث القدسي: قال الله تعالى: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار»[١٥].

 إن دوام الحال من المحال، وفرق بين الصعود والهبوط، فاحذر الثاني، فما يكون إلا بما اقترفت يداك وما ربك بظلّام للعبيد. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. والعرب يقولون: «الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك». فمعناها: أن هذا التغير لابد منه، إذ من سُنة الله أنه لا يمكن أن تستمر الحياة على وتيرة واحدة.

ما بين غفوة عين وانتباهتها •• يغيّر الله من حال إلى حال

وقال الآخر:

هكذا الدهر حالة ثم ضدٌّ •• ما لحال مع الزمان بقاءُ

---

١٤ المنتحل للثعالبي، ونسبه للخليل بن أحمد الفراهيدي، ونسبه غيره للرياشي كما في (عيون الأخبار) لابن قتيبة (٤١/١).

١٥ رواه أبو داود (٤٠٩٠) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٤١).

فادعُ الله تعالى أن يصرف عنك سوء القضاء، وتحول الحال من الأحسن إلى الأسوأ، فإن مما ثبت في السُّنة ما جاء في (الأدب المفرد) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحويل عافيتك، وفُجاءة نقمتك، وجميع سخطك»[16].



●● الصدقة وبذل المال إلى الفقراء والمحتاجين سبب لتعظيم الأجر ومضاعفة الثواب

يربي الله الصدقات، ويضاعف لأصحابها المثوبات، ويعلي الدرجات.. بهذا تواترت النصوص وعليه تضافرت، فمن الآيات الكريمات الدالة على أن الصدقة أضعاف مضاعفة وعند الله مزيد: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. قال ابن الجوزي رحمه الله مبيناً علة تسمية الله للصدقة قرضاً: «سماه الله قرضاً تأكيداً لاستحقاق الثواب به؛ إذ لا يكون قرضاً إلا والعوض مستحق به»[17].

وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

---

١٦ رواه مسلم (٢٧٣٩).

١٧ زاد المسير (١/٢٩٠).

ومن الأحاديث الدالة على عظم أجر الصدقة: عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ» قَالَ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ» - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا[18].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ»[19].

والصدقة تحفظ البدن وتدفع عن صاحبها البلايا والأمراض

ويدل لذلك قوله ﷺ: «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ»[20].



ولما تقرح وجه أبي عبد الله الحاكم، صاحب (المستدرك)، قريباً من سنة، سأل أهل الخير الدعاء له فأكثروا من ذلك، ثم تصدّق على المسلمين بوضع سقاية بُنيت على باب داره، وصب فيها الماء فشرب منها الناس، فما مرّ عليه أسبوع إلا وأظهر الله شفاءه وزالت تلك القروح، وعاد وجهه إلى أحسن ما كان.

---

١٨ رواه الترمذي (٢٣٢٥)، صححه الألباني في صحيح الترغيب الترهيب (١٦).
١٩ رواه مسلم (١٠١٤).
٢٠ رواه البيهقي (١٩٣/٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٥٨).

والأمر كما قال المناوي رحمه الله: «وقد جُرِّب ذلك -أي التداوي بالصدقة- فوجدوا الأدوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية، ولا ينكر ذلك إلا من كثف حجابه»[٢١] وليس هذا فحسب؛ بل إن بعض السلف كانوا يرون أن الصدقة تدفع عن صاحبها الآفات والشدائد ولو كان ظالماً، قال إبراهيم النخعي: كانوا يرون أن الصدقة تَدفع عن الرجل الظلوم»[٢٢].

قصة معاصرة يتبين فيها شيء من عجائب الصدقة



أبو سارة مهندس ميكانيكي، حصل على وظيفة بمرتب شهري ٩ آلاف ريال، ولكنه رغم أن راتبه عالٍ ولديه بيت مِلك، لاحظ أن الراتب يذهب بسرعة ولا يعلم كيف. يقول: سبحان الله! والله لا أدري أين يذهب هذا الراتب، وكل شهر أقول الآن سأبدأ التوفير وأكتشف أنه يذهب! إلى أن نصحني أحد الأصدقاء بتخصيص مبلغ بسيط من من راتبي للصدقة، وبالفعل خصصت مبلغ ٥٠٠ ريال من الراتب للصدقة، والله من أول شهر بقي ٢٠٠٠ ريال بالرغم أن الفواتير والمصاريف نفسها لم تتغير، فرحتُ كثيراً وقلت سأزيد التخصيص ٥٠٠ إلى ٩٠٠ ريال، وبعد مضي خمسة أشهر أتاني خبر بأنه سوف يتم زيادة راتبي، والحمد لله هذا فضل من ربي عاجز عن شكره، فبفضل الصدقة ألاحظ البركة في مالي وأهلي وجميع أموري، وجرّبوا فستجدون ما أقول لكم وأكثر.

وعجائب الصدقة لا تنقضي، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ». بل يبارك له فيه بما يجبر نقصه الحسي.

---

٢١ فيض القدير (٣/٦٨٧).

٢٢ رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٥٩).

القرض الحسن وإنظار المعسر

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّتَيْنِ إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً»[٢٣].

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَلَقَّتْ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنْ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا. قَالُوا: تَذَكَّرْ. قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ وَيَتَجَوَّزُوا عَنْ الْمُوسِرِ. قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ»[٢٤].

إطعام الطعام

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[٢٥].

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل [أي أسرعوا] الناس إليه، وقيل: قدِم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ! فجئتُ في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: «أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[٢٦].

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُكُّوا الْعَانِيَ [يَعْنِي الْأَسِيرَ] وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ»[٢٧].

---

٢٣ رواه ابن ماجه (٢٤٣٠) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٠١). ٢٤ رواه مسلم (١٥٦٠). ٢٥ رواه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩).
٢٦ رواه الترمذي (٢٤٨٥) وصححه الألباني في الترغيب (٩٤٩). ٢٧ رواه البخاري (٢٨٨١).



الشيخ الدكتور سفر الحوالي

فك الله أسره



ملحمة الشام (٢-٤)

هم أمة الحمد والتكبير ديدنهم •• إذا علوا شرفاً أو لاح علوان

وفي النهار ليوث لا يساورها •• غمر وهم في ظلام الليل رهبان

هذا هو الملكوت الحق قد بزغت •• أنواره فالدجى المبهور وسنان

كأنني أبصر الأملاك تحمله •• وهم صفوف لمبداه وفرقان

وذا المبارك باسم الرب مقدمه •• بنوره محفل الأملاك زهوان

تمت على الحجر المرفوض نعمته •• فصار تاج الذرى والدين بنيان

أيخفض الله بنياناً ونرفعه؟ •• ويصطفي الله مختاراً ونختان

ويبتلي الله تقوانا فيلبسها •• من التعصب إغماط وشنآن

فمزقوه وقد كان الإمام لهم •• لكن تملكهم بغي وأضغان

كانت دمشق ترى هذا وتسمعه •• كذاك أصغت لقول الحبر جولان

* د. سفر الحوالي، من قصيدة: ملحمة الشام، موقع إلكتروني: طريق الإسلام، ٢٠١٣م.

وكل مؤتمر في أي محتضر •• غير السقيفة أسمارٌ وبطلان

بكى هرقل ولكن كان ذا جلد •• وقال قولة نصح وهو لهفان

يا أيها الروم إن لم تسلموا فلنا •• في الصلح خير وبعض المر حلوان

وملك أحمد حد الشمس مبلغه •• والترك من جنده والصين أقنان

وسوف تسجد روما وهي صاغرة •• مهما تقادم أجيال وأزمان

قالوا: أندفع للأعراب جزيتنا •• أبناء هاجر هم للروم عبدان

فقال: يا ليتني عبدٌ لأعسفهم •• ملكاً ولا ملك لي فيكم ولا شان

وكنت ألثم من خير الورى قدماً •• يحيي بقبلتها روح ووجدان

وقد تمنى مسيح الله خدمته •• وحمل نعليه والإنجيل برهان

ثم انثنى من وراء الدرب مكتئباً •• إذ أقبلت لجنود الله فرسان

وكان ما كان مما الدهر سجله •• وشاهدت آيه حمص وبيسان

ملاحم الحق واليرموك رايتها •• فاضت بها من روابي الشام شطآن

وكلما أوقد الرومان ملحمة •• هوى لنا شهب وانقض عقبان

جئنا صقوراً على شقر مضمرة •• وهم على الدهم يوم الروع غربان

قد انتضينا سيوف الحق ليس لها •• في النقع إلا جسوم الروم أجفان

وللبطولات أصداء مزلزلة •• سارت بها في فجاج الأرض ركبان

فما تظن بجيش في ذؤابته •• أصحاب بدر وسيف الله أركان

ملائك الله بالإرعاب تنصرهم •• لهم من الذكر أحراز وأحصان

تمضي القرون ونون الدهر عاجزة •• عن كتب أمجادهم والسطر عيان

ودِّعْ - هرقلُ - وداعاً لا لقاء له •• ضاع الهوى فقد الأحلام هيمان

ودع على حسرة ما كنت تعشقه •• مراتع العز حيث الملك جذلان

غال الحقيقة قوم أُترعوا بطراً •• كما قد اغتالها في الدير رهبان

فاقنع بمشطور ملك الروم ما بقيت •• من البطاقة أطلال وعنوان

ومن يعظم رسول الله يجز به •• دنياً إذا فاته دين ورضوان

والحمد لله صان الله ملتنا •• من مثل ما عاث «قسطنطين» أو جان

وأورث الله أرض الأنبياء لنا •• والسيف للسيف أكفاء وأقران

والروم ما شئت من رأي ومن عدد •• لكنما الأمر توفيق وخذلان

وإنما خذل الرحمن مجمعهم •• كيلا يمن على الإسلام منان

وكي يظلوا عدوا دائمًا أبداً •• لا يستكين لهم حقدٌ وأضغان

والشام بالشوق قد أخفت شماتتها •• والحب يوقده للصب كتمان

يا شام قد لاحت البشرى على ظمأ •• واستشرف الفجر أكام وسيقان

حان اللقاء فتيهي وارقصي جذلاً •• فموكب الشوق للأعراس بستان

أبو عبيدة والتقوى تجلله •• هشت لملقاه آكام ووديان

وعانقته دمشق وهي غارقة •• في سكرة الحب والمشتاق نشوان

قالت: ألا أرتوي من مبسم سقطت •• منه فدى لرسول الله أسنان

هذا العفاف وهذا الزهد أذكرني •• يحيي الرسول فقل لي كيف أزدان

يا حبذا النور نور الله يغمرني •• وحبذا الجند جند الله من كانوا

هذا الحواري لاما كنت أحسبه •• إذ للنواقيس في الأرجاء إعلان

هذا الأمين كنوز الأرض تطلبه •• وكم سباها من الأحبار خوان

والزهد في الفاتحين الغر منقبة •• ما نالها قط عربيد ودنان

سل الفتوح التي كانت شريعتها •• ما سار «اسكندرٌ» أو سن «ساسان»

يا من وساد ته ترس ومسكنه •• خص ومزوده ملح وأشنان

ما الشام قبلك إلا مقبر خربٌ •• تناثرت فيه أشلاء وأكفان

نور من الرحمة المهداة مقتبس •• أضاء والشام أدغال وغيران

إذا تزينت الدنيا بكى فرقاً •• متاعها عنده زور وبهتان

رديفه سيد الفتيان قاطبة •• من حشو بردته علم وإيمان

أغر أبيض يحكي البرق مبسمه •• وكل منطقه در وعقيان

الذاكر الله إن قاموا وإن هجعوا •• الذكر روح له والصوم ريحان

قل يا معاذ فأبنائي تلامذة •• إذا نطقت وزهر الربع آذان

وهامت الشام شوقاً أن ترى عمراً •• هو الزعيم وهذا الصحب أعوان

يا شام قد أقبل الفاروق فابتهجي •• فالجو من عبق الفاروق ريان

والأرض تهتز رعباً من جلالته •• ومن مهابته في السحب رعدان

سكينة الحق تعلو وجهه أبداً •• فلا يواجهه في الدرب شيطان

وأينما سار في مغناك موكبه •• طابت بممشاه أعطاف وأردان

محدَّث ملهمٌ جمٌّ مناقبه •• العبقرية من سيماه تزدان

أستغفر الله هل شعري يحيط به •• وصفاًولو أن هذا البحر ديوان

وهو الذي طالما جادت فراسته •• رأياً فوافقه بالوحي قرآن

يا حظ «جابية» بالركب قد شرفت •• وسائر الشام إصغاء وإذعان

هنالك ارتجل الفاروق رائعةً •• فيها من الحق دستور وتبيان

جلَّى من الخطة البيضاء منهجها •• هو اجتماع وإخلاص وإيقان

وفجأة ضج هذا العرس وانقلبت •• أفراحه مأتماً تغشاه أحزان

نادى بلال فأبكى الشام قاطبة •• الصوت مختنق والحلق غصان

أثار ذكرى رسول الله فانتحبت •• وهل لذكرى رسول الله سلوان

لم يستطع لاسمه لفظاً وحق له •• إذ لوعة الحزن في الأحشاء نيران

فتلك أصداؤه في الشام ما سكنت •• السهل مستعبر والسفح حنان

من كان في الملأ الأعلى أحبته •• فلا يعلله في الأرض خلان

رمضاء مكة تتلو بعده «أحد» •• و«الله أكبر» في الآفاق رنان

وصخرة القدس تدري أن فارسها •• نظير يوشع لاروم وكلدان

لما تسلمها الفاروق طهرها •• كما على الطهر أبقاها سليمان

«نستكمل الملحمة في الأعداد القادمة، إن شاء الله».

رئيس الهيئة

د. محمد الصغير

رئيس التحرير

محمد إلهامي

السنة الثالثة العدد ٢٦

يوليو ٢٠٢٤ ذو الحجة ١٤٤٥

